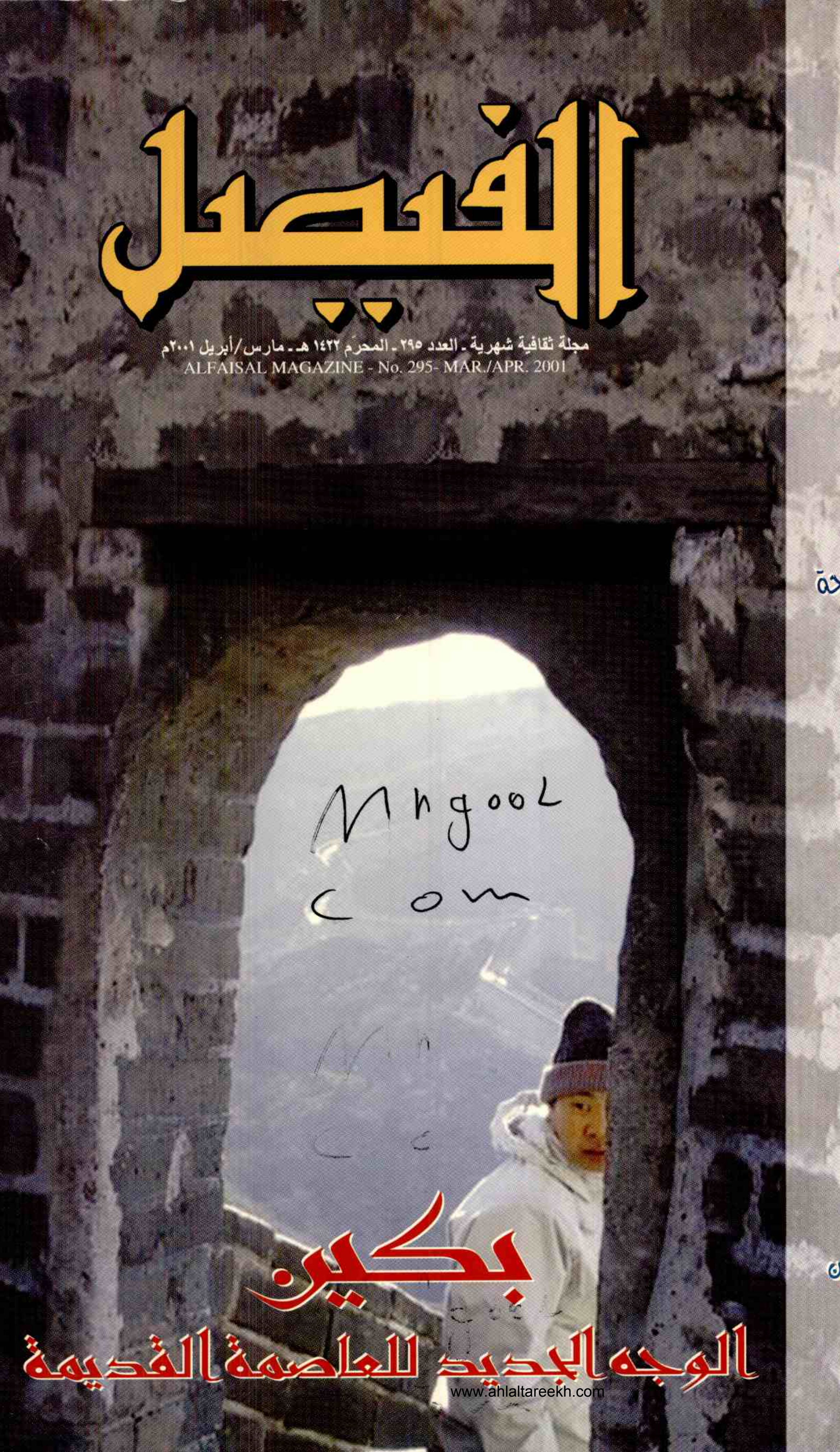


■ المؤسسات الإسلامية في الدانمارك

■ آلية صناعة القرار

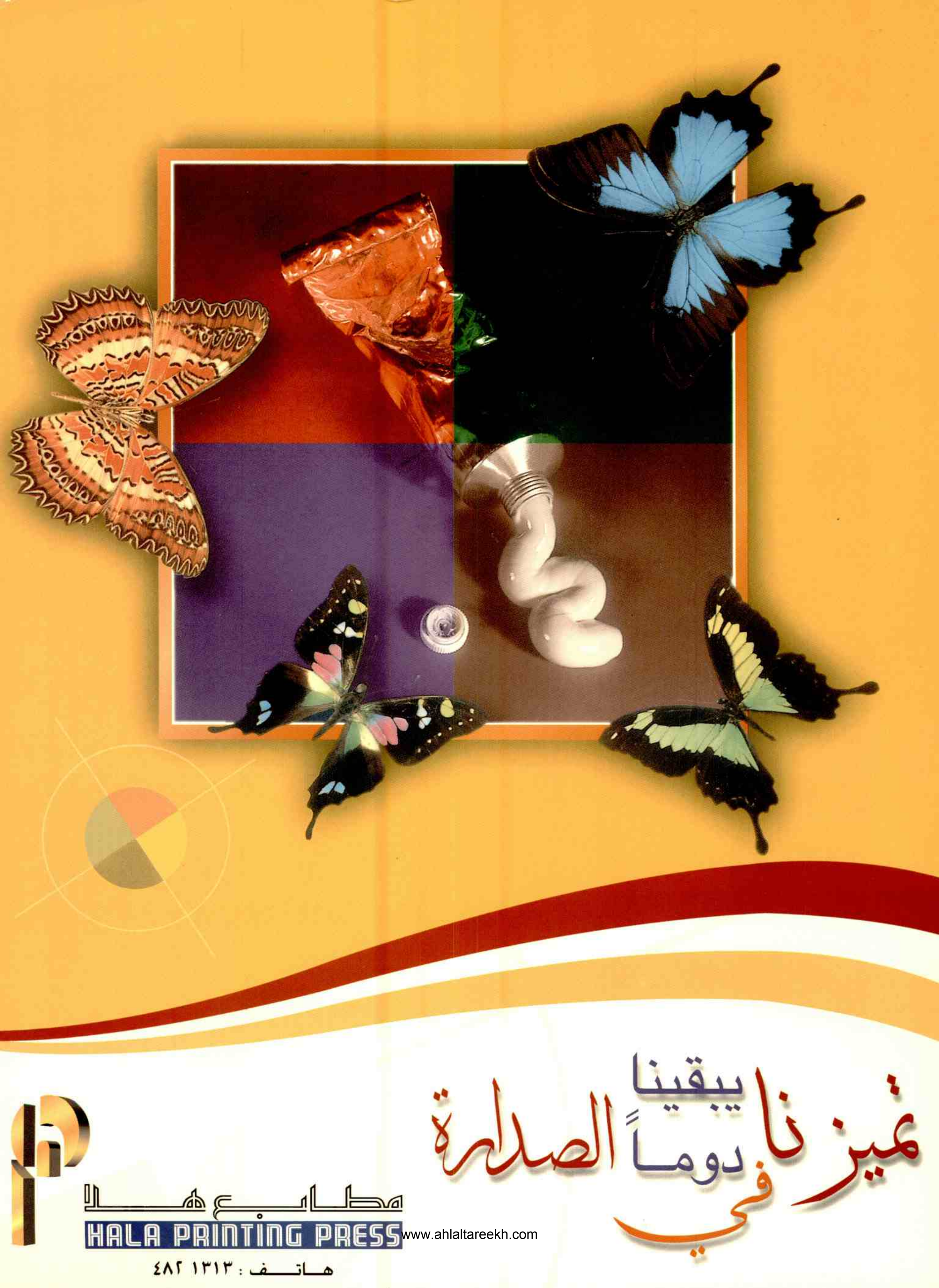
■ معايير الجمال والملاحة

■ إمارة بهاول بور العباسية

■ الكشف المبكر عن السرطان

■ مجلات علمية محكمة عبر الإنترنت

■ طب الفقراء والمساكين



تميزنا في الصدارة يبقينا دوماً
مطابع هلا
HALA PRINTING PRESS
هاتف : ٤٨٢ ١٣١٣
www.ahlaltareekh.com



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

رسائلكم ٤

تحقيق

الإسلام والمؤسسات الإسلامية في الدانمارك: جورغن باك سيمونسن — ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي ٦

قضايا معاصرة

آلية صناعة القرار: الجودة أو أمية القرن الحادي والعشرين — حمدي محمد مسعد الجمل ١٦

فلسفة

معايير الجمال والملاحة — خالد عبدالله إبراهيم الخميس ٢١

أدب

مقدمة في إعادة درس حكاية مجنون ليلى — محمد كرزون ٢٦

من ذاكرة التاريخ

إمارة بهاول بور العباسية عبر التاريخ — ظهور أحمد أظهر ٣١

دين

مشروع الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم — عبدالرحيم عثمان حسن شراقي ٤٥

علوم

الكشف المبكر عن السرطان — عبدالواحد نصر المشيخص ٥٨

البشرية والكارثة الإشعاعية — خالد حسن علي ٦٥

مجلات علمية محكمة

عبر الإنترنت: الإيجابيات والمعوقات — أبو بكر سلطان أحمد - سعد علي الحاج بكري ٧٣

قصائد

أطياف — صالح الحميدان ٨١

قلقي — عبدالله سعد اللحيدان ٨٢

أراك على قلبي — الشريف الرضي ٨٣

قصص قصيرة

السارق — رضوان الجبور بني صخر ٨٤

الأغنية الدائمة: — كاميلو خوسيه ثيلا - ترجمة: علي أشقر ٨٦

انهيار الصمت — ضياء الجبيلي ٨٨

استطلاع

بكين الوجه الجديد للعاصمة القديمة — تود كارل - ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني ٨٩

أعلام

أحمد راتب النفاخ: حجة العلم وتواضع العلماء — إبراهيم عمر الزيبق ١٠٣

ردود وتعقيبات

الطباعة العربية في أوربا — ثائر صالح ١٠٨

المسابقة ١١١

قراءات

المنمنمات في إسبانيا - الإسلامية — مراجعة: محمد خير البقاعي ١١٣

طب الفقراء والمساكين — مراجعة: صادق العبادي ١١٦

الملف الثقافي ١١٩

شركة واحدة فقط
توفّر لك كل هذه الخدمات

REDIAL

DEF
الخدمات المحلية

ABC
النقل بين المدن

النقل الدولي

MNO
خدمات الحج والعمرة

JKL

GHI
العقود و التأجير

WXYZ
البرامج السياحية

TUV
النقل المدرسي

PQRS
الخدمة المميزة

الشركة الرائدة في مجال النقل البري توفر خدمات متعددة لكافة الأغراض ، لمسة واحدة فقط وتحصل على الخدمة التي تحتاجها.

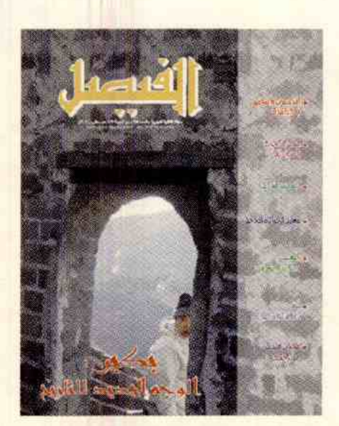
اتصل مجاناً على الرقم ٨٠٠ - ١٢٤ ٩٩٩٩



SAPTCO النقل الجماعي

مـجلة ثقـافـيـة شـهـرية ـ السنة ٢٥ ـ العـدد ٢٩٥ ـ المحـرم ١٤٢٢هـ ـ مـارس/أبريل ٢٠٠١م

ALFAISAL MAGAZINE - No 295 - MAR./APR. 2001



بكين: الوجه الجديد للعاصمة القديمة

إذا كان سور الصين العظيم أكثر ما يشد زائر بكين، فإنه لن يخفى عليه ما يعتمل فيها من مظاهر التغيير التي تتبدى في الصراع بين التقاليد الكونفوشية القديمة والنزعة المادية الجديدة الطاغية، حتى إن هناك من يرى أن مديري الشركات الكبرى أصبحوا يتحكمون أكثر من زعماء الحزب الشيوعي، ويبقى السؤال: كيف يتعامل سكان بكين مع رياح التغيير العاصفة؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: **يحيى محمود بن جنيد**

مدير التحرير: **عبدالله يوسف الكويليت**

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢..، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ـ ٩٦٣..، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٢١٦..، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤..، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٩٦٢..، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣..، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١..، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D. PRESSE لتوزيع الصحافة. ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣..، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ١٢/١١/٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥..، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٢٧/٧٧١٥٤٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCCO ـ SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32، باكستان PAKISTAN

PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.

" هورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨





تصحيح وعتاب واقتراح

لي ملاحظة بسيطة جداً على عدد المحرم الذي بدئ به العام الهجري، فقد كتب على غلافه عدد محرم ١٤٢٠هـ، وهو ليس كذلك، إذ إننا في المحرم ١٤٢١هـ، وليس ١٤٢٠هـ. وأعتقد أن هذه هنة بسيطة قد وقعت نتيجة السهو. لذا وجب التنويه.

وملاحظة أخرى تتمثل في أنني قد أرسلت موضوعاً إلى مجلتنا الغراء عن العالم المصري الدكتور أحمد زويل الحائز على جائزة نوبل منذ عدة أشهر، ولا أدري عنه أي شيء؛ إذ لم ينشر ولم أواف بكتاب يفيد عدم النشر لعدم الصلاحية، وهذا ليس دأب المجلة نحو قرائها. والملحوظة الثالثة، أشكر لكم المبادرة بتطويل مدة إرسال إجابات المسابقة المنشورة بالمجلة إلى ٤٥ يوماً من بداية الشهر الذي صدرت فيه المجلة.. على غير ما كان متبعاً، وهذا يتيح الفرصة لأعزائنا القراء بأن يبحثوا ويدققوا في الإجابة. وفي النهاية لي اقتراح بالنسبة إلى المسابقة. فقد كانت الجوائز في ظل الإدارة السابقة تضم الاشتراك المجاني في المجلة لمدة شهر، وكانت هناك أيضاً جوائز تتمثل في إرسال بعض إصدارات مركز الملك فيصل، نتمنى أن تأخذوا بهذا الاقتراح حتى تتسع الجوائز لعدد أكبر من قراء الفيصل بصرف النظر عن الجوائز المالية؛ لأن الجوائز المالية قاصرة على أربعة فقط، وهذا في اعتقادي نفر قليل لا يمثلون جميع من يتلقفون هذه المجلة بالسوق، وينتظرونها على أحر من الجمر.. وأستطيع أن أؤكد لكم أن الأعداد تنفد فور وصولها لدى بائعي الصحف، ومن يتأخر عن السؤال عنها فإنه يفقد ضالته المنشودة.. وأعود فأقول: إنها أرقى المجلات التي تصدر في عالمنا العربي إخراجاً وتبويباً وثقافة وأدباً، وأنا واحد من الذين واظبوا عليها من العدد الأول الذي صدر في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ الموافق ليونيو/حزيران عام ١٩٧٧م.

لقد أوشكت الفيصل «الغراء» أن تبلغ من العمر ٢٥ عاماً بعد عام أو يزيد وعليكم من الآن أن تحتفلوا باليوبيل الفضي لها.. لأن هذا العمر من العطاء الجميل في عمر مجلتنا ليس بالأمر الهين.. فقد بذل من الجهد الكثير والكثير.. فهنيئاً لكم بهذه المجلة التي تعد بحق نافذة للثقافة، بل علامة ومنارة للثقافة والأدب.. وأرجو في النهاية أن تهتم المجلة بالبارزين في عالمنا العربي من الأدباء والعلماء، وإعطاء نبذة من مسيرتهم وسيرتهم الذاتية والشخصية، وهؤلاء من الكثرة التي يحتاج جيلنا والأجيال التي تلينا إلى معرفة حياتهم.

وختاماً أتمنى لكم أوقاتاً تملؤها بهجة الإيمان وروعة المحبة والسلام.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إبراهيم عبدالوهاب شرف
دقهلية ـ المنصورة ـ مصر
بريد جامعة المنصورة ـ الرمز البريدي ٣٥٥١٦

التحرير:

نشكر لك ملاحظتك، ونعتذر للإخوة القراء عن الخطأ، وبالنسبة إلى مقالتك نفيدك أن العالم العربي زويل قد سبق التعريف به عند فوزه بجائزة نوبل وقبل ذلك بجائزة الملك فيصل العالمية، لذا نعتذر عن نشر المقالة، أما اقتراحك بخصوص جوائز المسابقة فسوف يكون محل نظر، علماً بأن هناك تطويراً سوف يشمل كل المسابقة، آخذين بآراء الإخوة القراء والكتّاب. ونشكر لك هذا الاهتمام بالمجلة، ونأمل أن تكون عند حسن الظن بها.

اعتذارات متكررة

للمرة الرابعة وربما الخامسة يصلني من مجلتنا الغراء الرد السلس اللبق الذي فحواه «إشارة إلى المادة المذكورة أعلاه يؤسفنا الاعتذار عن عدم نشرها لكونها غير مناسبة للنشر في المجلة، ولا يعني ذلك بالطبع عدم صلاحيتها للنشر في أي مطبوعة أخرى، وإذ نشكر لكم اهتمامكم بالكتابة إلينا نرجو أن تكون إسهاماتكم أوفر حظاً في المرات القادمة». فقد حفظنا هذا الرد واستظهرناه عن ظهر قلب وكأنه درس استظهار ونحن مطالبون بحفظه غيبياً.

أريد أن أعرف من إدارة تحرير مجلتنا الموقرة متى تكون تلك المرات القادمة؟... وهل فعلاً هي قادمة أم ذاهبة؟... مادام أن اعتذاراتكم المتكررة كلها تقول: ولا يعني ذلك بالطبع عدم صلاحيتها للنشر في أي مطبوعة أخرى بحد ذاتها. فالله سبحانه وتعالى بيّن لنا في القرآن الكريم أنه عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً. وأنا كشاعر وكاتب معروف في بلدي سورية؛ أحملكم الأمانة أيضاً باسمي واسم زملائي الكتاب الذين يصلهم مثل هذه الردود أينما كانوا في أي بقعة من بقاع وطننا العربي الكبير أن تكون اختياراتكم للمواضيع تؤخذ بشكل جدي وبعيد عن الوساطة.

وإذا كان النشر ضمن المجلة يخضع لما يعرف بالوساطة فهذا لا يليق بالكتابة بكل ما لهذه الكلمة من معنى ـ وأخيراً لماذا تعاملوننا هكذا ونحن كلنا ثقة بكم على أنكم لا تتعاملون بالوساطة. فقد نشرت لي الصحف والمجلات السورية مثل: تشرين، والثورة، والثقافة الأسبوعية، وجيش الشعب، والفداء، الكثير من القصائد الشعرية وبعض المقالات النثرية، ولو أنني أعرف أن قصائدي ومقالاتي لا تصلح للنشر لما أرسلت لكم منها شيئاً. فعليكم أن تخبرونا وبصراحة عن المواضيع التي تكون مناسبة للنشر؛ فقد وقعنا في حيرة من أمرنا، وأرجو أن تسامحوني إذا كانت رسالتي تحمل بعض الكلمات القاسية بحقكم. ودمتم عوناً لنا والله الموفق.

حسين محمد علي المحمد
حماة ـ محردة ـ التوجيه التربوي ـ مدرسة جريجس ـ سورية.

التحرير:

نأسف أن مقالاتك التي بعثتها إلى المجلة لم تجد طريقها إلى النشر، وإذا طالعت أي عدد من أعداد المجلة فسوف تجد تنوعًا كبيرًا في جنسيات الكتّاب، بل إن كل عدد يشتمل على مقالات لكتّاب يكتبون أول مرة للمجلة، مما ينفي أي شبهة بالمحاباة والوساطة. والأمر ببساطة أن المجلة لها معايير تحتكم إليها في إجازة الموضوعات ولأنها غير معنية بمعايير غيرها من المجلات؛ كان الحرص على الإشارة إلى أن عدم نشر أي موضوع ليس فيه تقليل من قيمته، ولا تنظر المجلة إلى الأسماء بقدر اهتمامها بالموضوع، ولذا لها شرف تقديم عدد كبير من الكتّاب إلى الساحة الثقافية بنشر المقالات الأولى لهم.

سنوات قضايا

نعم أتأسف كل الأسف على ما آلت إليه الشقيقة فلسطين، والحقيقة أنني شاهد عيان، ويلح في ذهني سؤال: لماذا اتفاقيات السلام مع إسرائيل، ونحن نعلم - أمة الإسلام - أنه لا سلام مع اليهود بالطرائق السلمية، ونعلم أيضًا أن إسرائيل لن تخرج من الأرض المقدسة، ألأنه لا يوجد حل سوى الاتفاقيات؟ مع العلم بأنها لم ولن تطبق، أم هي قوانين الدول الكبرى، ونحن لن نستطيع أن نحرك ساكنًا؟ أم أن التاريخ يعيد نفسه؟ وكم هو جميل تذكيرهم بمعركة حطين وانهزامهم صاغرين، أم نعود بذاكرتنا إلى عهد الرجل المريض، وما فعله اليهود بالعرب والمسلمين؟ لكن المسلم لا يلدغ من جحر مرتين!.

يا للأسف لقد تعلمنا من التجارب السابقة أنه لا اتفاق مع اليهود كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: *وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ.* **البقرة: ١٢٠.** فماذا ننتظر بعد أن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أيرضينا أن نعقد كل يوم اتفاقية ويخرقها اليهود غدًا؟ وهذا - والله - ليس إلا ضياعًا للوقت من طرفنا، وربحًا للوقت لهم. كل ما نراه أن الأزمة زادت في المنطقة، وزادت الوحشية اليهودية وزادت أيضًا توسعاتهم التدميرية.

لماذا يلطخون المقدسات الإسلامية بأخبث الطرق، وأمام أعيننا وعلى مرأى من الناس، دون تحريك ساكن؟، لماذا البرود العربي الإسلامي هذا؟ لماذا لا نرفع شعار: العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم؟

وفي الأخير أتمنى من أعماق أعماقي أن تصل رسالتي هذه إليكم وأن تأخذوها في الحسبان، لأنني أعي وأعلم أن كل ما كتبته ليس إلا حقيقة مرة، فأرجو من سيادتكم أن يكون هناك بحث من طرفكم عن هذه الفكرة وهي حقيقة العلاقات بين المسلمين العرب واليهود، ولو فعلتم لوجدتموه حافلاً بالأحداث، وأي أحداث؟ لأنهم - ويا للأسف - منذ القديم وهم يتربصون بنا والتاريخ أكبر دليل على هذا.

عماري الزهراء
قصر المرابطين - أولاد الحاج عين صالح
ص.ب ١١٢٠٠ ولاية تمفست الجزائر.

التحرير:

نشكر لكِ هذه العاطفة الجياشة وهذا الشعور النبيل بالانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية، وقد حرصنا على نشر رسالتك بكل ما فيها من انفعال صادق، ونفيدك أن المجلة قد أعدت ملفًا عن القدس في العدد (٢٣٢)، كما كتب الدكتور حسن ظاظا - رحمه الله - سلسلة مقالات، إلى جانب المقالات المعتادة التي تنشرها المجلة للمتخصصين في هذا الباب من وقت إلى آخر. ويمكنك الرجوع إلى الأعداد الستة الأخيرة فقط (٢٨٩ - ٢٩٤) لتطالع في كل عدد منها ما يتصل بالقضية الفلسطينية، والعددان ٢٨٩ و٢٩٢ كان غلافاهما عن القدس والانتفاضة.

ردود سريعة

الأخوان علالي عبدالجليل بن أحمد - أدرار - الجزائر، بن حبيب أحمد - الجلفة - الجزائر:

نشكر لكما ثقتكما بمجلتكما ومشاعركما الفياضة تجاه بلدكم الثاني المملكة العربية السعودية، ونتمنى أن تتحقق رغبتكما في زيارتها. وتعتذر المجلة لكما ولكثير من الإخوة القراء عن عدم قدرتها على تلبية الطلبات التي تخرج عن نطاق أهدافها واختصاصها. ونشكر للأخ علالي ما أورده من معلومات عن السعودية.

الأخت مريم ورده الحمد - حلب - سورية:

نتوخى في اختيار الفائزين بجوائز المسابقة الحيدة والموضوعية، ويصعب كثيرًا أن نمنح جائزة لأحد المشاركين في المسابقة لأي سبب من الأسباب؛ فيه خروج عن المعايير الموضوعية، لذا نتمنى أن يسعدك الحظ في مرات قادمة وتفوزين بإحدى الجوائز من دون وساطة.

الأخوان سليمان بن زيد الجربوع - الرياض، محمد قاري - الجزائر:

لقد تعذر إرسال مكافأتكما لعدم وجود عنوان لكما، لذا نرجو منكما موافاتنا بالعنوان كاملاً، كما نأمل أن يقوم الإخوة الذين لم تصل إليهم مكافآت عن مقالات أو أعمال إبداعية نشرت لهم أن يوافونا بعناوينهم الصحيحة، لأن هناك رسائل أعيدت لعدم صحة العنوان.

الأخ م. ع. م - حلب - سورية:

نأمل أن ترسل استفساراتك مباشرة إلى دار الافتاء على الفاكس رقم ٤٠١١٧٤١، أو إلى مجلة البحوث الإسلامية: ص.ب ٢٢٥٧١ الرياض ١١٤١٦.

الأخ صديق إبراهيم عبده علي أنعم - الحديدة - اليمن:

نشكر لكل مشاعرك الفياضة التي حملتها أبياتك، ونوافقك الرأي في أن كثيرًا من الشباب لا تستهويه المقالات الطويلة، ولذا فإن المجلة تحاول أن توازن الأمور بحيث يجد فيها كل قارئ ما يناسب اهتماماته، ولكن إرضاء الناس جميعًا غاية لا تدرك، ولعلك تجد في القصائد والقصص القصيرة ما ينال رضاك إلى جانب الموضوعات الدينية والتربوية التي تطلب الاهتمام بها.

الإسلام والمؤسسات الإسلامية في الدانمارك

جورغن باك سيمونسن
ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي
دمشق - سورية

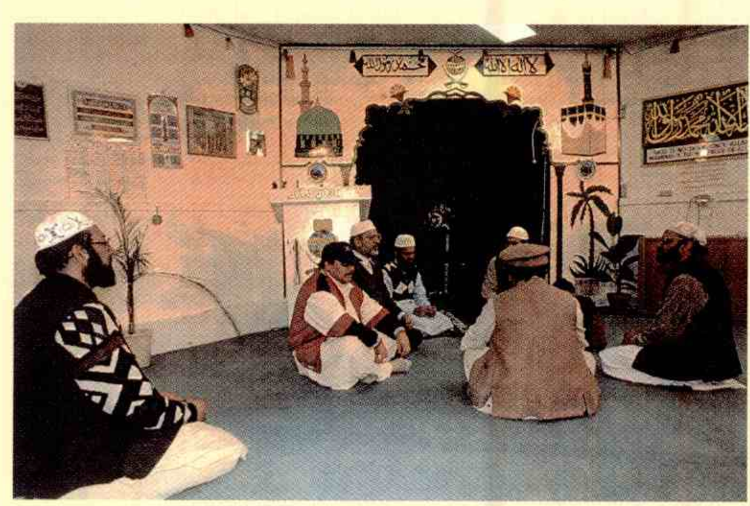
ظلت كلمتا «الدانمارك» و«الإسلام» حتى منتصف سبعينيات القرن العشرين تشكلان مفهومين لا يقترنان إلا في ذهن القلة من الناس. لم يعد الأمر كذلك الآن، إذ أصبح الإسلام اليوم، في منتصف تسعينيات القرن العشرين جزءاً من الحياة اليومية في الدانمارك. فقد وطّد المسلمون أنفسهم هنا في الدانمارك مع مساجدهم، وأماكن صلاتهم، وأسسوا مدارسهم الخاصة بهم، ونظموا أنفسهم في عدد كبير من المنظمات والجمعيات المتنوعة.

لا أحد يعرف بالضبط عدد المسلمين المقيمين في الدانمارك. ويعزى ذلك إلى أنه لا يُسمح للسلطات العامة بتسجيل الناس وفق انتماءاتهم الدينية. فالدين يعد في الدانمارك شأناً خاصاً، ولا يدخل ضمن اهتمامات السلطات العامة بوجه خاص.

فإذا كانت دائرة الإحصاء تقدم بيانات مفصلة عن عدد أتباع كل دين ومذهب، فإن هذه المعطيات التي تستند إليها في وضع أرقامها ترد إليها طوعاً من المجموعات الدينية المختلفة.

وبما أن أتباع هذه الأديان جاؤوا إلى الدانمارك من بلاد مختلفة، وينتمون إلى زمر متنوعة، لم تتشكل بعد هيئة مركزية تمثل أولئك المسلمين المقيمين في الدانمارك، وتأخذ على عاتقها إيصال المعلومات المتعلقة بهم إلى الجهات المعنية.

هنالك، على أية حال، طريقة تمكننا من الوصول إلى تقدير دقيق نسبياً. تصدر دائرة الإحصاء سنوياً تقديرات لعدد أبناء القوميات الأجنبية المقيمين في الدانمارك. وبما



مسلمون في مسجد مَحَلّي في الدانمارك

أننا نعرف على سبيل المثال، أن ٩٨٪ من سكان تركيا مسلمون، فإننا نفترض أن ٩٨٪ من الأتراك المقيمين في الدانمارك هم أيضاً مسلمون. والقاعدة نفسها يمكن تطبيقها على المجتمعات المغربية والباكستانية المهاجرة إلى الدانمارك. وبهذا نكاد نكون واثقين من تقديراتنا.

وبالمقابل، فإن الأمور المتعلقة بمجموعات اللاجئين المختلفة ممن يسعون إلى الحصول على لجوء سياسي في الدانمارك منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين تعد أكثر تعقيداً، وعلى الرغم من أن هؤلاء اللاجئين يأتون من العالم الإسلامي، فليس مُحتماً أن يكونوا مسلمين.

ويتضح هذا الأمر، مثلاً، فيما يتعلق بمجموعة اللاجئين الإيرانيين الذين مُنحوا حق اللجوء السياسي في الدانمارك. تقول المصادر المعتمدة أن نحو ٩٧٪ من الشعب الإيراني مسلمون، ولكن هذه النسبة لا تنسحب على الإيرانيين الذين حصلوا على حق اللجوء السياسي في الدانمارك.

فالواقع أن مجموعة اللاجئين السياسيين الإيرانيين الموجودين في الدانمارك تتضمن عدداً من البهائيين. والبهائية دين توفيقي، أي إنه يؤالف بين عناصر متنوعة من تقاليد أديان مختلفة وتراثها. ولهذا يصف علماء الشريعة ورجال الدين المسلمون البهائية بأنها دين مُزيَّف. ومنذ تفجّر الجَيَشانات السياسية عام ١٩٧٧م في إيران أخذ البهائيون يهربون منها. ومن الأسباب التي جعلت السلطات الإيرانية تلاحق البهائيين أن هذه السلطات تنظر إلى عملية الجمع بين تعاليم إسلامية وعناصر من أديان أخرى مختلفة على أنها خيانة للإسلام.

وبما أن عدداً من البهائيين كانوا، حتى ثورة ١٩٧٨/١٩٧٩م على علاقات وثيقة بالشاه، فلن يكون غريباً أن تستثمر السلطات الجديدة هذا الأمر لمصلحتها السياسية. وهكذا فإنه، على الرغم من تأكيد المصادر المعتمدة لحقيقة كون ٩٧٪ من الشعب الإيراني مسلمين لا يمكن تطبيق هذه النسبة على اللاجئين الإيرانيين الذين مُنحوا حق اللجوء السياسي في الدانمارك.

فلابد، هنا إذن، من إجراء تقويم. والأمر نفسه ينطبق على الحالة المتعلقة بالفلسطينيين الذين مُنحوا حق اللجوء السياسي منذ أواسط ثمانينيات القرن العشرين.

تشير الإحصاءات إلى أن ٨٠٪ من الشعب الفلسطيني البالغ ستة ملايين نسمة تقريباً هم مسلمون، والبقية مسيحيون.

كل هذا لا يعني، على أية حال، أن ذلك يُعوّض عن الأساس الإحصائي الضعيف للتقدير الجماعي لعدد المسلمين المقيمين في الدانمارك اليوم. فنحن نعلم، على سبيل المثال، أن عدداً من الدانماركيين قد اعتنقوا الإسلام في غضون العقد الأخير من القرن العشرين، بيد أن أحداً لا يعرف بدقة عدد هؤلاء، إضافة إلى الذين مُنحوا الجنسية الدانماركية من المهاجرين واللاجئين. إذ من وجهة النظر الإحصائية يُعَدُّ هؤلاء قد غيّروا انتماءهم وأثّروا بذلك في النتائج الإحصائية.

فالذين سُجّلوا هذا العام، مثلاً، بوصفهم مقيمين باكستانيين في الدانمارك، يظهرون في إحصاءات العام المقبل في خانة الدانماركيين. ولكي تستقيم الأمور، لا بد من ملاحظة أن أطفال الأجانب الذين يولدون في الدانمارك يُمنحون جنسية الأبوين؛ أي إنهم من الناحية الإحصائية غير دانماركيين مع أنهم وُلدوا في الدانمارك وربما يقضون حياتهم فيها. وبهذا المعنى لا يصبحون دانماركيين إلا إذا مُنحوا الجنسية الدانماركية بناء على طلبهم.

وبعد أخذ كل هذه التحفظات في الحسبان، توصلنا إلى نتيجة تشير إلى أن عدد المسلمين المقيمين في الدانمارك في أواسط تسعينيات القرن العشرين قد بلغ ستة وثمانين ألف نسمة. ويبين الجدول (١) التالي البلدان الأصلية التي قدم منها المسلمون المقيمون في الدانمارك.

الجدول(١) المسلمون المقيمون في الدانمارك موزعون حسب انتماءاتهم القومية أول يناير / كانون الثاني ١٩٩٤م

البلد الأصلي	العدد	٪ للمسلمين المقيمين في الدانمارك
تركيا	٣٤٦٥٨	٤٠
فلسطين	١٠٤٩٤	١٢ر١
يوغسلافيا سابقًا	٨٧١٥	١٠ر١
الباكستان	٦٣٦٨	٧ر٤
إيران	٥٩٣٩	٦ر٩
العراق	٥٢٨٠	٦ر١
لبنان	٤٣٦٤	٥ر١
الصومال	٣٦٣٨	٤ر٢
المغرب	٣١٨٠	٣ر٧
الدانماركيون الذين اعتنقوا الإسلام (تقديراً)	١٦٠٠	١ر٩
آخرون	٢٢٠٠	٢ر٥
النسبة المئوية لمجمل السكان		١ر٧
المصدر: دائرة الإحصاء والمساعدات الدانماركية للاجئين		

- يدرج الفلسطينيون ضمن مجموعة «بلا وطن». ومعظم الذين يدرجون تحت هذا العنوان فلسطينيون.

- لم تشمل هذه الإحصاءات المسلمين الذين ينتمون إلى يوغسلافيا (سابقاً)، ومعظمهم من البوسنة، والبالغ عددهم ستة عشر ألف نسمة والذين منحوا حق اللجوء السياسي المؤقت في الدانمارك. العدد الإجمالي لأبناء يوغسلافيا (سابقاً) المقيمين في الدانمارك هو (١١٦١٨) نسمة، وليس كل هؤلاء مسلمين.

إن الأكثرية الساحقة للمهاجرين اليوغسلاف الذين قدموا إلى هذا البلد في أواخر ستينيات القرن العشرين وفي أوائل سبعينياته قد جاؤوا من مناطق يوغسلافية أدّى فيها المسلمون دوراً ثقافياً مهماً. أما نسبة المسلمين إلى إجمالي عدد اليوغسلاف فهي ٧٥٪.

- يبلغ إجمالي عدد الإيرانيين المقيمين في الدانمارك في أول يناير/كانون الثاني ١٩٩٤م (٧٩٣٩) شخصاً، بعضهم بهائيون، ويقدر عددهم بـ (٢٠٠) شخص.

- كلمة «آخرين» تشمل الجزائريين والتونسيين والمصريين والسودانيين والأردنيين وغيرهم.

من المهم الإشارة إلى أن الطريقة التي يمارس بها المسلمون المقيمون في الدانمارك الإسلام متنوعة تنوعاً كبيراً. ولهذا فإن كلمة «مسلمين» تدل على المجموعة التي تشمل أناساً تأثروا بدرجات مختلفة بالثقافة الإسلامية العامة وبالتراث الإسلامي الديني.

المهاجرون واللاجئون

يُعَدُّ وجود المسلمين في الدانمارك نتيجة اتجاهين مختلفين: المهاجرون الذين يشكلون مجموعة المسلمين المقيمين في الدانمارك في أواسط تسعينيات القرن العشرين، واللاجئون.

فقد أصبحت الدانمارك في نهاية ستينيات القرن العشرين وبداية السبعينيات البؤرة التي تدفق إليها سيل المهاجرين العمال من عدة بلدان إسلامية شملت المغرب وتركيا والباكستان. ملأ هؤلاء العمال المواقع الشاغرة المتوافرة في الصناعة الدانماركية حينذاك. وفي نوفمبر/تشرين أول من عام ١٩٧٣م وافق البرلمان الدانماركي على قرار يقضي بوقف إصدار مزيد من تراخيص الإقامة والعمل. ومازال هذا القرار ساري المفعول. ويساور مجتمع أصحاب الأعمال، على أية حال، مخاوف أن يؤدي هذا القرار إلى دفع القوة العاملة فعلاً إلى الخروج من الدانمارك، بيد أن البرلمان قرر في ربيع عام ١٩٧٤م، رداً على هذه المخاوف، إدخال قوانين لم شمل العائلات، وهذا القرار يتيح للعاملين في الدانمارك إحضار أسرهم للالتحاق بهم هنا، وبفضل هذا القانون حدثت زيادة ثابتة خلال سبعينيات القرن العشرين في أعداد المسلمين المقيمين في الدانمارك على الرغم من بقاء القرار الذي اتخذه البرلمان في نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٧٣م سارياً. وإذا ما أمعنا النظر في هذا الأمر من الناحية التاريخية أمكننا تأكيد ما يلي: إن لم شمل العائلات الذي وضع موضع التنفيذ منذ منتصف



جانب من الحياة في كوبنهاجن



المركز الثقافي الإسلامي في برونشوج BRONSHOJ

سبعينيات القرن العشرين وما بعد أدّى دوراً حاسماً للوجود الملحوظ للإسلام في الدانمارك هذه الأيام.

كان لمُّ الشمل محصوراً خلال ثمانينيات القرن العشرين في المجموعات المهاجرة من المسلمين. ولكن إذا ما ألقينا نظرة على الأرقام الصادرة عن دائرة الإحصاء بدا لنا بوضوح أن عدد المسلمين في الدانمارك الناجم عن الهجرة قد بلغ ٥٢٪ من المسلمين المقيمين في الدانمارك. وسوف تنخفض هذه النسبة للعقود التالية للثمانينات عما كانت عليه. ويدل بحثٌ أجري حول اتجاهات الزواج لدى المهاجرين المسلمين أن غالبية الشباب ممن جرى لمُّ شملهم مع أسرهم في الدانمارك خلال ثمانينيات القرن العشرين يتزوجون من البلدان التي قدموا منها أساساً. وينبغي هنا تأكيد أن زواج المهاجرين من الجيلين الثاني والثالث بأناس من أوطانهم لن يؤدي إلى ارتفاع حاد في عدد المسلمين في الدانمارك. وعلى الرغم من أن المهاجرين الشباب الذين يعيشون في الدانمارك يتمتعون كغيرهم بحق اختيار زوجاتهم، فإن هذا لا يقتضي أن يكون الأشخاص الذين يقررون الزواج منهم قادرين بدورهم على إحضار أسرهم للحاق بهم في الدانمارك.

أما المجموعة الثانية من المسلمين القاطنين في الدانمارك منذ تسعينيات القرن العشرين فهي من اللاجئين. وكانت الغالبية الساحقة من اللاجئين الذين أخذوا يتدفقون إلى الدانمارك منذ أواسط ثمانينيات القرن العشرين هي المجموعات القادمة من مختلف البلدان الإسلامية. وكان اللاجئون القادمون من إيران والعراق يشكلون الغالبية العظمى إلى مطلع ثمانينيات القرن العشرين. أما في غضون الثمانينيات فقد أصبح الفلسطينيون الذين يندرجون تحت عنوان «لا وطن لهم» يشكلون أكثرية اللاجئين. ولكن منذ مطلع تسعينيات القرن العشرين أصبح الصوماليون الذين دمرت الحرب الأهلية بلادهم يشكلون أكثرية اللاجئين الساعين إلى الحصول على لجوء سياسي من السلطات الدانماركية.

ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي



أطفال المسلمين اللاجئين ومعلموهم الدانماركيون في حضانةٍ في هيلسينغور HELSINGOR

كل شيء يشير إلى أن اللاجئين يصبحون في الوقت المناسب المجموعة المهيمنة بين المسلمين الموجودين في الدانمارك. ففي أواسط تسعينيات القرن العشرين كانوا يشكلون أقل من نصف العدد الإجمالي للمسلمين المقيمين في الدانمارك بقليل. وليس هناك ما يشير إلى أن التطورات السياسية في العالم الإسلامي خلال العقد القادم سوف تسفر عن مزيد من الاستقرار والهدوء أكثر مما كانت عليه الحال في ثمانينات القرن العشرين، بل إن الواقع يشير إلى عكس ذلك تمامًا. وهذا يعني أن مجموعات وافرة العدد من العالم الإسلامي سوف تستمر في رفد سيل اللاجئين المسلمين إلى الدانمارك وغيرها من بلدان العالم.

كل المهاجرين المسلمين العمال الذين وصلوا إلى الدانمارك في أواخر ستينيات القرن العشرين ومطلع سبعينياته تخيلوا أن إقامتهم في الدانمارك سوف تكون محدودة، إذ كانت الفكرة الأساسية لديهم هي أن العمل فترة محدودة في أوروبا الغربية المتقدمة صناعيًا سوف يساعدهم على إنشاء استثمارات في بلادهم عن طريق شراء مزيد من الأراضي، أو القيام بأنشطة زراعية أخرى. وكان المهاجرون المسلمون العمال واثقين من أن العمل مدة أربع سنوات مثلاً يكفي لتوفير ما يسمح لهم بالعودة إلى أوطانهم.

ولكن يبدو أن الأمور لم تَسِر على هذا النحو؛ إذ تبين أن التوفير أصعب مما كانوا يَتصورون. بيد أن هذا لا يعني أنهم تخلو عن خطتهم الأصلية، بل يعني أن مدة العمل الضرورية في أوربا لتوفير ما يلزم ستكون أطول.

ويُعَدُّ هذا الجانب من المعالم الغريبة لعملية لمِّ الشمل التي بدأت منذ مطلع سبعينيات القرن العشرين. إذ لابد من إدراك أن وضع قانون لم الشمل موضع التنفيذ لم يستلزم بالضرورة تخلي العمال عن خططهم للعودة إلى

أوطانهم؛ بل أدى تجميع الأسر في الدانمارك إلى تعليق هذه الفكرة، وليس إلى إلغائها. ولم تدرك العائلات المسلمة التي جُمع شملها ولا المجتمع الدانماركي الذي احتواهم طوعاً أو كرهاً أن لَمّ شمل عائلات المسلمين المهاجرين هذا قد أحدث تغييراً مهماً في بنية المجتمع الدانماركي وخصائصه.

كانت الدانمارك تتميز بتجانس مجتمعها ثقافياً ودينياً ولغوياً تجانساً لا نظير له في أوربا ولا حتى في العالم كله، إلى أن سرى مفعول قانون لَمّ الشمل في أواسط سبعينيات القرن العشرين، إذا تحطم هذا التجانس الآن، وأصبح وجود المجموعات الدينية واللغويّة في المجتمع الدانماركي، واضحاً للعيان، وغدت مسألة ما سوف تسفر عنه هذه الحقيقة الشغل الشاغل للشعب الدانماركي ومادة مهمة للحوار منذ ذلك الحين.

وقد حاول المسلمون في الدانمارك إقامة هياكل مؤسساتية لهم قبل البدء بتنفيذ قانون لَمّ الشمل، ولكن محاولاتهم المتفرقة هذه لم تحظ بالنجاح، إن الظروف التي جاء في ظلها المهاجرون المسلمون من الرجال العاملين إلى الدانمارك من دون عائلاتهم بقصد التوفير جعلت مسألة توطيد تقاليدهم وتراثهم الديني والثقافي في بلاد الغربة أقل أهمية من سواها من القضايا الأخرى. بيد أنها غدت مشكلة حقيقية بعد عام ١٩٧٤م توافقاً مع بدء عملية لَمّ شمل العائلات.

المؤسسات الإسلامية

إن ما يُسمى بأزمة النفط لعام ١٩٧٣/١٩٧٤م جعلت عدداً من الدول في شبه الجزيرة العربية قوية مالياً، فرغب بعضها في استخدام جزء من ثروتها النفطية لدعم مصالح المسلمين بما فيهم الموجودون في أوربا، وهذا انطبق على الدانمارك؛ إذ تلقى العمال المهاجرون من العالم الإسلامي دعماً اقتصادياً من الدول العربية النفطية لأغراض ثقافية. فكان المركز الثقافي الإسلامي إحدى ثمرات هذا الدعم. وقد رعى إقامة المركز الثقافي الإسلامي في الدانمارك مجموعة من الممثلين الدبلوماسيين لبلدان إسلامية فيها.

وأقيم المركز عام ١٩٧٦م في منطقة تقع في الحي الشمالي الغربي من كوبنهاغن. وقد تمّ شراء ذلك الموقع بأموال جاءت من مصادر متنوعة بما فيها تبرعات المسلمين المقيمين في الدانمارك والدول الإسلامية المختلفة التي أسهمت في أخذ زمام المبادرة لتأسيس هذا المركز.

للمركز الثقافي الإسلامي غايتان رئيستان: فهو، من جهة، يمثل إطاراً للحياة الدينية والثقافية وغير ذلك مما يتعلق بالمصلين، ومن جهة أخرى، يقوم المركز بتزويد الجمهور الدانماركي عامة بإمكانية الحصول على معلومات حول الإسلام.

يرأس المركز، رسمياً، لجنة شرف مؤلفة من البلدان الإسلامية الممثلة دبلوماسياً في الدانمارك. ويرأس اللجنة مدة سنتين رئيس السلك الدبلوماسي الإسلامي في الدانمارك. أما الإدارة اليومية فتقوم بها لجنة تنفيذية يرأسها شخص تختاره لجنة الشرف. وللمركز الثقافي الإسلامي إمام مدرَّب، منذ عام ١٩٧٦م، يقوم بمهمة إرشاد المسلمين الذين يؤمون المركز.

ومازال المركز الثقافي الإسلامي يبذل جهوداً كبيرة في تعريف الناس الإسلام بحيث غدا المركز موئلاً لمجموعات من الدانماركيين وكثيرين ممن يؤمونه من المعاهد التربوية بانتظام للبحث في الإسلام ومناقشته مع أولئك المرتبطين بالمركز. وقد حاول المركز في عدة مناسبات إصدار صحيفة أو مجلة حول الإسلام والعالم الإسلامي، بيد أن جميع هذه المحاولات باءت بالإخفاق.

لقد أسهمت البعثتان الدبلوماسيتان للمملكة العربية السعودية وليبيا في الدانمارك في تأسيس المركز الثقافي الإسلامي ودعمه باستمرار. وفي الوقت نفسه أقامت كل من المملكة العربية السعودية وليبيا منظمتها الوطنية الخاصة بها لنشر الإسلام في الدانمارك. وفي مطلع ستينيات القرن العشرين تأسست رابطة العالم الإسلامي التي أخذت على عاتقها منذ أواسط سبعينيات القرن العشرين مهمة دعم المسلمين في أوربا وأماكن أخرى. ومازالت الرابطة تنشط في الدانمارك منذ عام ١٩٧٤م. وكان نشاطها موجهاً أساساً إلى مجموعتين من المسلمين في الدانمارك: المسلمين العرب والمسلمين القادمين من يوغوسلافيا السابقة. وتزوّد الرابطة القطاع الدانماركي التابع لها بإمام أو إمامين يعملان في مسجدي الرابطة في كوبنهاغن Copenhagen وهيلسينغر Helsingor ويؤديان خدمات لمجموعات المسلمين الفردية المقيمة في العاصمة.

وقد أنشأت ليبيا عام ١٩٧٢م هيئتها الوطنية لتعزيز الإسلام. وعُرفت هذه المنظمة باسم «منظمة الدعوة الإسلامية». وكما كان الحال مع رابطة العالم الإسلامي منذ أواسط سبعينيات القرن العشرين، سعت منظمة الدعوة الإسلامية إلى نشر الإسلام حسب المفهوم الليبي بوصفه الحل الأمثل لكل الإشكالات. غير أن منظمة الدعوة الإسلامية لم تكتسب مصداقية جادة لدى الدوائر الإسلامية في الدانمارك، بينما استمرت رابطة العالم الإسلامي بنشاطها في أواسط تسعينيات القرن العشرين في الوقت الذي أوقفت منظمة الدعوة الإسلامية أنشطتها المستقلة، وأصبحت تمارس نشاطها برعاية المركز الثقافي الإسلامي.

لقد يسَّر وجود مركز ثقافي إسلامي للمسلمين المقيمين في الدانمارك إمكانية أداء شعائرهم الدينية جماعة في المركز. وفي الوقت نفسه نشطت الدول الإسلامية المختلفة في نشر المعرفة الإسلامية في الغرب بهدف تغيير الصورة السلبية التي يحملها الغرب عن الإسلام. ومن جهة أخرى، قامت المنظمات الإسلامية الوطنية مثل «منظمة الدعوة الإسلامية» و«رابطة العالم الإسلامي» بتوفير فرصة تآلف المسلمين المقيمين في الدانمارك مع تفسيراتها للإسلام ودعمهم لها.

لقد كان المركز الثقافي الإسلامي في كوبنهاغن، الذي افتتح مركزاً فرعياً له في أرثوس ARTHUS، يُعَدّ مشروعاً للمسلمين كافة منذ البداية. وقد أصبح هذان المركزان اليوم، في كوبنهاغن وأرثوس، هما المسجدين الوحيدين اللذين يرعاهما المسلمون المقيمون في الدانمارك والقادمون من مختلف أنحاء العالم.

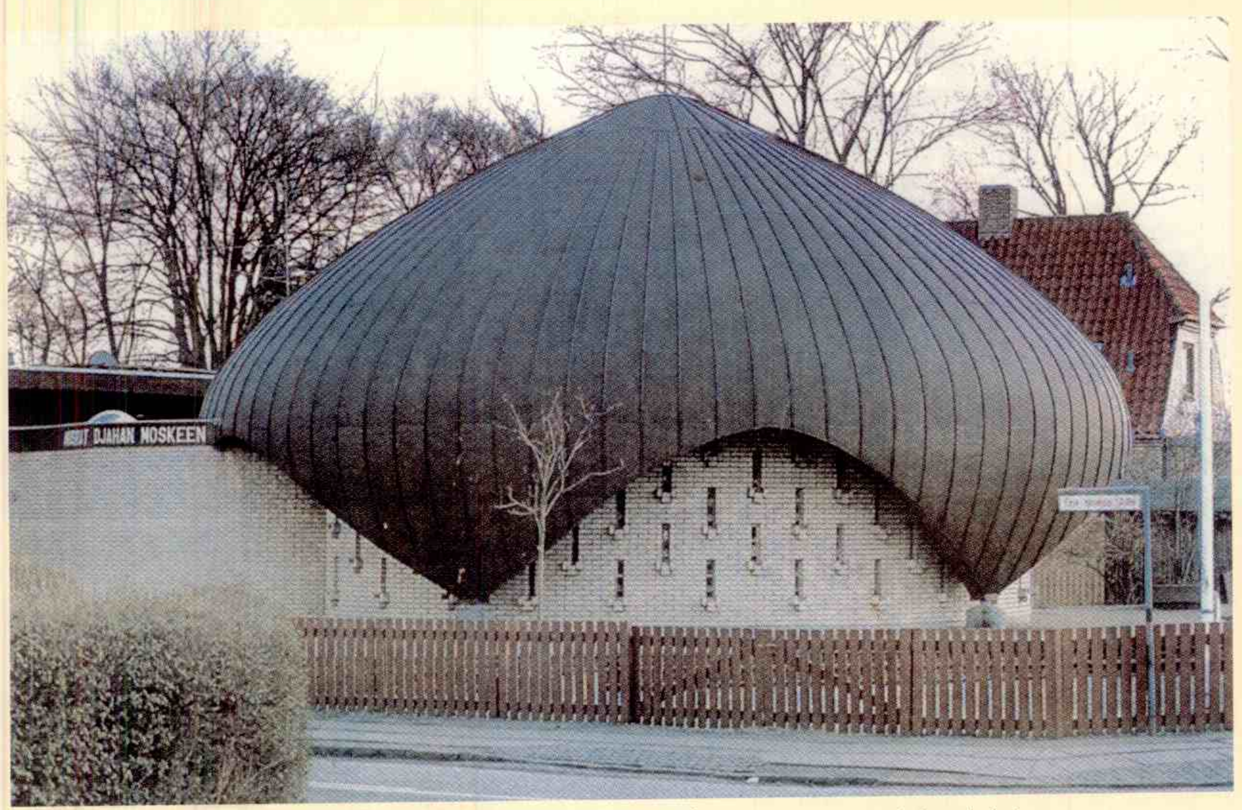
ومن المعالم البارزة أن حظيت المساجد ومدارس القرآن التي أُسست في أواخر سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته بمبادرات دعم من المجموعات الإسلامية المقيمة في الدانمارك على اختلاف انتماءاتها القومية. إذ أخذت كل مجموعة تقيم لنفسها مساجد ومدارس قرآن خاصة بها وغير ذلك من الجمعيات طوال ثمانينيات القرن العشرين.

المعضلة التركية

يشكل الأتراك أكبر مجموعة قومية إسلامية في الدانمارك، إلا أن تركيا لم تنخرط في حينه بالمساهمة في إنشاء المركز الثقافي الإسلامي. ويكمن تعليل إحجام تركيا هذا في التاريخ التركي. إذ أعلنت الجمهورية التركية منذ تأسيسها عام ١٩٢٣م أنها دولة علمانية، علما بأن سواد الشعب احتفظوا بحقهم في أن يظلوا مسلمين، غير أن الإسلام لم يعد يشكل جزءاً من تشريع الدولة. ولهذا السبب ذاته لم تسهم السفارة التركية في الجهود المبذولة لتأسيس المركز الثقافي الإسلامي في الدانمارك. فوفقاً لأسس الجمهورية التركية لم تنظر السفارة التركية في الدانمارك إلى إقامة مؤسسات إسلامية على أنها جزء من واجباتها، إذ كان الموقف الذي اتخذته السفارة التركية منسجماً تماماً مع المنظور الرسمي للإسلام في تركيا. أما فيما يتعلق بالمهاجرين الأتراك الذين جرى لمُّ شمل عائلاتهم منذ أواسط سبعينيات القرن العشرين وما بعد، فقد كانت الوقائع مختلفة تماماً. فقد وجدت العائلات التركية بعد لمِّ شملها، أنها أصبحت في مواجهة المجتمع الدانماركي المحيط بها على نطاق أوسع وأعمق بكثير مما كانت تتصور، فغدت وجها لوجه أمام تحديات جديدة، وطرائق تعامل مع الأمور تختلف عن تلك التي ألفُوها. فهل ينبغي للآباء الذين التأمت أسرهم في الدانمارك أن يحتفظوا بتقاليدهم وأعرافهم التي جلبوها معهم من بلادهم أم سينبذوها لمصلحة التقاليد والأعراف الجديدة في ضوء واقع عيشهم الآن في بيئة اجتماعية وظروف مختلفة تماماً؟

اكتشف الآباء من خلال احتكاكهم بالمجتمع الدانماركي على الفور، بأنهم بحاجة إلى أناس مُحصَّنين ثقافياً بحيث يستطيعون دعمهم في المهمة التي يواجهونها. ولهذا سعت مجموعات فردية من الآباء الأتراك لدى السفارة التركية منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين إلى التعبير عن حاجتهم إلى مساعدة أشخاص ضليعين من الدين الإسلامي ليقوموا بتوجيه الآباء الأتراك المقيمين في الدانمارك كيف يستجيبون للمطالب المتنوعة الكثيرة التي فرضتها عليهم البيئة الاجتماعية الدانماركية المحيطة بهم؟ فرفضت السفارة التركية في البداية الاستجابة لهذه المطالب. لأن الأمر كان في نظرها يقع خارج اهتمامات الدولة التركية التي تتمسك بأنها دولة غير دينية.

وتوجهت مجموعات فردية من الأتراك مرَّة أخرى



مسجد نوشرات دجاهان NUSHRATE DJAHAN في هفيدوفر HVIDOVRE - وهو المسجد الوحيد الذي أنشئ أساسًا مسجدًا

بمطالبها إلى المجموعة الأكبر من المهاجرين الأتراك في ألمانيا. فاستجاب لهم هؤلاء وزودوهم بعلماء مسلمين يأتون إليهم في فترات منتظمة، ويقدمون لهم المشورة التي يحتاج إليها الآباء. وكان بعض هؤلاء العلماء أعضاءً في حركات إسلامية سياسية معارضة من حيث المبدأ للأسس التي قامت عليها الدولة التركية. وكانوا يرغبون في أسلمة المجتمع التركي، ويدركون بوضوح أن توسيع دائرة نفوذهم بحيث تشمل الدانمارك سوف يعزز قضيتهم في المدى البعيد. وكان هذا، بالضبط، ما اضطرّ السفارة التركية في كوبنهاغن إلى إعادة تقويم الأمر، فاعترفت السفارة أن قدوم مثل هؤلاء العلماء من بين مجموعات إسلامية في ألمانيا يمكن أن يؤثر في آراء الأتراك المقيمين في الدانمارك وأفكارهم بطريقة لا تَسُر السفارة ولا تركيا نفسها.

وبفضل هذا الاعتراف غيَّرت السفارة التركية لهجتها وشرعت منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين بإرسال أعداد قليلة من العلماء الأتراك ليكونوا مرجعًا للأتراك المقيمين في الدانمارك في الشؤون الثقافية. وبدأ هؤلاء العلماء بعقد دورات للأطفال والفتيان في المساجد والجمعيات التركية لتزويدهم بمعلومات عن الثقافة التركية والتاريخ التركي. وبذلك تكون الحكومة التركية قد ضمنت تزويد الأطفال والفتيان بمعرفة مُحكَمة عن الإسلام بالأسلوب الذي يُفسر فيه الإسلام في تركيا. لقد اتسع نطاق هذا النظام اتساعًا كبيرًا خلال ثمانينات القرن العشرين، فاستطاعت المجموعات المحلية من المهاجرين الأتراك أن يُنمّوا مصادرهم الاقتصادية، مما مكّنهم من شراء بيوت حولّوها إلى مساجد غدت بدورها مراكز أساسية للمجتمع التركي المحلي. وبالمثل كان حال مجموعات الأتراك المهاجرين في كوبنهاغن وفاروم FAR-UM وإشوج ISHOJ، وهولباك HOLBAEK وسلاجيلس SLA-GELSE وآرثوس.

ويمكن ملاحظة التطور نفسه في مجموعات قومية أخرى من المسلمين المقيمين في الدانمارك، فمنذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين وطّدت مجموعة الباكستانيين

المهاجرين نفسها بالطريقة ذاتها بفضل مساجدها المحلية، ومدارس القرآن الخاصة بها، وجمعياتها المختلفة. ولكن، بينما كانت تركيا نشيطة رسميًا من خلال سفارتها في كوبنهاغن في توطيد الإسلام من منظور تركي في الدانمارك، لم تكن الباكستان كذلك؛ إذ كانت عملية تنظيم مجموعات المهاجرين الباكستانيين تقع على مستوى مسؤولية جمعيات ومنظمات متطوعة؛ لأن الدولة الباكستانية لم تكن مهيأة اقتصاديًا لدعم مثل هذا العمل.

لقد أنشئ حتى الآن نحو خمسة وخمسين مسجدًا في مختلف أنحاء البلاد؛ ويلتحق بهذه المساجد مدارس قرآنية تُعقد فيها دورات للأطفال المهاجرين واللاجئين المسلمين لتزويدهم بما يلزم من معرفة التراث الإسلامي. وإضافة إلى هذه المدارس هناك سلسلة من مدارس القرآن في عدد من المدن الكبرى في الدانمارك غير تابعة للمساجد، وتُدار من قِبَل قطاع خاص.

الجدول (٢): المدارس الإسلامية الخاصة في الدانمارك*

اسم المدرسة	موقعها	تاريخ تأسيسها	عدد طلابها عام ١٩٩٤م
الأقصى	فريدريسبرغ FREDERISBERG	١٩٨١	٩٤
المدرسة العربية الإسلامية	كوبنهاغن COPENHAGEN	١٩٨١	٢٠٥
مدرسة صامد	هيليرب HELLERUP	١٩٨١	١٣٠
مدرسة جناح	كوبنهاغن	١٩٨٤	٩٩
مدرسة إقبال	كوبنهاغن	١٩٨٣	١١٣
مدرسة الحكمة	كوبنهاغن	١٩٩٣	١٣١
مدرسة هدى	كوبنهاغن	١٩٩٢	١٥٢
هوكا أحمد يسيفي HOCA AHMED YASEVI	كوبنهاغن	١٩٩٣	١٣٥
مدرسة الإيمان الإسلامية	أرثوس ARTHUS	١٩٩٢	١٦٥

الجدول (٣): عدد الأطفال المسلمين في المدارس الأولية الدانماركية لعام ١٩٩٤م*

الجنسية: طلاب يتكلمون لغة أجنبية*	العدد	النسبة المئوية من إجمالي العدد
أتراك	٨٣٦٢	٢٧ر٥
مغاربة	٨٥١	٢ر٨
صوماليون	٩٩٠	٣ر٣
إيرانيون	١٦٠٤	٥ر٣
عراقيون	٩٤٠	٣ر١
لبنانيون	٢٢٤٩	٧ر٤
فلسطينيون	١٧٣١	٥ر٧
باكستانيون	٢٩٤٠	٩ر٧

* المصدر: أرقام وزارة التربية، الدانمارك.
* مجموع عدد الأطفال في المدارس الأولية الدانماركية ممن ليست لغة أمهاتهم الدانماركية هو ٣٠٣٨٦ طالبًا وطالبة.
* نسبة عدد الطلاب الذين يتكلمون لغة أجنبية إلى عدد الطلاب الإجمالي هي ٩٧ر٥٪.

المدارس الإسلامية الخاصة

لقد بادر المسلمون المقيمون في الدانمارك خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين إلى إنشاء عدد من المدارس الإسلامية الخاصة، وأصبح لدى كل مجموعة أبوية فرصة افتتاح مدرسة خاصة، فمارس بعض الآباء المسلمين هذا الحق. ويتضمن الجدول (٢) المدارس الإسلامية الخاصة العاملة حاليًا، وعدد الصفوف في كل منها والسنة التي افتتحت فيها المدرسة. ومن أجل الموازنة يبين الجدول (٣) عدد الأطفال من أبناء المجموعات القومية الإسلامية المسجلين في المدارس الأولية الدانماركية. وكما هو واضح من الموازنة، نجد أن المسجلين في المدارس الإسلامية الخاصة من أطفال المسلمين المقيمين في الدانمارك يُشكلون أقلية.

المهاجرون واللاجئون

من خلال المنظور التاريخي، ينبغي أن يُفهم تمامًا أن إقامة مؤسسات إسلامية في الدانمارك تحت اسم مساجد، ومدارس قرآن وجمعيات، ومدارس خاصة لم تكن أبدًا دليلاً على نشاط دَعَوِي إسلامي موجه ضد غير المسلمين في الدانمارك، بل إن نمو المؤسسات الإسلامية المتخصصة نموًا تدريجيًا منذ أواسط سبعينيات القرن العشرين حتى الآن يُعَدُّ انعكاسًا لإدراك المسلمين في الدانمارك أن حلَّ القائمة الطويلة من الإشكالات التي واجهتهم يكمن في بذل جهود جماعية ومجتمعية. فإلقاء نظرة مقارنة على موقف المؤسسات الإسلامية تجاه

البيئة المحيطة بها يُظهر بوضوح أن هذه المؤسسات مهتمة جداً الآن في الدخول في حوار مع المجتمع الدانماركي.

وفي هذا السياق يمكن إدراك التحول الذي حدث بين موقف هذه المؤسسات منذ نشأتها حتى ثمانينيات القرن العشرين وموقفها بعد ذلك. ففي المرحلة الأولى كان تفسير القرآن الذي يطرحه المسلمون في مختلف المساجد والجمعيات تفسيراً دفاعياً بوجه عام، إذ كان همهم الأول هو الحفاظ على تفسير الإسلام كما ألفه الآباء في البلدان التي جاؤوا منها بغض النظر عما إذا كانوا مهاجرين أو لاجئين، بيد أن هذا الموقف قد تغير منذ نهاية ثمانينيات القرن العشرين.



تنوع المجموعات الدينية واللغوية قضية تشغل المجتمع الدانماركي

وكان هذا التحول نتيجة عدد من الاتجاهات المختلفة التي أثّرت في المسلمين المقيمين في الدانمارك. وربما كان من أهم هذه المؤثرات الموقف الذي كان سائداً بين المهاجرين منذ نهاية ثمانينيات القرن العشرين المتمثل في إحساسهم بأن خطتهم الأصلية للعودة إلى أوطانهم التي جاؤوا منها في أواخر ستينيات القرن العشرين ومطلع سبعينياته لن تتحقق؛ فكان لهذا الإدراك لمثل هذه الحقيقة أهمية حاسمة فيما يتعلق بالأسلوب الذي ينبغي أن يتعاملوا به مع المجتمع المحيط بهم.

وبقدرِ ما كان إيمانهم بالعودة إلى أوطانهم في يوم من الأيام حيّاً في صدورهم، كان اهتمامهم بمحاورة العالم من حولهم محدوداً. وحدث العكس تماماً حين آمنوا بحقيقة أن وجودهم في الدانمارك أصبح دائماً عاملاً مشجعاً على تعاظم اهتمامهم بما يمكن أن يكون ذا أثر في المجتمع الدانماركي الذي يعيشون فيه.

وكان المهاجرون الشباب يشكلون عنصراً جوهرياً في هذا التحول الذي حدث في أواخر ثمانينيات القرن العشرين. وبما أن كثيراً منهم قد نشأ في مجتمع دانماركي، لم يكن غريباً أن يشعروا بالولاء لهذا المجتمع، على الرغم من أنه يختلف عن المجتمع الذي خرج منه آباؤهم. وباختصار يمكن القول: إنه بفضل اختلاف المجتمع الدانماركي عن مجتمع آباء هؤلاء الشباب المهاجرين اختلافاً جذرياً، أدركوا أنه لابد لهم من إيجاد صيغة لحياة إسلامية تفتح آفاق الحوار مع المجتمع الذي يعيشون فيه حالياً. وقد توصل إلى هذه الصيغة عدد من الأئمة في المجتمع الإسلامي في الدانمارك في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، إذ اقتنع هؤلاء الأئمة قناعةً كبيرة أنه، لكي يستمر هؤلاء الشباب في انتمائهم إلى الإسلام، لابد من مواءمة التراث الإسلامي مع أسلوب حياة المسلمين المتطور في الدانمارك مواءمة بناءة.

والواقع أنه إذا ما أنعمنا النظر في تطور الجمعيات المختلفة التي بادر هؤلاء الشباب إلى إنشائها في نهاية ثمانينيات القرن العشرين، ونموّها، يبدو لنا جلياً أن هذه الغاية قد تأصلت في أذهانهم. فبينما كان الآباء يوائمون أنفسهم عموماً مع الإسلام الذي كان شائعاً في البلدان التي قدموا منها، نجد جيل الشباب قد وطد عبر السنوات الأخيرة حقيقة وجود فرق بينهم وبين جيل آبائهم بفضل أسلوب الحياة والظروف التي يعيشونها في الدانمارك، التي أصبح المجتمع فيها، بفضل عملية لم شمل العائلات، مجتمعاً متعدد الثقافات.

آلية صناعة القرار

الجودة أو أمية القرن الحادي والعشرين

حمدي محمد مسعد الجمل
بور سعيد - مصر

لعل من أول الأنشطة التي يمارسها الإنسان منذ طفولته عملية اتخاذ القرارات؛ فالطفل الذي ترك بقية قطعة الحلوى مفضلاً عليها لعب الكرة مع أقرانه هو بالفعل قد مارس عملية اتخاذ القرار مثلما مارسها الرئيس الروسي الأسبق ميخائيل جورباتشوف لحل الاتحاد السوفييتي منهيًا واحدًا من أهم فصول التغيرات العالمية في القرن العشرين. لكن الفرق إنما يرجع إلى المستوى المهاري الخاص بصناعة القرار واتخاذه، تلك الصناعة التي استجابت بمرونة فائقة للتطور العلمي، خاصة في مجالات إدارة الأعمال وتقانة (تكنولوجيا) المعلومات.

وتبدو أهمية عملية صناعة القرار في أنه يترتب عليها إخفاق أو إنجاز الإنسان لمهامه وأهدافه، فضلاً عن كونها أداة الإنسان للرشد في ممارسة حياته، واستخدامه للموارد واستثماره للفرص ومواجهة الأزمات والتحديات، لذلك فلم تعد ضرورة فهم عملية صناعة القرار ترفًا «أرستقراطيًا» أو حكرًا مهنيًا لإدارة الأعمال والسياسة، ذلك أن طبيعة ممارسة الإنسان لحياته قد تعقدت بفعل عوامل كثيرة، من أهمها تنامي استخدام النظم الذكية في المجالات المختلفة، وتشابك كثير من متطلبات ممارسة هذه الحياة وتكاملها في شكل نُظُم متداخلة، وفي بيئة أخذت دائرتها في الاتساع لتشمل العالم كله، وفي ظل تكثيف معرفي غير مسبوق، واشتداد ندرة الكثير من الموارد التي استهدفتها تنافسية شرسة لا تتعلق فيها القدرات التنافسية بالمنظمات فقط، بل تتجاوزها إلى جماعات فرق العمل بل، إلى الإنسان الفرد.

ولعل في هذا المقال دعوة لمزيد من الاهتمام بثقافة صناعة القرار التي تحقق «المواطنة العالمية الصالحة» في القرن الحالي.

ويشير مفهوم صناعة القرار وفقًا لسيمون ١٩٧٧م Herbert A.simon إلى أنها «عملية اختيار تصرّف من بين مجموعة أبدال من أجل تحقيق هدف / أهداف(١)».

ومن هذا المنطلق فنحن أمام ما يأتي:

- مجموعة من التصرفات التي تمليها المعرفة والخبرة والدعم المعلوماتي والاستشارات وغيرها.
- هذه المجموعة تتضمن تصرفًا واحدًا مستهدفًا للاختيار.
- يلزم لاختيار التصرف من بين الأبدال منهج يستخدم التفكير العلمي الفعال.

ويعني ذلك ضرورة إدراكنا للتصرفات البديلة، ووعينا أسس التمييز بين هذه الأبدال، والاستناد إلى معايير للتمييز والتفضيل. هذه العمليات «الإدراك - استخدام المعايير - الاستنباط...إلخ» هي من اختصاص العقل الواعي الذي يقوم بها عبر التفكير.

التفكير مؤسسة لإنتاج القرار

ينبغي أن يكون التفكير المعني بصناعة القرار هو التفكير العلمي، ذلك الذي يصفه فؤاد زكريا بأنه «طريقة في النظر إلى الأمور تعتمد

أساسًا على العقل والبرهان المقنع بالتجربة أو بالدليل»(٢). هذه الطريقة في النظر إلى الأمور أو (التفكير) يمكن النظر إليه بوصفه «ضربًا تجريبيًا من الفعل، يتم بإنفاق جزء بسيط من الطاقة، ويرتبط بعناصر مدركة في الزمان»(٣)، وقد اختزل قاموس وبستر ذلك في معنى يدل على اختبار الوعي.

والوعي، أو الاطلاع الشعوري Awareness كما يسميه بعضهم؛ يتخذ أشكالاً كثيرة تتدرج من الإحساس بالألم إلى الوعي بالذات Self Conscoiousness. إن التفسير الشائع لكيفية عمل العقل «بوصف أن الوعي هو الحياة الذاتية للعقل» يقوم على أساس رؤية أنشطة العقل سلوكًا لمجموعات كبيرة من الخلايا العصبية «يقدرها ناثان كلاين Nathan Kline بنحو عشرة آلاف مليون خلية»(٤) يتفاعل بعضها مع بعض.

الخبرة الواعية

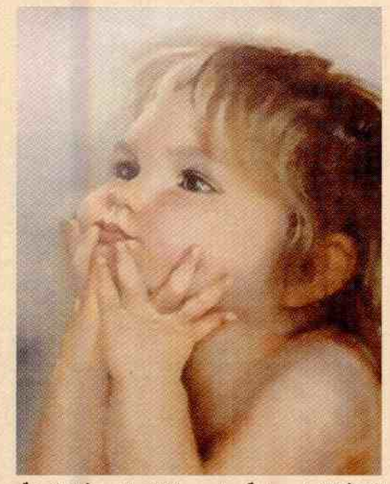
يعدّ مدخل التمييز بين المشكلات السهلة والمشكلات الصعبة مفيدًا لدراسة الخبرة الواعية Con-scious Experience، التي تعد بدورها أحد عناصر التفكير لاتخاذ قرار. والمشكلة السهلة ليست بالضرورة بسيطة كما قد يبدو، وإنما تتضمن الكثير من التحديات التي تواجه علماء النفس ووظائف الأعضاء، وهي مشكلات تتعلق بالطريقة التي نميز بها بين المنبهات الحسية وتحقق الاستجابة المناسبة لها، وكيفية تحقق التكامل بين المعلومات ومصادرها المختلفة، والتي يُنتفع بها في توجيه السلوك، وكذلك كيفية التعبير بالكلام عن الحالات الداخلية لنا، فهي إذن تحتوي على الأسئلة التي ترتبط بالآليات الموضوعية، مثال ذلك متابعتنا مشاهدة نشرة أخبار التلفاز، وقد تضمنت نبأ تقرير إنشاء صندوق لدعم انتفاضة الأقصى، وما يترتب عليها من استجابتنا بوصفنا مشاهدين، واتخاذنا قرارًا بالتبرع لهذا الصندوق.

أسئلة محيّرة عن تفاعلات المخ

إن المشكلة التي يتناولها الوعي هنا هي التفاعل مع انتفاضة الأقصى وتفعيلها، وهي ليست سهلة، بمعنى بسيطة هينة، على الإطلاق، وإنما يخضع تناولها لآليات موضوعية للنظام المعرفي Cognitive Sys-tem، بمعنى أننا قد وعينا موقفنا تجاه كل من صاحب الحق المُعْتدى عليه، والعدو المعتدي الذي يمارس طغيانًا أدركنا بشاعته، خاصة وأننا من منطلق قيمنا - من كوننا عربًا - ندرك ما للمسجد الأقصى - كمصدر للصراع - من حرمة ومكانة. وعلى ذلك فقد استجبنا بما رأينا أنه يحقق الهدف وهو التفاعل والتفعيل.

أما المشكلات الصعبة التي يكمن فيها الغموض المركزي، فهي تتمثل في السؤال عن الطريقة التي تؤدى بها العمليات في المخ، والتي تسبب الخبرة الذاتية، فعندما نرى - على سبيل المثال - مشاهد من الانتفاضة، ندرك (إحساسات بصرية) مثلاً لون الزي العسكري للجنود، ولون الدم، كما ندرك (أصوات) الطلقات والقذائف، كما أننا (نتأمل) أثناء إعمال تفكيرنا في ما نشاهد من أحداث النشرة، هذه المشاهد التي نعيها قد نتجت عن عدة تفاعلات في المخ بين عدة عمليات ذهنية فرعية، هي التي أدت إلى إدراكنا ما وعيناه من أحداث، وتتمثل هذه الظواهر (إحساسات بصرية وسمعية وتأمل) في السر الحقيقي للعقل، والذي مازال البحث فيه يواجه صعوبة حقيقية في تفسيرها. وبعبارة أخرى يمكن القول بأن هناك حقائق عن الخبرة الواعية لا يمكن استنباطها من الحقائق المتعلقة بوظائف الأعضاء في الجسم، ومنها وظائف المخ. إن الغموض الذي يتعلق بأسباب إنجاز الوظائف العضوية كالمخ مصحوبًا بالخبرة الواعية هو ما يجعل المشكلات الصعبة توصف بالصعوبة. هنا قد يُطرح سؤال مهم: ما علاقة الوعي

بالخبرة؟ ونجد في مثال (الترموستات) إجابة، فهذا الجهاز يحتوي على بعض المعلومات، ولكن هل هو واع؟ إن المعلومات التي بداخله تشكل مع تصميمه وتشغيله آلية محددة، إذا كان س (تشغيلاً) فلا يكون ص (توقفاً). فالخبرة إذن يمكن برمجتها، ولكن الخبرة الواعية تظل مجال بحث يتطلب تفسيراً واضحاً. وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن النظم الخبيرة وشبكات العمل العصبية ضمن نظم الدعم الذكي للمعلومات (الذكاء الاصطناعي) كلها تقوم على الخبرة فقط، وليست الخبرة الواعية. وثمة سؤال آخر يطرح نفسه أيضًا، هل الوعي هو الدراية؟ تُعَرَّف الدراية بأنها «تلك العمليات التي بواسطتها تكون المعلومات التي في المخ متاحة كلية للعمليات الحركية من الكلام والفعل الجسماني»(٥) فالدراية أمر موضوعي وعضوي، بينما الوعي ليس كذلك، ويمكن القول بأنه حيث توجد الدراية يوجد الوعي. ويرتبط الوعي بالذاكرة، فلا يمكن تصور الوعي من دون ذاكرة لما حدث الآن، حتى وإن كان حدثًا قصيراً جداً ربما لا يستغرق سوى بضع ثوان. وهنا يفرق العلماء بين الذاكرة الأيقونة Iconic Memory، وهي ذاكرة تستغرق جزءاً من الثانية، مثلما يحدث عندما يدرك أحدنا خلال الكتابة أنه قد وقع في خطأ إملائي، أو عندما يشعر أحدنا وهو يقرأ القرآن الكريم أنه قد وقع في خطأ التلاوة، فقد استنتج إيفرون «أن الوقت اللازم لمعالجة المعلومات وصولاً إلى الإدراك يبلغ نحو ٦٠ إلى ٧٠ مليثانية، ونجد أيضًا مُدَدًا مماثلة في تجارب استخدمت النغمات في الجهاز السمعي، والذاكرة العاملة Working Memory وهي تستغرق ثواني قليلة مثل تلك المستخدمة في تذكر رقم هاتف معين»(٦). وليس من الواضح بعد إن كانت هاتان الذاكرتان تشكلان أساسًا لحدوث الوعي أم لا؟ كما يشير جاكندوف إلى أن الوعي يغنيه الانتباه الذي، إن لم يكن أساسيًا لبعض أنواع معينة ومحددة من الوعي، فإنه ضروري


اتخاذ القرار عملية يمارسها الإنسان منذ الطفولة

للوعي الكامل. وقد قسم التفكير قديماً وحديثا تقسيمات مختلفة، ولكن ما يهمنا عندما نفكر لنتخذ قراراً هو أننا بصدد اتجاهين، هما التفكير بالنص، والتفكير المجرد/المطلق، وقد خلط بعضهم بين التفكير بالنص والتفكير بالنموذج، مما يستوجب التفريق بينهما، فالأخير مصدره تجربة إنسانية تحمل في طياتها عوامل ومتغيرات مختلفة تؤثر في النجاح والإخفاق عند الاقتداء بها، والنموذج مرهون بثبات موقفه بينما تخضع الطبيعة الحركية لأحداث الحياة للتغير المستمر؛ وهذا يعني أن النموذج يحمل في طياته مخاطر التفكير بواسطته، بينما التفكير بالنص مصدران: مصدر شرعي (كالكتاب والسنة)، ومصدر نظامي (كالقوانين والمواثيق والاتفاقات والضوابط والبروتوكولات وغيرها)، ويتميز النص الشرعي - بوصفه تجاهاً للتفكر - بأنه عنصر حاكم ذو دافعية عالية، والتزامه يميزه من الإلزام في غيره، وهو عنصر حاكم في تفاعلات الوعي مع متغيرات اتخاذ القرار ومحدداته وليس العكس، فالنص يؤثر في عملية التفكير في اختيار البديل، بينما لا تؤثر عملية اختيار البديل في النص ذاته، أما النص المجرد فقد تستدعي الضرورة عند اختيار البديل بواسطته تغيير النص ذاته، أو التحايل عليه، أو تفادي آثاره، أو الالتفاف حوله، أو تطبيقه عبر تفسيرات مختلفة، ولعله من اليسير بعد هذا العرض لآلية التفكير أن ندرك أن التفكير مهارة ككثير من المهارات التي يمكن تعلمها، ولكن مستويات إتقان هذه المهارة تتفاوت من شخص إلى آخر وفقًا للقدرات.

صناعة القرار واتخاذه

يفرق بعض الباحثين بين مصطلحي «حل المشكلة» و«صناعة اتخاذ القرار»، ويستخدمون للتمييز بينهما طرائق، منها: اختيار أبعاد عملية اتخاذ القرار وهي: الاستعلام، والتصميم (التكوين)، والاختيار، والتحديد.

وترى إحدى المدارس الفكرية أن العمليات التي تتضمنها الخطوات (١-٤) جميعها تمثل حل مشكلة، وأن خطوة الاختيار فقط تعدّ اتخاذ القرار، بينما ترى مدرسة أخرى أن الخطوات (١-٣) تشكل صناعة القرار، وأنه بإضافة الخطوة رقم ٤ التي يتولاها متخذ القرار يصبح مجموع الخطوات الأربع ما يكوِّن مصطلح حلِّ مشكلة.

وعلى الرغم من أن هناك تداخلاً بينها يتضمن الكثير مما يحتويه كل منهما، فإن تطور صناعة المعلومات قد أوجد اختصاصات مهنية لوظائف تشكل في مجموعها مهمة صناعة القرار، ليقوم متخذ القرار بعملية التحديد، وكذلك المساهمة في الاختيار.

مراحل اتخاذ القرار

عندما يضطرب ولي أمر لشعوره بأن العام الدراسي أشرف على الانتهاء واكتشف ضعف المستوى الدراسي لابنه مؤخراً، هذا الاضطراب سيصبح مصدراً للضغط عليه ليتخذ قراراً لحل المشكلة والعمل على تحقيق الهدف وهو النجاح في اختبارات آخر العام. أما إذا تجاوز هذا الاضطراب الحد ليتحول إلى خوف فإنه سيعمل في اتجاه معاكس لاستخدام الذكاء والخبرة والقدرات المختلفة. ففي الحالة الأولى (الضغط لاتخاذ قرار) تتاح أمام ولي الأمر العمليات الآتية:

- الإحساس بالاضطراب أو القلق يعني وجود مشكلة أو تفاقمها. (دعوة للإدراك)
- تبدأ عملية إدراك طبيعة المشكلة والإلمام بأبعادها. (دعوة للتحليل والتفسير)
- صياغة المشكلة بحيث يمكن من خلال التفكير تناولها ومواجهتها. (تهيئة المشكلة لمحاولات الحل)
- تعرّف الأهداف من وراء حل المشكلة بما في ذلك تحديد المخاطر والموارد والإمكانات. (تصعيد مخصصات القرار)
- تجميع واستخدام البيانات والمعلومات المُمَحِّصة لكل بديل وسُبُل مواجهة المخاطر. (دعم القرار)
- تحديد الأبدال (الاختيارات) مع مراعاة عدم التحيز لبديل ما دون اختبار موضوعيته، وتميزه من غيره، واستيفاء الدراسة الخاصة بكل بديل. (تحديد إطار الحلول).
- اختيار البديل المفضل وتعرف مستلزمات إنجاز هذا البديل وإجراءاته (مقترح بالحل).
- اتخاذ القرار ومتابعته وتوجيه أثره.

جمع المعلومات من أهم مراحل صناعة القرار

مكونات القرار

يتكون القرار من شقين، أحدهما: الشق العقلاني، والآخر: الشق العاطفي، ويتكون الشق الأول من عمليات التفكير بما فيها من تمييز، وإيجاد معايير واستخدامها، وإدراك واختبار واختيار ودعم معلوماتي، وغيرها من تلك العمليات الناتجة من التفكير.

أما الشق الثاني فمجاله الذكاء العاطفي The Emotional Intel-ligence الذي يتكون من عمليات ضبط النفس والحماسة والمثابرة والقدرة على حفز النفس، وكذلك تلك الصلة بين الإحساس والشخصية والاستعدادات الفطرية/ الأخلاقية، «فالمواقف الأخلاقية الأساسية في الحياة إنما تنبع من قدرات الإنسان العاطفية الأساسية، ذلك أن الانفعال بالنسبة إلى الإنسان هو (واسطة) العاطفة، وبذرة كل انفعال هي شعور يتفجر داخل الإنسان للتعبير عن نفسه في فعل ما» (٧). ومن الضروري لهذه المكونات جميعها أن تكون في حال انسجام وتوازن، ذلك أن أي خلل في قدرات الذكاء العاطفي، مثل ضعف مستوى حفز النفس، يؤثر سلباً من صناعة القرار، كذلك الخلل في قدرات التفكير، فالتناقض الذهني Cognitive Dis-sonance، وهو حالة التوتر التي يشعر بها الإنسان عندما تتنافر المكونات الذهنية للفرد بعضها مع بعض، يؤثر سلباً في القرار أيضاً.

إطار القرار

يشير مفهوم إطار القرار إلى تحديد ما ينبغي التركيز فيه، والتزام أن يشتمل حل المشكلة على جوانبه، ففي مثال نشرة الأخبار يتمثل تحديد ما ينبغي التركيز فيه في وجوب دعم قدرات الانتفاضة، وتأكيد إعلان التضامن معها بوصفها رسالة واضحة وتعويض الإخوة في الأرض المحتلة عن بعض آثار العدوان. وينبغي التفرقة بين إطار القرار Decision Framing وخلفية القرار Metadecision، حيث يشير مفهوم خلفية القرار إلى التفكير في القضايا الأهم التي يواجهها القرار، وتتضمن أسئلة مثل: ما هو محور المشكلة الأساسي؟ وكيف يمكن صناعة قرار لهذه المشكلة؟ وكم من الوقت يلزم؟ وكم من التكلفة؟ وما مقدار الجهد أو الطاقة؟ ففي مثال نشرة الأخبار يتم التفكير في كيفية دعم الانتفاضة، وتقدير ما يمكن توفيره من هذا الدعم، والجدول الزمني، وآلية التنفيذ.

أنماط متخذي القرار

درج الكثير من الباحثين على تقسيم أنماط متخذي القرار عدّة أنماط من أهمها ما يأتي:

- **المسوِّف**: من يختلق مسوّغات لتأجيل اتخاذ القرار.
- **المتهور**: هو السريع الاستجابة دون تفكير في الاحتمالات والتداعيات.
- **المحافظ**: من يتجنب المخاطرة ولا يثق في نتائج غيره غالباً، ويرفض التغيير.
- **الانتخابي**: من يعتمد على المشورة دائماً، ويهتم بالآراء.
- **الباحث**: الذي يهتم بالتفاصيل ويسعى لمزيد من المعلومات واستخلاص العبر، ويجهد نفسه في تأصيل القواعد.
- **المثالي**: من يخطو خطوات كبيرة تتجاوز إمكاناته، ويتميز بطموح زائد ويتبع معايير فائقة التميز.

تأمين القرار

يتعرض القرار لمخاطر تهدد صحته وفاعليته، فمتخذو القرار يتعرضون لمواقف شتى، منها الغضب، فالقرار الذي يتخذ تحت وطأة الغضب يحمل في طياته عوامل إخفاقه، كما قد يُفقدُ عنصرُ المفاجأة في الأزمة بعضَ متخذي القرار اتزانهم وتوافقهم النفسي، والاستقرار الذهني اللازم لمواجهتها، كذلك كثرة ضغوط العمل إذا ما تجاوزت حدها اللازم لزيادة الدافعية، وتحولت إلى عامل توتر وإحباط.

جودة اتخاذ القرار

ليس من الصعب الوقوف على صفات الجودة لعملية اتخاذ القرار، فجميعها تنطلق من واقع بيئة مستقرة متوازنة، ومن منطلق شرعي لا يتنافى مع حكم شرعي أو نظام يستقيم به الصالح العام. ولعل من أهم هذه الصفات ما يأتي:

- أن يعكس القرار القيم الشخصية لمتخذه.
- أن يلبي حاجات فعلية محددة.
- يواجه المشكلة مواجهة فعالية خالية من اللبس أو التأجيل أو الهروب أو الإحالة إلى الآخرين من جانب المسؤول عنه.
- الإدراك الجيد لمتطلبات القرار، وربطها بالموارد والإمكانات والقدرات المتاحة.
- تأمين القرار ومراجعته.
- إحساس متخذ القرار بالرضا النفسي عند اتخاذه.
- استخدام الحدس وقتما تتوافق الخبرة الواعية مع الموقف.
- إحكام السيطرة على أثر القرار، وتوجيهه، ونقل هذا الأثر وفقاً للأهداف.

وبعد فلعل الغاية من وراء هذا المقال الموجز لفت الانتباه إلى أهمية إجادة عملية اتخاذ القرار لكونه مؤهلاً ضرورياً للتأثير في أحداث القرن الحادي والعشرين، ونحسب أن ذلك يدفعنا بقوة نحو تدبّر قوله تعالى: *أَفَلَمْ يسيروا في الأرض فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكنْ تعمَى القلوبُ التي في الصدور*. **الحج**: ٤٦.

المراجع

1 - Efarim Turban & Joy E. Aronson, Decision Support Systems and Intelligent systems, Fifth Edition, Prentice - Hall. International. Inc. U.S.A. 1998. p.34.

٢- فؤاد زكريا، التفكير العلمي، الطبعة الثالثة، عالم المعرفة، (٣) مارس، الكويت، ١٩٨٨م، ص١٣.
٣- عبدالمنعم الحفني، موسوعة علم النفس، الجزء الثاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٤٠٥.
٤- يمكن الرجوع للمزيد إلى: يوسف عز الدين عيسى، بيولوجيا الاتصال، عالم الفكر، (٢)، الكويت،١٩٨٠م، ص١٣.
٥- ديفد ج. تشالمرز، لغز الحياة الواعية، مجلة العلوم: الترجمة العربية لمجلة Scientific American، (٣/٢) فبراير/مارس، الكويت، ١٩٩٩م، ص٢٨.
٦- كريك ف. مشكلة الوعي، مجلة العلوم: الترجمة العربية لمجلة Scientific American، (٣/٢) فبراير/مارس، الكويت ١٩٩٩م.
٧- دانييل جولمان، ترجمة ليلى الجبالي، الذكاء العاطفي، عالم المعرفة، (٢٦٢) أكتوبر، الكويت، ٢٠٠٠م، ص١٢.

معايير الجمال والملاحة

خالد عبدالله إبراهيم الخميس
الرياض - السعودية

ما الأجمل في نظرك الإنسان أم الحيوان، المرأة أم الرجل، السود أم البيض أم الملونون، العين الزرقاء أم العسلية أم السوداء ، الشعر الذهبي أم الأسود أم الأبيض، الشعر المجعد أم الناعم أم الخشن؟ متى يكون اللون الأسود مفضلاً على اللون الأبيض؟ هل الأوربيون هم بالفعل أجمل الأعراق الانسانية؟. كل هذه الموضوعات تنصب في مسألة تعرف معايير الجمال وخصائصه، وهي قضية تقود إلى البحث في الأصول المركبة لمعايير الجمال، وهل هذه الأصول فطرية أم مكتسبة؟ وما مدى ارتباط تلك المعايير بثقافة الشعوب وعاداتها؟ أيهما الأجمل الإنسان أم الحيوان؟.

أيهما أجمل الإنسان أم القرد، الإنسان أم الغزال، القرد أم الغزال؟. لاشك أن الإنسان يدعي لنفسه الجمال مع تفضيله جمال حيوان على آخر؛ ولذا فالإنسان - مثلاً - يقول: «القرد في عين أمه غزال». وتبقى هذه المقولة وجهة نظر لا أكثر ولا أقل من طرف الإنسان والإنسان وحده. لكن ماذا لو نطق الحيوان؟ بالتأكيد لو نطق القرد لقال: «الإنسان في عين أمه قرد»، ولربما أضاف: «الإنسان في عين أمه غزال»، إذا كان يفضل شكل الغزال على الإنسان. ولقال الغزال: «الإنسان في عين أمه قرد» إذا كان يفضل شكل القرد على شكل الإنسان. والحاصل أن كل إناء بما فيه ينضح، وأن الجمال له خصائص معينة تختلف من كائن إلى آخر. وبحكم سمو الإنسان وسيطرته على الحيوانات كافة فهو من يرسم السياسة الأخيرة لمدلولات المعاني. ولا غرو، فالإنسان ملك الغابة، وليس الأسد كما يقال، والإنسان أسرع الحيوانات، وليس الفهد كما يقال، والإنسان - في الأخير - هو أجمل الحيوانات.



لوحة لفان جوخ

لقد فضل الإنسان بخصائص ومميزات جعلته يسخّر جميع الحيوانات لخدمته، وفي هذا إشارة

إلى قوله تعالى: *ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا*. **الإسراء: ٧٠**. وبهذا التفضيل أصبح الإنسان يستحق أن يلقب بخليفة الله في الأرض، وأصبح يستحق أن يحدد معايير الجمال.

أيهما أجمل الرجل أم المرأة؟

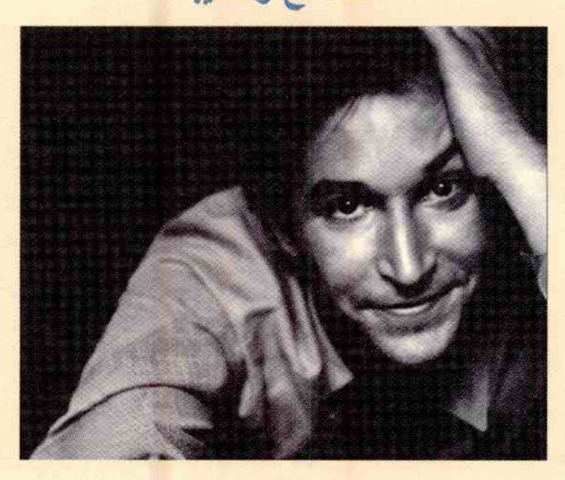
أيهما أجمل المرأة أم الرجل؟ سؤال لم يطرقه كثيرون، وعندما يطرق تتضارب الآراء حوله. ولكن بشكل عام، إن المرأة ستقول الرجل، والرجل سيقول المرأة. لنعد تأمل هذه القضية من جانب موضوعي نلغي فيه انتماءاتنا الجنسية، ونبتعد فيه عن دوافعنا العاطفية. ضع نفسك أو نفسكِ في موقف حيادي وعدّ نفسك (بفتَح الكاف تارة وكسرها تارة أخرى) لست رجلاً أو امرأة، ثم تأمل شكل المرأة وشكل الرجل، ثم قرر من هو الأجمل؟ لا شك أنه كلما كانت نظرتك مستقلة بعيدة عن الانتماءات الجنسية والميول العاطفية كان القرار أقرب إلى الواقعية.

عندما تتأمل شكل الرجل موازنة بالمرأة فلربما تصفه بصورة جميلة لتقول: إنه كبير الجسم، مفتول العضلات، منتصب القامة، قوي البنية، متناسق القوام. وقد تصفه بصورة قبيحه لتفخم فيه خاصية الخشونة والضخامة. وفي المقابل ربما وصفت المرأة من الجانب الإيجابي على أنها ملساء وناعمة، وقد تصفها بالجانب السلبي بالرخاوة والطراوة والضعف وعدم اتساق الجسم خصوصاً عند الحمل. وعلى أي حال فالمسلّمة التي تقول إن المرأة هي الأجمل مسلمة مشكوك فيها وخاضعة للنقاش والجدال، فليس هناك معايير بيّنة، ومسلمات مؤكدة، ويبقى الجواب مبهماً: أيهما الأجمل الرجل أم المرأة؟ ونتيجة لأن الرغبة البيولوجية الجنسية عند الرجال أكثر نبضاً فإن المرأة من خلال التصور العام للجمال هي الأجمل.

معايير الجمال أهي مكتسبة أم فطرية؟

هناك جزء قليل من سلوكياتنا فطرنا عليه، ولا نحتاج إلى أن نتعلمه، مثل الخوف من سماع الصوت العالي، والخوف من السقوط من المرتفعات إلا أن الغالبية العظمى من السلوكيات نتعلمها ونكتسبها اكتساباً. لقد أثبتت الدراسات النفسية أن معظم الجوانب الانفعالية التي تظهر على الوجه من فرح وحزن واندهاش واشمئزاز هي بطبيعتها جوانب فطرية غير متعلمة من البيئة أو مكتسبة من المجتمع. فالطفل عندما تُقطِّب في وجهه يخاف، وعندما تضحك في وجهه يفرح. فشعور الطفل بالخوف أو الفرح يدلل على أن سلوكياته تلك تمثل سلوكيات مفطوراً عليها، وليست سلوكيات مكتسبة. إن من الأدلة التي تؤيد أن السلوك الخاص بتعابير الوجه الانفعالية وإدراك معانيها يمثل سلوكًا فطرياً، وليس سلوكًا مكتسبًا ما يمكن ملاحظته عند الاشخاص العميان الذين يعبرون عن انفعالاتهم عن طريق الوجه بالكيفية نفسها التي يعبر عنها الأشخاص المبصرون على الرغم من أن العميان لم يشاهدوا التعابير الانفعالية عند الآخرين لكي يحاكوها ويكتسبوها. والحاصل أن تعابير الوجه الانفعالية تمثل جوانب فطرية، وليست متعلمة أو مكتسبة إذ يجمع البشر (الأطفال والكبار العميان والمبصرون) على فهم إيماءات الوجه على نسق ثابت. وهنا تثار قضية مشابهة لتلك المتعلقة بتعابير الوجه الانفعالية، وهذه القضية تتعلق بمعايير الجمال والحسن. فهل هناك معايير ثابتة ومحددة يجمع عليها البشر أم أن هذه غير تلك، وأن معايير الجمال عملية مكتسبة من المجتمع وليست عملية موروثة أو

الجمال الحقيقي هو الملاحة أو الجمال النفسي الذي يظهر في تشكيلة التعابير الانفعالية على الوجه الدالة على مشاعر السعادة والانبساط والاتصاف بأخلاق التسامح والطيبة



فطرية؟ لقد ظهرت دراسات حديثة نشرت مؤخراً في مجلة نيوزويك بتاريخ ١ أغسطس/آب ٢٠٠٠م ترمي إلى معرفة هل إدراك الصوت المتناغم عملية فطرية أم عملية مكتسبة؟ وخلصت تلك الدراسات إلى أن الإيقاعات الموسيقية تحدث انسجاماً في الذبذبات الكهربائية في الدماغ لدى الأطفال على العكس من أثر الإيقاعات المختلة أو المعقدة، وهذا الأمر يدلل على أن الطفل - فطرياً - يدرك الصوت الجميل، والإيقاع المتناغم خصوصاً المبسّط منه. ومن هنا نتساءل هل ينطبق هذا الأمر على إدرك الطفل لخصائص الجمال، فهل هناك - مثلاً - معايير ثابتة عند البشر لوصف الجمال أم أن معايير الجمال تختلف من وقت إلى آخر. والواقع أن ظاهرة الجمال ومعاييره تعد خاصية مكتسبة ومتعلمة ولا تخضع لأي جوانب فطرية أو موروثة. ولا يقتصر الأمر على كون معيار الجمال معياراً يكتسبه المرء من المجتمع، بل إن هذا المعيار - أساساً - ليس له وجود فلسفي ثابت.



يظهر من خلال المشاهدات العامة أن الجمال عند شعب يختلف عن الجمال عند شعب آخر، وأن ما هو حسن عند عرق سيّئ عند عرق آخر، وأن ما هو مستقذر عند أمة مستحسن عند أخرى. ويبقى السؤال مبهماً حول العوامل التي تحدد خصائص الجمال عند البشر. ويبقى ميزان الجمال ميزاناً غير ثابت يتغير بمرور الزمان، ويتباين بتباين الثقافات. وإذا كانت مساحة الفطرة واسعة في تحديد الأصوات الحسنة، وكذلك الروائح الجميلة، فإن مساحتها في تحديد المناظر الجميلة والوجوه الحسنة قليلة أو منعدمة.

أيهما أجمل الهلال أم البدر؟

لقد كان شعراء العرب في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي يتغزلون بمظهر المرأة السمينة، فوصفوها بأعذب العبارات، وشبهوا وجهها بالقمر ليلة البدر، وهي الليلة التي يكتمل فيها دائرية القمر كناية عن اكتمال دائرية الوجه وبلوغ المرأة حداً كبيراً من السمنة. وما نشهده اليوم مناقض لما كان الحال عليه بالأمس، فلقد تغيرت النظرة إلى معيار الجمال، وأصبحت المرأة النحيفة تحتل صدارة الجمال والرشاقة وحق لشعراء اليوم أن يصفوا المرأة الحسناء بالقمر، لكن ليس في ليلة البدر، وإنما في ليلة الهلال.

وهكذا فيما مضى كان البدر أجمل من الهلال، واليوم أصبح الهلال أجمل من البدر. وهو أمر يؤكد تغير مدلولات الجمال من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل. ولعل في لوحات فان كوخ van Gogh مثالاً آخر يؤكد أن خصائص الجمال ليست ثابتة، وأنها تتغير بتغير الزمان. فلقد كانت لوحات فان كوخ مذمومة وقبيحة في عصره لكن النظرة تغيرت في العصور التي تلته بعدما أصبحت لوحاته تمثل مصدراً للإعجاب والإبداع الفني، وهكذا تحولت لوحات فان كوخ عبر زمن ليس بالطويل من مصدر للتهكم والسخرية إلى مصدر لقياس الإبداع. والحاصل أن معايير الجمال معايير تخضع للنظرة السائدة في المجتمع، وليس لها جذور ثابتة في نفوس الأحياء (بيولوجية).

الجمال والملاحة

قالوا: إن نصف جمال المرأة يكمن في ابتسامتها. فللجمال النفسي أو «الملاحة» أثر واضح على انبساط الوجه وانفتاح أساريره، وهو أمر يعكس تشكيلة الجمال الحقيقي.

وعندما يقولون: إن هذا الفتى أو هذه الفتاة ليست جميلة لكنها مملوحة فهم يفرقون بين الخصائص العامة للجمال (منبع الجمال) وخاصية إشراقة الوجه (منبع الملاحة). وهنا نقول: إن مصدر الجمال يتمثل في وجود المعايير المتفق عليها عند الشعوب بينما يتمثل مصدر الملاحة في عملية انبساط الوجه وانفتاح أساريره. والملاحة بهذا يعكس نفسية الشخص ومدى سعادته وانبساطه، فكما أن مشاعر الفرح والحزن والغضب والخجل تنعكس على تقاطيع الوجوه حال مروره بتلك المشاعر، كذلك الأشخاص المكتئبون والمتكبرون والانطوائيون الانبساطيون ينعكس سلوكهم ومشاعرهم على الخريطة الوجهيّة. وبالجملة فإن الجمال الحقيقي هو الملاحة أو الجمال النفسي الذي يظهر في تشكيلة التعابير الانفعالية على الوجه الدالة على مشاعر السعادة والانبساط والاتصاف بأخلاق التسامح والطيبة. ولأن معيار الجمال (الشكل واللون والطول والعرض) غير ثابت عند الأمم وتتغير مواصفاته من شعب إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، على عكس ما يسمى بالملاحة التي تصور مدى أريحية الشخص وانبساطه وعليه فإن معيار الجمال لكي يبقى ثابتًا يجب أن يسند إلى شيء ثابت، وهو ما نعنيه بمقدار الملاحة وإشراقة الوجه وأريحيته.

متى تكون الدميمة ملكة الجمال؟

لو تمت موازنة الجمال بين ملكة جمال العالم وملكة شين(قبح) العالم في حالة تكون فيها ملكة جمال العالم في قمة البؤس والحزن والكآبة، وتكون فيها ملكة شين العالم في أعلى درجات الفرح والانبساط والنشوة والبهجة الحقيقية، وليست المفتعلة.



أثبتت الدراسات أن الناس فطرياً يكرهون الكآبة وما هو مكتئب، ويحبون السعادة وما هو سعيد. فعند رؤية الوجه المكتئب يتسبب عنها شعور بالاكتئاب كما أن رؤية الوجه الصبوح والمتبسم يتسبب عنها شعور بالسرور والابتهاج؟ لو نظرت إلى شخص وهو يضحك مدة دقيقة لوجدت نفسك تقلده وتضحك مثله أو على الأقل تتبسم، وهو ناتج مما يسمى بدافع نزعة التقليد Imitation.

ومن الدراسات التجريبية المثبتة لذلك ما توصل إليه الباحث ملوت Mlot(1998)(نقلاً من كتاب علم النفس العصبي لكاتب المقالة) أن رؤية الوجه الغضبان تؤدي إلى زيادة نشاط اللوزة في الدماغ كما أن رؤية الوجه المتبسم تؤدي إلى تثبيط نشاط اللوزة، علماً بأن اللوزة منطقة دماغية لها دور الأحاسيس والمشاعر المستكرهة.

عودة إلى السؤال عن أيهما الأجمل ملكة الجمال في ذروة تعاستها أو ملكة القبح في ذروة سعادتها؟ بمعنى أيهما أجمل وجه متسقة أبعاده وألوانه إلا أنه يسبب الكآبة والحزن أم وجه آخر متبعثر الأبعاد والألوان إلا أنه يسبب الابتهاج والفرح؟. لا شك أنه مع تباين الآراء في أيهما الأجمل القبيح المنبسط أم الجميل البائس إلا أن هناك دلائل تشير إلى أن الحسم سيكون لمصلحة الوجه الذي يشعر بالسعادة والابتهاج. ومن هنا ستتغير الصورة وستكون أقبح النساء هي الأجمل، وستكون الأجمل هي الأقبح.

كثيراً ما يلتبس عليك الأمر عندما تشاهد شخصاً للعيان قد سبق أن رأيت صورته في مجلة أو جريدة وقد لا تتعرف إليه عند المشاهدة العينية لفارق الشبه بين الصورة والواقع. والسر في هذا الأمر بسيط فهو يرجع إلى اختلاف درجة الجمال النفسي أو ما أطلقنا عليه الملاحة بين الصورة والمشاهد، فلو كان متبسماً في الصورة مكفهراً في الواقع لتغيرت الصورة الجمالية لهذا الشخص، ولصعب عليك التعرف إليه.

الجمال وقانون التعميم

إن اعجابك بشخصية صديق يجعلك تعجب بكل شيء يتعلق به، فقد تعجب بشكله وسيارته وهندامه وذوقه وحركاته وسكناته وكل أمر يمت إلى هذا الشخص بصلة، وهذه الظاهرة تسمى في علم النفس ظاهرة التعميم. إن القوانين التي يخضع لها السلوك الفردي تشابه القوانين التي يخضع لها السلوك الجماعي. فإذا أعجب مجتمع معين بحضارة مجتمع متقدم فإن هذا يمتد إلى الإعجاب بكل سلوك وميزة تميز ذلك المجتمع المتقدم. إن انبهار مجتمع بمجتمع آخر يقود إلى تقليد ذلك المجتمع في ملبسه ومسكنه ومأكله ومشربه وطريقة مشيته وإيماءاته وجميع الأمور التفصيلية بما فيها معيار الجمال. وهكذا يتغير مقياس الجمال عند المجتمع المتخلف ليخضع للصورة التي يرسمها له المجتمع الحضاري ويكون الميزان الجديد للجمال هو الصفات الخَلْقية والخُلقية للمجتمع الحضاري.

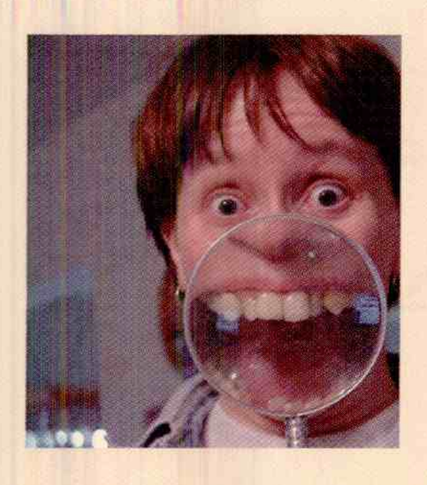
الجمال والحضارة

يصف ابن خلدون أشكال الأوربيين بالشهابة والغبرة. وهذا الوصف كان في زمن كان العرب هم منبع الحضارة والعلم، وكان الأوربيون هم أهل التخلف والجهل، وكان الغرب في ذلك الوقت يتفاخرون بتعلم الكلمات العربية وترديدها. وما نجده اليوم معاكس لما كان بالأمس عليه الحال إذ إن الجمال هو المواصفات الأوربية، فالبشرة البيضاء (الشهباء كما يصفها ابن خلدون)، والعيون الزرقاء، والشعر الذهبي هي الصفات المثالية للجمال.

السلوك الخاص بتعابير الوجه الانفعالية وإدراك معانيها يمثل سلوكًا فطريًا، وليس سلوكًا مكتسبًا، فتعبير العميان عن انفعالاتهم يشابه التعبيرات الانفعالية لدى الآخرين

وبالمثل فاليابانيون إلى حد قريب يوصفون بأنهم فطس الوجوه وعيونهم غائرة ولونهم أصفر، واليوم وبعد ما أثبتوا ثقلهم الحضاري أصبح اليابانيون هم من أجمل الشعوب وأفضلها شكلاً. وهكذا تحولت النظرة الحالية التي كان يوصف بها الجنس الياباني أو الاوربي في القدم من دمامة وقبح إلى النظرة الحالية التي تصف هذين الشعبين على أنهم أجمل الأجناس، وأرقاها خُلُقًا. وكل ذلك يعود بشكل مختصر إلى الثقل الحضاري لتلك المجتمعات.

لو افترضنا جدلاً أنه خرجت حضارة من قلب إفريقية، وأصبحت الصولة والجولة لهم، وأصبح من يقود المعترك الحضاري والسياسي من ذلك الجنس، فهل تتغير معايير الجمال وتنقلب لتصبح البشرة السوداء الإفريقية هي اللون الأجمل، والأنف الواسع هو الأنف الأجمل والشعر المجعد الجاف هو الأحسن؟ لا شك أن قانون التعميم الذي يحكم سلوك الإنسان سينسحب على مثل تلك الأمور ويصبح التغزل بالإفريقيات هو الموضة السائدة. فإذا كنت اليوم - أيتها



الفتاة - قبيحة أو دميمة المنظر فلا تسأمي، فغداً ستصبحين الأجمل عندما تتغير معايير الجمال. وإذا كنت اليوم جميلة فلا تفرحي كثيراً فغداً لربما تفاجئين وستصبحين في عرف الناس قبيحة المنظر.

وما دامت معايير الجمال تتغير بتغير الزمان وظروف المكان فإن التنافس والتسابق ما زالا جاريين في ميدان الشعوب. فمن يفوز بالسبق من الشعوب وتكون لهم الغلبة الحضارية والسياسية هم من يستحقون أن يرسموا معايير الجمال. ويبقى الجواب عن السؤال المطروح في بداية المقال مبهمًا، فمن الأجمل السود أم البيض أم الملونون (البشرة الحنطية)؟ ومن يفوز بالسباق العين الزرقاء الأوربية أم العين العسلية العربية أو العين السوداء الإفريقية؟ من يفوز في السباق؟ لا شك أن السبق سيكون لرواد الحضارة الذين يديرون دفتها، ويهيمنون على القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فهم من يستحق أن يفوز بمعايير الجمال. فهل يا ترى نرى قريباً انقلاباً جديداً لمعنى الجمال؟!

مقدّمة في إعادة درس حكاية مجنون ليلى[١]

محمد كرزون
حلب - سورية

حكاية الحب التي جمعت قيسًا بليلى ليست حكاية عادية عابرة في التراث الإنساني، ولو كانت كذلك لطواها النسيان، أو لبقيت أسطرًا قليلة في بطون كتب قديمة، لا يصل إليها إلا الباحث الأكاديمي، ولكن يعترف معي أغلب القارئين للأدب ومعظم المثقفين، أن قيسًا، بقصته الغريبة، وحبّه وجنونه(١)، هو رمز للعاشق المعَاني، الذي يكابد ويعاني من عشقه، وقد حال المجتمع حينًا والقدر حينًا بينه وبين محبوبته.

هو رمز للعاشق المخلص(٢)، الذي يحافظ على سمعة محبوبته وسمعته حتى آخر رمق من حياته، والذي يرفض أن يثور على العادات الاجتماعية القاسية التي فرّقت بينه وبين حبيبته، بل قل: ظلمتهما في حبّهما دونما سبب مقبول. يرفض أن يهرب بمحبوبته تحت جنح الظلام إلى ديار بعيدة، يرفض هذا وترفضه معه حبيبته. صحيح أنه تمنى لو خفّف المجتمع وطأة حكمه، ومكّنه من التزوّج ممّن يحب، ولكنه في الوقت نفسه لا يرضى أن يتزوج إلا ضمن رضاء المؤسسة الاجتماعية عنه وعن حبيبته، وهذا لم يحصل.

أسمى من الحب الأفلاطوني

وبالمقابل، فإنّنا نرى مجتمعًا قبليًا، تحكمه قيم وعادات صارمة. فعلى الرغم من كل ما عاناه قيس وليلى من لوعة الحب وشدة الشوق وقسوة النوى، فإن المجتمع لم يتنازل أي تنازل، مهما كان بسيطًا، لمصلحة حبّهما الطاهر العفيف، وكأنه كان يرى في زواج ليلى من غير قيس صكّ براءة على عفتها وطهرها ونقاء علاقتها مع قيس، إلى الحدّ الذي يصحّ معه القول، إنّ حبّهما كان أسمى من فكرة «الحب الأفلاطوني» وأقدس؛ فقيس لم يكن محكومًا بعادات مجتمعه فقط، بل كان مسلمًا مؤمنًا يقبل ما شرع الإسلام من مباحات ومحرّمات، فكان يراقب نفسه - شأنه شأن أي ناسك - كيلا يغضب الله ولا يخرج من ساحة المباح إلى ساحة المحرّم، ويتجلّى ذلك في رقة شعوره، ورهافة إحساسه، كما يبدو ذلك في شعره الرقيق الذي يطفح رقة وعذوبة وملامسة لشغاف قلوب سامعيه، إلى الحد الذي يجعل القارئ يتأثر به تأثرًا واضحًا، وإن اختلفت أنواع التأثير عند القراء. بينما يعرّف الحب الأفلاطوني على أنّه حبّ من أجل الحبّ، أي هو حبّ روحيّ، ينحّي العلاقة الجسدية جانبًا، فهو حبّ روحيّ محض، وبذلك يخرج عن الطبيعة البشرية، ويكون وجوده في حياة البشر ضربًا من ضروب المبالغة التي لا تصدّق. وعلى كل فإن الحبّ الأفلاطوني هو فكرة مجرّدة، بينما حكاية قيس وليلى - سواء أصحّت أم لم تصح - هي حكاية مجسدة.

فضلاً عن أنه يحمل معه صورة شمولية للمجتمع الذي ظهر فيه العذريون. فكل عناصر الأسطورة غائبة عن هذه الحكاية، وكل المشاعر الإنسانية حاضرة فيها في أشد ما يكون الحضور بياناً ووضوحاً.

- ولئن كانت الحبكة الدرامية تحمل تشويقًا لا يُستهان به، ودغدغة للعواطف والمشاعر الإنسانية على مرّ العصور، إنّ هذه الحبكة - بجمالها وقوتها الأدبية - قد أغرت بالتشكيك فيها، فكأنّ الطبائع الاجتماعية - مهما أبدعت - لا تُبدع حبكة درامية بهذه المتانة والقوة في التأثير.. ولعلنا نقول لمن يظن ذلك: إن المجتمعات تُبدع أكثر من ذلك، هي تُبدع حكايات مترابطة الحبكات، إلى الحد الذي قد يصعب على أي أديب أو فنان صياغة مثيلاتها، ولا أدل على ذلك من حكايات الحروب أو النكبات الطبيعية الكبرى، كالزلازل والعواصف وغيرها.. وما يتبعها من مفارقات عجيبة تؤدي إلى تشتيت شمل أسرة بأكملها، ثم تعيد لمّ شملها من جديد، ولكن بعد معاناة شاقة وردح طويل من الزمن.

- ونحن نذهب إلى أن التشكيك في حكاية المجنون لا يسقط من قيمتها الفنية والإنسانية، لعدة أسباب، أهمها: أن العقل الذي أبدع هذه الحكاية على هذا النحو من القوّة في السبك والحبك يستحق أن نقف أمامه مكبرين فيه هذا الخيال الرحب الواسع، بل الكبير السعة إلى الحد الذي يجعل من حكاية تمّ تخيّل أحداثها في بطن الجزيرة العربية تنتقل إلى كلّ أصقاع العالم، فتؤثر في الأدب الشعبي عند أغلب شعوبه، وأقوى دليل على ذلك هو دخول اسم «ليلى» إلى لغات شعوب كثيرة، وما تزال أمم اليوم تسمّي بعض فتياتها «ليلى». فالنظرة إلى حكاية المجنون على أنّها من نسج خيال مؤلف هو انتصار للثقافة



«مجنون ليلى» بريشة الأمير خالد الفيصل

ولقد تعرضت حكاية المجنون - كغيرها من حكايات التراث العربي والإسلامي - إلى تشكيك في صحتها، ومنهم من ذهب إلى إنكار حقيقتها التاريخية جملة وتفصيلاً من القدماء والمحدثين(٣)، زاعمين أنها من صنع الرواة الذين كانوا يرتادون مجالس الأدب، أو الذين كانوا يريدون أن يكون لهم سهم في عملية «التدوين»، فيعمدون إلى تسجيل مأثرة لقبيلة لم يكن لغيرها مثيلها، إذ ربّما ضاع ذكر العامريين، ومنهم العذريّون، لولا أن يكون لهم قيس وأمثاله. ويستدلون على صحة ما يزعمون بإهمال ذكر كثير من القبائل الكبيرة لأنها لم تختلق لها شاعراً قوي الشعر أو ذا قصة غريبة.

أسباب الاهتمام

ومهما يكن من أمر التشكيك، فإن حكاية المجنون يجب أن تأخذ اهتماماً يليق بمكانتها، لأسباب متعددة، أهمها:

- الطابع الدرامي لتكوين الحكاية، وهو طابع إنساني صرف، يدخل ضمن طبيعة الإنسان وواقعه،

العربية الإسلامية، والنظرة إليها على أنها قصه واقعية هو انتصار للمجتمع العربي في ذلك العصر، والقول بأنها مجرّد أسطورة من الأساطير التي توسعت بتعاقب الأزمان هو انتصار أيضاً للثقافة العربية. وفي كل الأحوال يجب ألا نتخذ الموقف الانفعالي في الردّ، فالموقف الانفعالي الذي يستدعي كلّ الحجج والبراهين والأدلة لإثبات أن القصة واقعية سيحرف النقاش مع المشككين من التحليل العميق لبنية الحكاية إلى الجدال العقيم الذي يحوم خارج الحكاية، ومن ثم ستكون الخسارة مضاعفة، لأن المدّعين استطاعوا أن ينقلوا الجدل إلى الساحة التي يرغبون فيها عن قصد منّا، وبفعلنا وفعلهم المشترك.

الحوار في داخل النص

بينما نرى الأمر سيختلف كلّ الاختلاف إذا نحن فتحنا معهم الحوار في داخل النص، للغوص في بنية الحكاية شكلاً ومعنى(٤)، بغضّ النظر عن كونها حادثة أو متخيلة، وهذا لا يتأتى إلا من خلال درس حكاية المجنون درساً متعدد المستويات، لا يقلّ أي مستوى منه عن الآخر أهميّة، هي: الدرس النفسي، والدرس الاجتماعي، والدرس الإبداعي الفني للحكاية ذاتها، كما رُويت، بمعزل عن شعر المجنون، والدرس التحليلي النقدي لشعر المجنون.

ففي الدرس النفسي يمكن أن نقف على أكثر من نموذج من النماذج الإنسانية، أهمّها: شخصية قيس، وشخصية ليلى، وشخصية والدها، وشخصية عمّها - أبي قيس - وشخصية زوجها.. وكلّ منها يشكّل حالة مستقلة في ظاهرها وباطنها؛ وفي درسنا لشخصية المجنون علينا أن نقسم الدرس قسمين: الأول درس شخصيته كما وردت في روايات حكاياته كلها، بمعزل عن شعره، والثاني درس شعره بمعزل عن مجمل حكايته، والاكتفاء بما ورد في مناسبة كلّ قصيدة على حدة، ثم بعد ذلك درس الحكاية والشعر معاً، لنتبين مدى التوافق أو التباين بين الشخصيتين، ومن ثم نصل من جديد إلى حقيقة أنّ درس الأثر الأدبي درس فحص وتحليل وتمحيص يؤدي بنا إلى إعادة تفسير التاريخ(٥)، بل إنّ الأثر الأدبي هو من أهم الوثائق التاريخية غير المباشرة. على أنّ وجود التوافق أو التباين لا يؤثر في أهمية حكاية المجنون، وإن كان يغيّر مسار التوجّه في تحليلها.

أما شخصية ليلى، فإنّ درسها يجب ألا يكون على أساس أنها شخصية ثانوية - كما فعل أكثر الدارسين السابقين - بل يجب أن تكون الشخصية النظيرة لقيس، ومن ثم عدم الاكتفاء بالبحث عن ملامح ليلى في شعر قيس وحده، بل تحليل ما ورد في الروايات من أخبار ليلى بدءاً من لقائها الأول بقيس. ولعلّ في شعر ليلى - على قلّته - ما ينبئ عن جوانب مهمة في شخصيتها، فضلاً عن أخبارها مع قيس المبثوثة في بطون كتب الأدب؛ فهذه الأخبار تقدم مادة أولية على غاية من الأهمية في درس المجتمع النسوي في الجزيرة العربية آنذاك، وعلاقة هذا المجتمع بالرجال. ثمّ هل كان قرار والد ليلى ينبع من موقفه الوجداني، أم أنّه صادر عن خوف وحذر من مجتمعه؟ أو هو تمسّك بظاهر العادات الاجتماعية، كي لا يقع اللوم عليه ولا يُساء إلى ابنته، ومن ثم إلى قبيلة عُذرة جميعاً؟ إن البحث في علاقة الودّ الحميم الذي يجمع ليلى بوالدها لم يكن بحثاً كافياً، بل اكتفى الباحثون بجعله العقبة الكأداء في وجه حبّ عارم طاهر، فنظر الباحثون إلى شخصية والدها على أنها العائق الأكبر، أو المسبّب الأعظم في كارثة بُعد قيس عن ليلى، وحرمانهما الواحد من الآخر.

نأي ابن الملوّح عن ليلاه كان يؤجج شوقه إليها، ولكن قربه منها كان سيحمل له سعادة كبرى

وحقيقة الأمر أن والد ليلى لم يكن في مأزق أقلّ من مأزق ابنته وحبيبها، فهو لم يكن شخصية حيادية أصدرت قرارها على أنه قرار إدانة، بل أنّه كان يُكابد مكابدة شاقة وهو يصدر قراره على فلذة كبده، تلك

الرقيقة الطاهرة، فلا يريد لها أن تُنبذ من المجتمع إلى غير رجعة، ومن ثمّ يوصَم وقبيلته بالعار، ولا يريد - في الوقت نفسه - أن يدمر حبّاً خالصاً من كلّ شائبة. وهو في صراعه هذا بين عواطفه تجاه عواطف ابنته، وحرصه على الاستمرار في المؤسسة الاجتماعية على نحو سويّ، قد خرج بقراره الصعب. وعلى كلّ حال لم يكن قراره وحده، بل - بشكل غير مباشر - قرار المؤسسة الاجتماعية التي يعيش وابنته في كنفها.

ثم بعد هذا الدرس المتعدد المستويات، الذي يغوص في الحكاية، ويدرسها من جوانب مختلفة، ستكون النتائج في مصلحة التراث العربي الإسلامي، سواء أغيّر المشككون في صحة الحكاية موقفهم منها أم لم يغيروا، وستتنوع مستويات الفهم العميق لهذه الحكاية، وهذه هي الغاية المثلى لمثل هذا النوع من الدرس الأدبي والنفسي التحليلي الذي ينطلق من افتراضات تمهد للدرس السليم(٦).

سمة رائعة

والسؤال الذي يطرح نفسه: مَنْ نقل أخبار المجنون ومحبوبته؟ إن أغلب رواة الأخبار كانوا من بني عذرة نفسها، وهم الذين نقلوا أيضاً قصصاً أخرى مشابهة: «جميل بثينة»، و«قيس لبنى(٧)»، و«عروة وعفراء»، و«كُثيِّر عزة».. ولا شك أنّ المرويّات كلّها تتعاطف مع العاشقين، وتنقل معاناتهم، ولا تورد لهم أي هفوة شائنة. إذن، لم يكن بنو عذرة يعدّون أنّ كثرة العشاق بينهم سُبَّة، بل سمة رائعة، تؤكدّ رهافة مشاعرهم ورقّة عواطفهم، وبالمقابل - أيضاً - تؤكد التزامهم العادات الاجتماعية، وعدم القفز فوق التقاليد، فالحبّ الذي ينتهي بالزواج يعني فوضى كبيرة في العلاقات الجنسية السابقة على الزواج بين المحبّين، وربما تؤدي إلى مجتمع إباحي، وهذا ما كان مرفوضاً رفضاً قاطعاً في كلّ الجزيرة العربية، اجتماعيًا قبل أن يكون دينيّا، والاختبار الأكبر لعذرية الفتاة. ولم يكن من وسيلة لاختبار ذلك سوى تزويجها من غير من تحبّ. والعاشق بدوره كان حذرًا كل الحذر من أن يسيء إلى محبوبته، إذ كان يلقاها وينظر إليها من بُعد، ويتبادل الأحاديث، سواء أكان ذلك بلغة العيون، أم بلغة اللسان، وقد كانت لغة اللسان تمتاز بمستوى نادر من الرقة والعذوبة والشفافية(٨).

ولا شك أن ليلى كان من حولها عدد من الفتيات اللاتي تبثّهنّ معاناتها، وتعبر لهن - بحياء - عن حبّها الكبير لقيس، وهؤلاء الفتيات يعرفن حقّ المعرفة ما يعتلج في نفسها، فينقلن لها أشعار قيس، وينقلن عنها تأثّرها بما تسمع وما تعاني وما تتمنى.

النظرة إلى حكاية المجنون على أنّها من نسج خيال مؤلف هو انتصار للثقافة العربية الإسلامية، والنظرة إليها على أنها قصه واقعية هو انتصار للمجتمع العربي في ذلك العصر

ولسنا مع الذين يقولون: إن المجنون كانت لذّته في شقائه، وإنّه لم يكن يريد من ليلى سوى الاسم، وإنّه متعلق بصورتها من بُعد، وتلك أكبر لذته وغاية سعادته، مع أنها تحمل قدرًا كبيرًا من العذاب(٩). فابن الملوّح - سواء أكان حقيقة تاريخية، أم أسطورة متخيلة - كان تام الإنسانية، وقد عبّر في شعره مرّات عن رغبته بالزواج من ليلى، وطلب ذلك صراحة من أبيه وأبيها. صحيح أنّ النأي عن ليلاه كان يؤجّج شوقه إليها، ويزيد من تعلّقه بها، ولكن الصحيح أيضًا أن قربه منها كان سيحمل له سعادة كبرى، وقد استطاع أن يعبّر عن كلتا الحالتين تعبيرًا غير متفاوت في المستوى، وإن اختلف في أسلوب التعبير.

ولقد كان قيس يدرك تمامًا أن أشعاره ستصل إلى ليلى عاجلاً أم آجلاً، سواء أكان في مضارب قبيلته، أم في الفيافي والقفار، وقد صادف راعيًا أو التقى بقافلة سيارة.. فقد كان الشعر العربي - عمومًا - يسري بين سكان الجزيرة العربية سريان النار في الهشيم.

إنّ عذاب الحبّ ناتج من الحبّ نفسه، فعلى قدر ما يكون الحب عظيماً متملّكًا للنفس مسيطرًا على الفؤاد، يكون عذاب الحبّ قاسيًا جالبًا للشقاء؛ وليس في القسوة والشقاء متعة في حد ذاتهما، بل لنا أن نقول: إنّ الذكرى الجميلة تعادل في لذّتها قسوة النأي ووطأة الشقاء، فيبدو لنا العاشق - وهو هنا شاعر - كأنه متلذذ بالقسوة ينعم في الشقاء.

إنّ هذا اللون من الحبّ هو جزء من تراثنا العربي الإسلامي، ثم هو جزء من شخصيتنا القومية. ولعلّنا في جعله صورة من صور الأسطورة أو ضربًا من ضروب المستحيل نكون قد ظلمنا أنفسنا وظلمنا تراثنا. فهل أجمل من أن نحيي قيم الحبّ الطاهر العفيف السمح؟! وهل أحسن من أن نتمثّل قيم الوفاء والإخلاص، ولا سيّما في علاقات الحبّ والعواطف(١٠)؟ بل إنني لأكادُ أقول: لا حبّ من غير وفاء، ولا ودّ من غير إخلاص، بل تبقى العلاقة مع فقدان الوفاء والحرص والإخلاص والمحافظة على المحبوب علاقة جسد بجسد، علاقة لذّة بلذّة، ما تبرح أن تزول وتتلاشى وكأنها لم تكن؛ في الوقت الذي تبقى فيه ذكريات الوفاء والإخلاص والتضحية ماثلة، بل خالدة تبقى للأجيال المتعاقبة(١١). هذا هو الحبّ الشرقي الذي يبقى ويدوم ويُحفَرُ في ذاكرة الأمم والشعوب.

إننا بحاجة إلى ترسيخ قيم الحبّ الروحي العظيمة، الذي لا يخلو تراث الأمم منه، لا في الشرق ولا في الغرب؛ لعلّنا نقاوم طغيان نزعة الجسد المادية التي تحاول وسائل إعلام كثيرة زرعها في نفوس الشباب، على حساب قيم الوفاء والإخلاص والإيثار التي يرسخها الحب الروحي الخالد.

الهوامش والمراجع

١- لا خلاف في أنه كان مجنونًا جنونًا مجازيًا وليس جنونًا على الحقيقة، فقد كان يصحو عقله فيكون على أحسن ما يكون العقل، ثم يغيب. والدليل الذي بين أيدينا على عقله هو شعره الذي لا يمكن أن يكون قد صدر عن مجنون. وقد قال الرواة: إنه في أخريات أيامه أمسى مجنونًا جنونًا تامًا.

٢- هو رمز عربي خالص العروبة، مع تأثيرات إسلامية واضحة، ومع ذلك فقد دخل - بقوّة - الآداب الأخرى؛ في الأدب الفارسي وغيره من الآداب. راجع كتاب «الأدب المقارن» للدكتور محمد غنيمي هلال، دار العودة - بيروت.

٣- من الذين شككوا في وجود قيس أصلاً أبو الفرج الأصفهاني، الذي دوّن في كتابه «الأغاني» عدة روايات متناقضة عن المجنون، بعضها ينكر وجوده، وبعضها يثبته، بل إنه قدّم عدّة روايات في اسمه تنبئ عن الشكّ في وجوده. ثم جاء عدد كبير من الباحثين والمستشرقين، ومنهم الدكتور طه حسين، رحمه الله، الذي صرّح بما لا يدع مجالاً للشكّ أن قصة المجنون مختلقة لا أساس لها من الصحة. راجع كتابه «حديث الأربعاء» - دار المعارف بمصر.

٤- أليس في تعدد روايات بعض أحداث قصة المجنون وتناقضها فن جميل يوحي باحتمالات متعددة الأوجه للحدث الواحد؟ أليست هذه الظاهرة من أحدث تقنيات الكتابة الروائية المعاصرة في الغرب؟!

٥- راجع دراستنا «الأدب وإعادة تفسير التاريخ» مجلة الفيصل - العدد ٢٣٦ - صفر ١٤١٧هـ، يونيو/يوليو ١٩٩٦م - ص٣٠ وما بعدها.

٦- مازالت إلى اليوم تتوالى التفسيرات الجديدة والتحليلات المستحدثة لعقدة أوديب، مع أنّ حكاية أوديب نفسها - في الأصل - أسطورة من أساطير الإغريق، اخترعها أدباؤهم، وأخذتها أوربا في فجر عصر نهضتها، ثمّ أدخلها المحلّلون والمفسّرون مسارات شتّى في النقد والتاريخ وعلم النفس.. واستطاعوا أن يحوّلوها إلى جزء من تكوين النفس البشرية، مع أنها - كما قلنا - لا تعدو أن تكون أسطورة مختلقة.

٧- وهي حكاية مغايرة لحكاية قيس وليلى، وتستحقّ الوقوف عندها مليّاً.

٨- من جملة الأشعار التي قالها قيس هذه الأبيات التي تصلح نموذجًا لشعر العذريين وحرص المحبّ على حبيبه:

أقول لمفتٍ ذات يوم لقيتُه ... بمكّة والأنْضاءُ مُلقَى رِحالُها
بربّكَ أخبرني ألَمْ تأثمِ التي ... أضَرّ بجسمي من زمانٍ خيالُها
فقالَ بلى واللهِ سوف يمسّها ... عذاب وبلوى في الحياة تنالُها
فقلتُ ولم أملك سوابق عبرة ... سريع إلى جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها ذنبها وأقالها ... وإن كان في الدنيا قليلاً نوالها

ويقول في قصيدة أخرى:

تبارك ربّي كم لليلى إذا انتحت ... بها النفس يومًا من خصيم وشافع

ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق عبدالستّار أحمد فرّاج، مكتبة مصر، من دون تاريخ. نقلاً عن «بسط سامع السامر» ص٧٥، وتزيين الأسواق ص٦٦، ومصارع العشّاق ص٢٧٠، والمستطرف ٢/٢٢٣.

وربّما كان موضوع الفتيا كلّه لم يتجاوز خيال قيس، ويبدو الحبيب حاضراً دائمًا، وفي الوقت نفسه هو الخصم والحكم.

٩- يقول قيس بن الملوّح - الديوان ص ٢٢٣:

ولمّا غفتْ عيني وما عادة لها ... بنوم وقلبي بالفراق عليلُ
أتاني خيالٌ منكِ يا ليلَ زائرٌ ... فكادت له نفسي الغَداةَ تزولُ
خيالٌ لليلى زارني بعد هجرهِ ... ورام عتابي والعِتابُ يطولُ

١٠- شهدتَ بأنّي لم أخُنكِ مودّةً ... وأنّي بكم حتّى المماتِ ضنينُ
وأن فؤادي لا يلينُ إلى هوى ... سواكِ وإن قالوا بلى سَيلينُ

الديوان، ص٢٦٥، نقلاً عن الأغاني ونهاية الأرب.

١١- يقول قيس:

يقولون ليلى بالمغيب أمينة ... وإنّي لَراعٍ سرّها وأمينُها
فإن تكُ ليلى استودعتني أمانة ... فلا وأبي ليلى إذًا لا أخونها
سأجعل عرضي جُنّةً دون عرضها ... وديني فيبقى عِرض ليلى ودينها

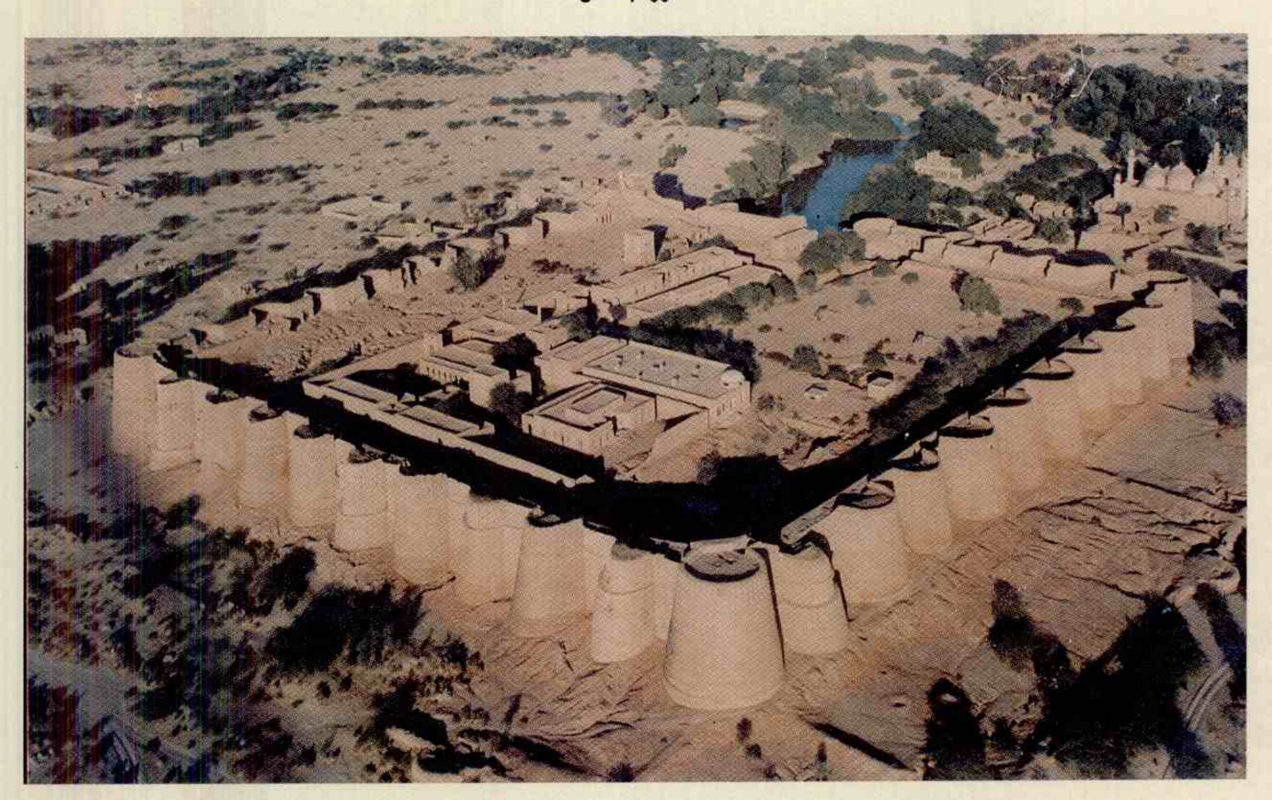
ويقول في قصيدة أخرى:

ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر ... حبيبًا ولم يطرب إليك حبيب

والقصد ههنا الابتعاد عن العلاقات المادية وبناء علاقات ودّ روحيّة.

إمارة بهاول بور العباسية عبر التاريخ

ظهور أحمد أظهر
لاهور - باكستان



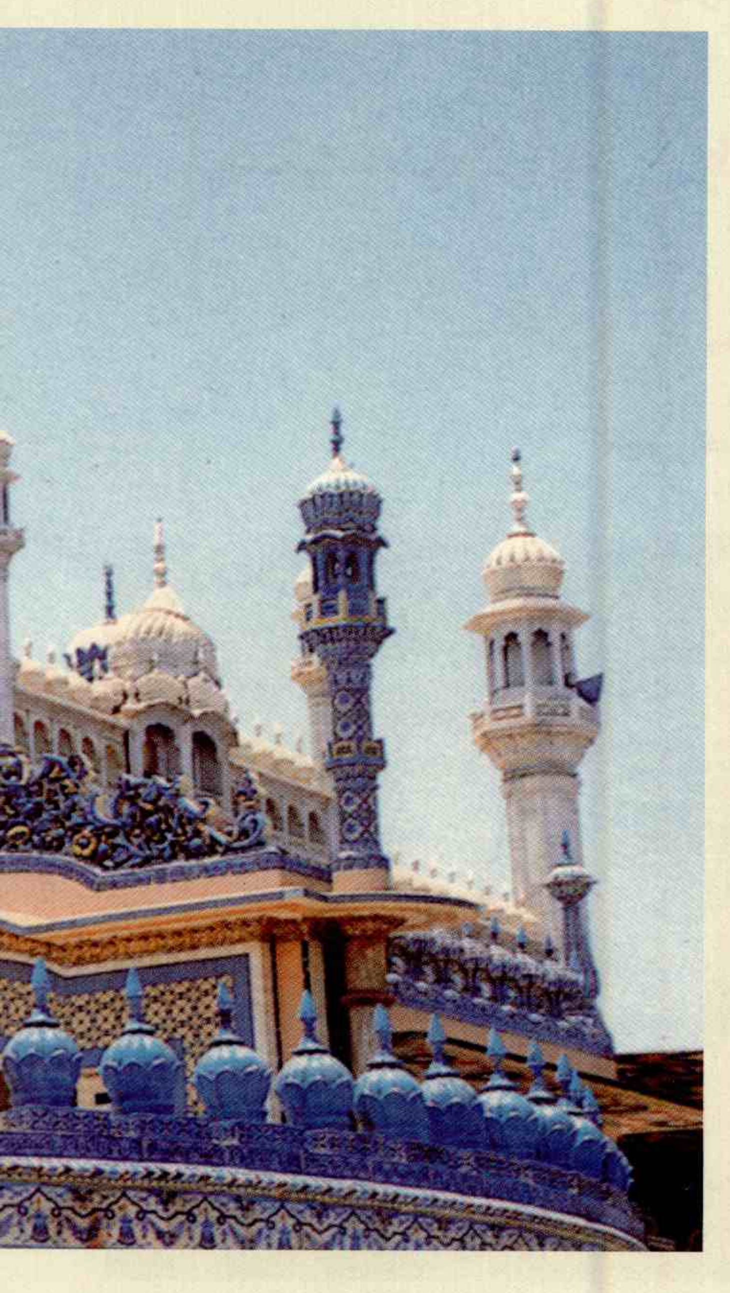
مدينة «بهاول بور» من مدن باكستان الكبرى، وهي اليوم مقر رئيس لمقاطعة بهاول بور، وهي واحدة من بين المقاطعات الثماني لإقليم بنجاب الذي يعدّ بدوره أكبر الأقاليم الأربعة لجمهورية باكستان الإسلامية. وقد كانت هذه المدينة عاصمةً لإمارة بهاول بور العباسية الإسلامية، إحدى الإمارات الإسلامية في شبه القارة الهندية، علماً بأن الهند البريطانية كانت تضم ستمئة إمارة قد اعترف الاستعمار البريطاني باستقلالها الداخلي.

والمدينة تستعد حالياً لتحتفل بعيدها الفضي الخامس؛ إذ مضى على إنشائها قرنان ونصف القرن من الزمان، ومن المتوقع أن يتم افتتاح العيد الفضي الخامس على يد الجنرال برويز مشرف خلال هذا العام.

وبهاول بور مدينة عريقة ذات تاريخ مجيد وموقع جغرافي مهم، وتتمتع بأحدث التسهيلات المدنية والمؤونات الحضارية المعاصرة، فهي تضم جامعة حكومية راقية عريقة وكلية للطب، ومعاهد تعليمية حكومية وأهلية كثيرة، ومحطة للسكة الحديد، ومطاراً، وتصدر منها عدة صحف يومية بالإضافة إلى المجلات الشهرية والدورية على اختلافها، وبشتى اللغات!

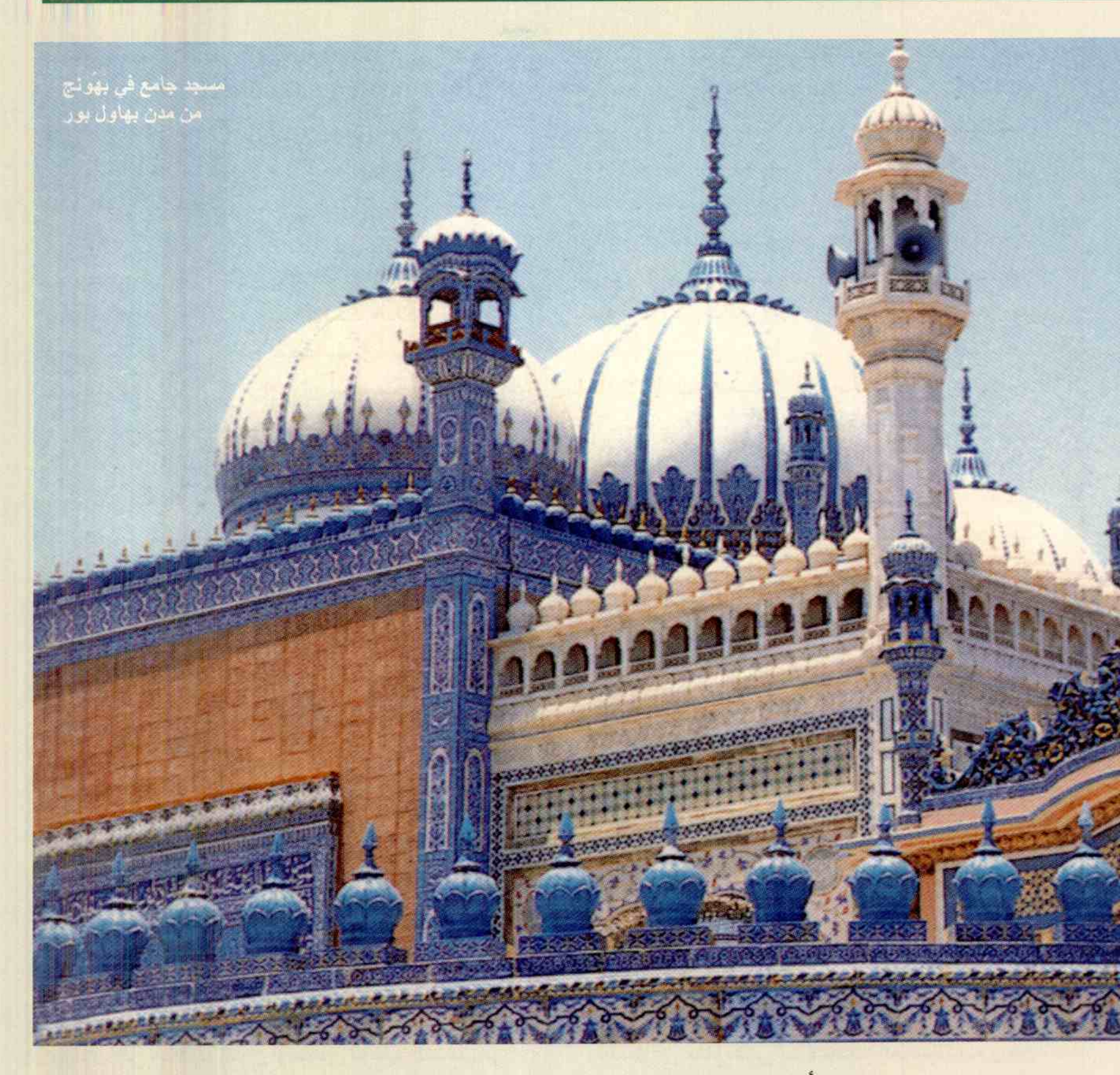
نشأة الإمارات العباسية

وأما الأسرة الحاكمة لإمارة بهاول بور العباسية فيرجع أصلها إلى العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، عم النبي صلى الله عليه وسلم، وهي تنتمي إلى الخلفاء العباسيين الذين كان مقرهم بغداد أولاً ثم القاهرة، وقد كان تدمير مدينة السلام «بغداد» سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) كارثة كبرى وأعنف هزة أصيبت بها أمة الإسلام، فانتقلت الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة، لتستمر هناك إلى سنة ٩٤٢هـ، ثم تحولت إلى إستانبول عندما احتل السلطان سليم العثماني الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠هـ) مصر والشام وغيرهما من البلاد العربية. مما جعل كثيراً من العرب يهجرون بلادهم متوجهين إلى بلاد العالم الإسلامي، ومنها بلاد الهند الإسلامية التي كان ملوكها المسلمون يكرّمون الخلفاء العباسيين تكريماً، ويرحبون بمن يهاجر منهم إليهم ترحيباً(١)، فهاجرت جماعة من أولاد الخلفاء العباسيين في مصر، وعلى رأسهم الأمير أحمد الثاني العباسي، فوصلوا إلى مناطق بلوجستان والسند، واستقر بهم المقام بمدينة كوت كانجي على مقربة من مدينة كراتشي، وصاهر الأمير العباسي أميراً هندوكياً من الحكام المحليين في السند، فقطع له الأمير المحلي جزءاً من إمارته، فكان ذلك بداية نشأة الإمارة العباسية الأولى في بلاد جنوب آسيا أو شبه القارة الهندية، ثم ظل



هؤلاء العباسيون ينشئون الإمارات المختلفة في السند وبنجاب في عصور متتابعة، وآخرها هي إمارة بهاول بور العباسية!

وهذه المنطقة التي أنشئت فيها الإمارة العباسية، هي منطقة عريقة ذات تاريخ قديم وثقافات وحضارات عريقة، فأما تاريخها المعلوم فهو يرجع إلى آلاف السنين، وذلك بحكم موقعها الجغرافي، حيث يتكون



مسجد جامع في بهَونج
من مدن بهاول بور

إقليم بنجاب من خمسة أنهار، بل إن بنجاب معناها خمسة مياه أو خمسة أنهر، وتلتقي هذه الأنهار في موضع تضمه هذه المنطقة ويسمى ملتقى الأنهار الخمسة «بَنْجْ نَدْ» (بفتح الباء وسكون النون الأولى والجيم وفتح النون الثانية وسكون الدال، ومعناها خمسة أنهر). ومن المدن العتيقة العريقة التي تضمها هذه المنطقة مدينة أُش (بضم الألف وسكون الشين) التي تمثل الحضارات القديمة التي نشأت وتقدمت وازدهرت في وادي السند. والمدينة قديمة قدم مدينة «أر» أو «أور» التاريخية في العراق، فأما مدينة أور العراقية فقد أصبحت أسطورة، ولم يبق منها غير الآثار العتيقة، إلا أن مدينة «أوش» أو «أش» لا تزال مدينة عامرة بالعلماء والمساجد والمعاهد التعليمية والمكتبات التي تحتفظ بنفائس المخطوطات العربية، وقد كانت هذه

المدينة عاصمة إقليمية لإقليم فارسي شرقي في عصر الإمبراطور الفارسي داريوش الكبير (٥٢١ ـ ٤٨٦ق م) وقد غزا اليونان شبه القارة تحت قيادة الإسكندر المقدوني (٣٢٤ ـ ٣٥٦م)، فعبروا نهر السند من عند مدينة أُش هذه، فنزل بها الجيش اليوناني وبقي فيها إلى أن أراد الإسكندر أن يغادر البلاد المفتوحة في شبه القارة متجهاً نحو مسقط رأسه، فعيّن أحد قواده الموثوق بهم، وهو فيليبوس Philippos لينوب عنه في حكم البلاد، مما جعل بعض الباحثين في تاريخ المنطقة يقرر أنها كانت أقدم مستعمرة أوربية في الشرق، وأن أش تستحق أن تسمى مدينة الإسكندرية في شبه القارة!(٢)، وقد حكمها البوذيون من الأسرة المالكة الكوشِينية، ولهم آثار قديمة تزيد من أهمية المنطقة وقيمتها التاريخية، ومنها معبد بوذي لم يبق منه غير قبته القائمة على تل رفيع عند مدينة «رحيم يارخان»، وهي أكبر المدن في الإمارة من ناحية السكان، وبها قصر عظيم للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بالإضافة إلى ما أقامه من مساجد ومعاهد تعليمية ومصيد الشيخ الواسع المترامي الأطراف!

وقد مرّت بالمنطقة الجيوش الإسلامية التي قادها القائد المرواني المهلب بن أبي صفرة (ت ٨٣هـ/ ٧٠٢م) قاهر الخوارج الذي اجتاح المناطق التي تتكون منها جمهورية باكستان الإسلامية اليوم، فقد مر بمكران في بلوجستان والنيرون في السند ووصل إلى مدينة بَنُون أوبنة في الإقليم الشمالي الغربي لباكستان ثم إلى ملتان ولاهور في إقليم بنجاب، على حسب ما رواه المؤرخون العرب(٣). ثم جاء بعده محمد بن القاسم الثقفي (المقتول في ٩٨هـ/٧١٧م) فاتح السند وملتان، ثم حكم المنطقة الولاة العرب، وكانت عاصمتهم المنصورة في السند خلال العصرين الأموي والعباسي، ثم أمير ملتان العربي أبو طلحة المُنَبِّه القرشي، وكان من نسل الأمير غالب الذي أقام له إمارة على شواطئ بحر عُمان قبل فجر الإسلام(٤). ثم تغلب عليها القرامطة من الملاحدة الذين طُردوا من البصرة وما إليها من الأماكن، فلجؤوا إلى بلاد شبه القارة من السند وبنجاب، فأنشؤوا لهم حكومة في المنطقة، واتخذوا مدينة ملتان عاصمة لهم، واستمروا يظلمون الناس ويضلونهم عن السبيل حتى جاء محمود الغزنوي فقضى عليهم، وهو في طريقه لفتح (سومناة) المعبد الهندوكي المنيع، والجدير بالذكر أنه قد انتصر بعد هجومه السابع عشر على شبه القارة، وكان انتصاره بمساعدة الخليفة العباسي في بغداد، وذلك لأن محمود الغزنوي كان في كل مرة يحاول فيها الهجوم، يتراجع من نصف الطريق بعد نفاد الماء والغذاء، وأخيراً، وفي المرة السابعة عشرة زوده الخليفة العباسي بما يلزمه، حيث جاءت السفن من البصرة تحمل المؤونة والمساعدة، وكان قد أقلق الخليفة ما بلغه بأن القراصنة الهنادكة ينهبون القوافل التجارية العربية المارة من مقربة سومناة، ويأسرون المسلمين فيذبحونهم بين يدي أصنامهم ويعدونهم أسمى القرابين لآلهتهم، وهذا ما رواه لي أستاذي العلامة عبدالعزيز الميمني ـ رحمه الله ـ استناداً إلى ما عثر عليه من مؤلفات علي المديني، التي قد استفاد منها أبو عثمان الجاحظ في بعض مؤلفاته(٥)!!





نواب بهاول خان عباسي

جغرافية المنطقة وثرواتها

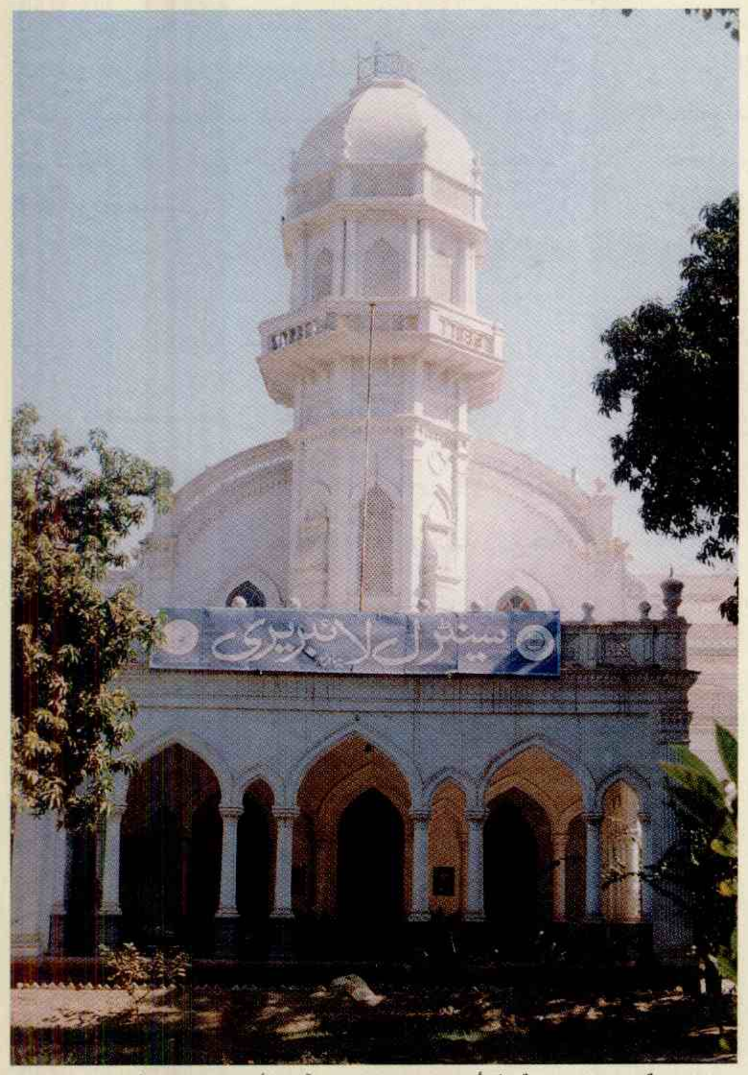
وقبل أن نطلع على ما حققه العباسيون من الانتصارات في السند وبنجاب وبولجستان، ونعرف كيف أنشؤوا إمارة بهاول بور العباسية، نرى من المناسب أن نلم إلماماً بجغرافية المنطقة وطبيعتها، وما إلى ذلك من الشؤون الحضارية والثقافية، فتقع المنطقة على ٢٧ إلى ٣٠ درجة من خط العرض شمالاً و ٤٧ ـ ٦٩ إلى ١ ـ ٧٤ درجة من خط الطول شرقًا على حدود الهند الغربية، ويحدها من شمال الشرق وغربه وادي الأنهر

السبعة بما فيها أنهر بنجاب الخمسة، حيث تُكَوِّن هذه الأنهر نهرًا واحدًا، لا بل بحرًا زاخرًا يسمونه نهر مهران.

وتقول كتب الجغرافية التي ألفت قبل انضمام الإمارة إلى باكستان في عام ١٩٥٥م بأنها تعادل في مساحتها مملكة الدنمارك في أوربا، كما أن تاريخها يساوي في مدته تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية(٦). وكان عدد سكانها طبقًا لإحصاء أجري في عام ١٩٤٦م، مليونًا واحدًا تقريبًا، وأكثر من نصف أراضيها رمال صحراوية، ومنها صحراء جَوْلِسْتَان (بفتح الجيم وسكون الواو وكسر اللام وسكون السين) وهي واحدة من الصحارى الكبرى في باكستان. وقد بدأت الحكومة مشروعًا إصلاحيًا لها، وخصصت لها ميزانية، وأنشأت لها «معهد جولستان للبحوث» التابع لجامعة بهاول بور الإسلامية.

ومن أغرب الأشياء المدهشة والجديرة بالذكر أن نهرًا من بين الأنهار السبعة، ويسمى «حكراء»، كان يجري ويمر من وسط هذه الصحراء المجدبة إلى أن يصب في النهر الكبير، مهران أو السند، والذي يتكون فيما بين مدينتي «أش» ورُهْري (بضم الراء وسكون الهاء وهي: الرور عند المؤرخين والجغرافيين العرب في مؤلفاتهم) إلا أنه قد جف الآن وغار ماؤه فتلاشى! ويحدثنا التاريخ أن هذا النهر كان موجودًا ويجري ماؤه عندما غزا الملك الإيراني نادر شاه (١٦٨٨ - ١٧٤٧م) الهند، فمعنى ذلك أن الزمان خلال قرنين قد أتى على نهر حكراء وأن صحراء جولستان لم تكن قاحلة مجدبة، بل لم تكن توجد إطلاقًا!!(٧).

وكان النهر الكبير هو الوسيلة الوحيدة للمواصلات قبل وجود السكك الحديدية بين لاهور وكراتشي في عام ١٨٨٠م، والتي تمر من وسط البلاد، وتربط بين مدن الإمارة الكبرى، بالإضافة إلى سكة الحديد الفرعية التي تربط بين بقية المدن، وأما اليوم فإن وسائل النقل الحديثة كلها متوافرة، فبالإضافة إلى محطة السكك الحديدية الحديثة يوجد فيه مطاران أحدهما مطار بهاول بور العاصمة، والثاني هو مطار (رحيم يار خان)!



مكتبة صادق المركزية وقد أسسها صادق الخامس آخر الأمراء العباسيين في عام١٩٣٥م

وأما عن طقس بهاول بور ومناخها فإن المنطقة شديدة الحر قليلة الأمطار في الصيف، لطيفة الطقس في الشتاء، ولا توجد فيها جبال أو هضاب، وإنما هناك طلول الرمال، وأرضها زراعية خصبة ترويها شبكة القنوات الكثيرة التي تصب من الأنهار السبعة المختلفة، وأهم منتوجاتها الزراعية هي القمح والقطن وقصب

السكر، بالإضافة إلى وجود الحدائق والبساتين التي تشتمل على أشجار المانجو والتمر والرمان والبرتقال والتين والتوت، وبها الحديقة القومية التي تسمى (سُوها لال سُهَانرا أي الجميلة الرائعة الحمراء) بالإضافة إلى الخضراوات المتنوعة الكثيرة، وتتمتع بهاول بور بثروة حيوانية كبيرة، كما توجد بها المصائد وحدائق الأشجار الكثيفة الغناء، ومنها مصيد الشيخ زايد الخاص الواسع في محافظة (رحيم يار خان)!

نسي العباسيون لغتهم العربية، وإن كانت هناك بعض العشائر التي هاجرت إلى أفغانستان، وتتحدث فيما بينها بلهجة هي مزيج من العربية واللهجات المحلية

والمنطقة غنية بحيوان الصيد أو الطرائد كالغزال والوعل الأسود والحجل والبطط البرية، والحبارى، كما توجد فيها الطيور الأخرى، كالحمام والببغاء والطاؤوس والصقور، ويقال: إن تجارة ريش مالك الحزين كانت بين بلاد الإمارة وبلاد أوربا فيما مضى من الزمن.

حياة السكان وثقافتهم

ومن الألعاب الشعبية عند سكان المنطقة: المصارعة والمبارزة والفروسية. ومن المهن المتداولة بينهم الزراعة، وتربية الماشية، والصناعات اليدوية، بالإضافة إلى الصناعات الحديثة، من مصانع النسيج والزيوت النباتية والسكر والصابون والمشروبات إلى جانب الوظائف الحكومية، و٨٠٪ من سكانها يعيشون في القرى والريف المتبدي، ومن مدنها الكبيرة المعروفة:



بهاول بور، وكانت عاصمة الإمارة، وهي اليوم المقر الرئيس للمقاطعة، ورحيم يارخان، وهي ثانية المدن الكبرى وفيها قصر الشيخ زايد وآثاره الطيبة الباقية من المساجد، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والمباني الخيرية الأخرى، وأحمد بور، وخان بور، وخيربور، وبها سقطت طائرة الرئيس الراحل الجنرال ضياء الحق بعد أن أقلعت من مطار بهاول بور، وهارون آباد واش، وجِشْتِيَان، ومعظم هذه المدن قد عرفت بأسماء الأمراء العباسيين الذين بنوها(٨)!.

٩٠٪ من سكان البلاد مسلمون، وأغلبهم من أهل السنة، و١٠٪ منهم يتبعون الديانات الأخرى كالمسيحية والهندوكية والبوذية والسيخ واليهود، والمسلمون متدينون متحمسون للإسلام محافظون عليه، ترى مساجدهم ملأى حافلة بالمصلين، والكثرة الكاثرة منهم حفاظ للقرآن الكريم حتى إنك تجد في بعض القرى ٨٠٪ من سكانها يحفظون القرآن الكريم رجالاً ونساءً! والجدير بالذكر أن الأمير صادق محمد خان العباسي الخامس رحمه الله، كان يحفظ القرآن! كما تجد هناك العشائر والقبائل التي تنتمي إلى السلالات العربية الأصيلة كالعلويين والعباسيين والقرشيين والأعوان والأنصاريين، وهم يفتخرون بهذا النسب في العرب، ويجدر بالذكر أيضًا أن إمارة بهاول بور العباسية الإسلامية هي أول دولة في العالم قد قررت وأعلنت في ١٩٣٢م أن القاديانية فئة هدامة، لا صلة لها بالإسلام، وأن من ينتمي إليها ليس مسلمًا، وكان ذلك في عهد الاستعمار البريطاني، إذ أصدرت هذا الحكم محكمة شرعية من محاكمها قبل أن يتخذ مجلس باكستان الوطني قراره التاريخي بهذا الخصوص في عام ١٩٧٦م!!(٩).

وأما عن ثقافة القوم وتقاليدهم الاجتماعية ولغاتهم التي يتداولونها في حديثهم وكتاباتهم، فإن العباسيين كغيرهم من العرب الذين هاجروا إلى بلاد شبه القارة الهندية أو جنوب آسيا نسوا لغتهم العربية، بالعكس من بني عمهم الأمويين في الأندلس، وإن كانت هناك بعض العشائر العربية التي هاجرت إلى أفغانستان والتي لايزال لها وجود في نواحي غزني ومزار شريف تتحدث فيما بينها بلهجة هي مزيج من العربية واللهجات المحلية، وذلك أمر غريب يستدعي اهتمام الباحثين(١٠).

ويرجع سبب عدم ازدهار العربية في هذه المنطقة إلى أن العباسيين الذين جاؤوا من مصر بعد نهاية خلافتهم اضطروا بطبيعة الظروف السياسية القاهرة إلى التزاوج والتناسل مع المواطنين في بلوجستان والسند وبنجاب، كما أن الأمراء العباسيين لم يأتوا معهم بالعلماء والشعراء والأدباء العرب كما فعل الأمويون في الأندلس الإسلامية(١١) كما أنهم لم يجدوا بين المواطنين أو بين من سبقهم في الهجرة إلى بلاد السند والهند علماء لهم معرفة بالعربية وآدابها. والواقع أن دور اللغة العربية كلغة البلاد الرسمية، ولغة التخاطب، وأداة التعليم كان

مبنى جامعة بهاول بور العباسية في عام ١٩٣٥م
وقد حلت محلها جامعة بهاول بور الإسلامية

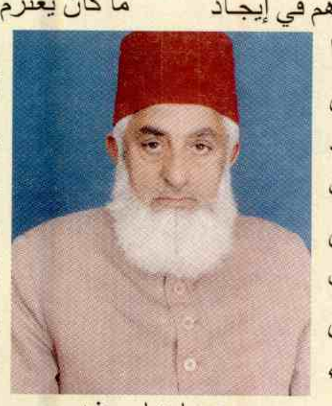
قد انتهى في العصر الغزنوي على الرغم من أن المؤرخ المسعودي الذي زار المنطقة في القرن الهجري الرابع كان قد وجد سوق العربية رائجة بين المثقفين من العرب والمستعربين ومتداولة في المعاهد التعليمية والمصالح الحكومية، بل إنه وجد عامة الناس يتحدثون بالعربية في السوق إلى جانب اللغة المحلية!(١٢)

الحنين إلى عراق العباسيين

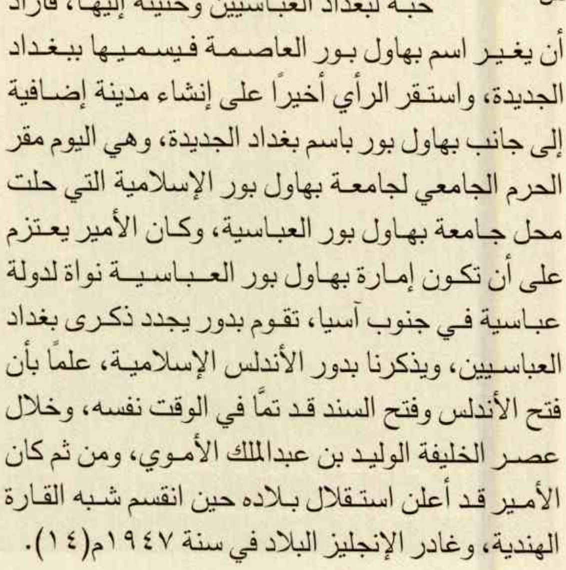
ولكن الأمراء العباسيين الذين أنشؤوا إمارة بهاول بور العباسية، وإن كانوا قد انشغلوا في البداية بالفتن الداخلية والغزو الخارجي لإمارتهم الفتية إلا أنهم لم ينسوا ماضيهم المجيد وما غابت عنهم بغداد وعراقها العباسي، وإنما ظلوا يتذكرون بغدادهم، ويحنون إلى عراقهم العباسي. وقد بذلوا أقصى جهدهم في إيجاد الجو العراقي داخل الإمارة لكي يحببوا الثقافة العربية العباسية إلى شعبهم وسكان بلادهم، ويتمكنوا من استعادة مجد بغداد الذاهب وإحياء الخلافة العباسية التي كانت أيام الرشيد والمأمون، ويتضح ذلك من الانطباعات التي نجدها في مؤلفات الأجانب الذين زاروا البلاد، أو من عايش الأسرة العباسية من العلماء والأدباء والمؤلفين، وذلك يدل على أن هؤلاء الأمراء لم يغفلوا عن أصلهم، ولم يهملوا ماضيهم المجيد، وإنما ظلت بغداد وعراقها العباسي يحتلان مكانة في نفوسهم وأذهانهم كما أنهم أرادوا، أو قل: إنهم كانوا يتمنون دائمًا، على أقل تقدير، أن تكون بهاول بور هي بغداد الثانية، وأن تمثل إمارتهم عراق العباسيين، وأن يجددوا ذكرى بني أعمامهم الأمويين في الأندلس، فهذا هو الكاتب الإنجليزي المستر ستيفين Mr. Stephens يكتب في «المجلة الجغرافية» Geographic Magazine الصادرة من لندن فيقول عن تشابه بهاول بور العباسية، إلى حد مُدْهِش، وكأنها قطعة من أرض العراق قد تم غرسُها بعيدةً عن موطنها الأصلي:

Bahawalpur Remains To A Surprising Extent, A Transplanted Piece Of Iraq!، وهذا هو اللواء نذير علي شاه، الذي كان سكرتيرًا عسكريًا لأمير بهاول بور الأخير صادق محمد خان العباسي الخامس، يتحدث عن ثقافة الشعب البهاولبوري ولغته وتقاليده الاجتماعية في كتاب له عن «تاريخ إمارة بهاول بور History Of Bahawalpur State» في باب مستقل قد عنونه بقوله: «اعتراق بهاول بور» The Iraqization Of Bahawalpur، ثم فصل القول عن التشابه التام بين شعب بهاول بور العباسي اليوم وبين شعب العراق العباسي بالأمس في المهن والتعامل والتخاطب والتقاليد الاجتماعية الأخرى، ويستنتج في النهاية قائلاً: إن شعب بهاول بور لا يشبه الهنود على أية حال، وإنما يشبه عرب العراق(١٣).

ومما يؤيد ما قاله المستر ستيفين واللواء نذير علي شاه ما كان يعتزم عليه الأمير العباسي الأخير، وما بذل من الجهود، واتخذ من القرارات في ذلك، فقد أكثر من زياراته لبغداد على الرغم من وسائل النقل القليلة النادرة في وقتها، وأنشأ جامعة عربية إسلامية سماها «جامعة بهاول بور العباسية»، وبنى مسجدًا جامعًا كبيرًا في وسط المدينة وفي سوقها الرئيس سماه باسمه واسم أسرته: «جامع الصادق العباسي»، وهو من بين أكبر المساجد وأشهرها في باكستان اليوم! وقد بالغ في حبه لبغداد العباسيين وحنينه إليها، فأراد



رحيم يارعباس حفيد صادق الخامس



أن يغير اسم بهاول بور العاصمة فيسميها ببغداد الجديدة، واستقر الرأي أخيرًا على إنشاء مدينة إضافية إلى جانب بهاول بور باسم بغداد الجديدة، وهي اليوم مقر الحرم الجامعي لجامعة بهاول بور الإسلامية التي حلت محل جامعة بهاول بور العباسية، وكان الأمير يعتزم على أن تكون إمارة بهاول بور العباسية نواة لدولة عباسية في جنوب آسيا، تقوم بدور يجدد ذكرى بغداد العباسيين، ويذكرنا بدور الأندلس الإسلامية، علمًا بأن فتح الأندلس وفتح السند قد تمًا في الوقت نفسه، وخلال عصر الخليفة الوليد بن عبدالملك الأموي، ومن ثم كان الأمير قد أعلن استقلال بلاده حين انقسم شبه القارة الهندية، وغادر الإنجليز البلاد في سنة ١٩٤٧م(١٤).



نور محل أو قصر النور في بهاول بور

إن سكان بلاد بهاول بور، كإخوانهم في صحارى العرب وبواديهم و نخيلهم، يحبون حياة الجد والنشاط والمشقة والعناء، كما أنهم يربُّون الجِمال والأغنام، ويملكون حدائق التمور والرمان، ويبدو كأن العرب الأوائل الذين رافقوا محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند والملتان، والذين استوطنوا المنطقة، كانوا قد غرسوا النخل وأنشؤوا حدائق التمور لهم. وحقًا يرى بعض المؤرخين(١٥) أن الذي يدل على ذلك هو أن المدن القديمة في المنطقة تكثر فيها حدائق التمور مثل مدينة «أش» أو إسكندرية الهند و«الله آباد»، وهي أول مدينة بناها الأمراء العباسيون في المنطقة وكانت هي عاصمتهم الأولى، ومدينتي «جِجًا»، و«شَاشَر».

وكان الأمير صادق محمد خان العباسي الأول، رحمه الله، قد زار الحجاز والعراق فأحضر معه فسائل النخل من المدينة المنورة والبصرة فغُرِسَت في مخضرات المساجد وحدائق قصور الأمير الخاصة، بالإضافة إلى الحدائق والبساتين الأخرى، وهي تؤتى اليوم ثمارها وتعدّ من ألذ التمور وأجودها في البلاد(١٦).

وأهل بهاول بور يتحدثون بلغة قد عرفت باللغة «الرياستية» أو قل اللهجة البهاولبورية، وهي من لهجات اللغة البنجابية، وتكتب بالخط العربي القرآني، وخمسون إلى ستين في المئة من مفرداتها اللغوية عربية، مثل اللغة الأردية، ولغات باكستان المحلية الأخرى البالغ عددها اثنتي عشرة لغة، فهي كلها تكتب بالخط العربي وتستمد مفرداتها اللغوية ومصطلحاتها الفنية من لغة الضاد، وقد نبغ فيهم شعراء قالوا الشعر بالبنجابية والأردية والفارسية بالإضافة إلى قرض الشعر بلغة الناطقين بالضاد، وأما الذين كتبوا أو ألفوا بالعربية فهم كثيرون جداً، وتوجد مؤلفاتهم العربية، ومن أشهرهم الشيخ غلام محمد الغُوتَوي الذي اشتهر بخبرته في قواعد اللغة العربية والصرفية منها خاصة، وقد احتل منصب الشيخ لجامعة بهاول بور العباسية مدة من الزمان! والبلاد غنية بالمكتبات الخاصة والعامة التي تحتفظ بنفائس المخطوطات العربية ونوادرها، بالإضافة إلى ذخائر المطبوعات العربية القيمة بين حديثها وقديمها المطبوعة عبر العصور في داخل باكستان وفي غيرها من البلاد العربية والإسلامية.



قصرُ دربار، وهو أحد القصور العباسية في بهاول بور

العلاقة بالخلافة العباسية

عودة إلى الأمراء والقادة العباسيين الذين غادروا مصر بعد نهاية الخلافة العباسية بالقاهرة، وانتقال الخلافة إلى الأتراك العثمانيين الذين اتخذوا إستانبول عاصمة لدولتهم ، يجدر بنا أن نشير إلى أن ما شجَّع هؤلاء الأمراء العباسيين على السفر إلى شبه القارة هو حب ملوك دلهي المسلمين للخلافة الإسلامية واحترامهم لها،واهتمامهم بالحصول على الرعاية والتأييد منها لحكمهم وسياستهم المحلية والدولية، فهذا هو الملك محمد تُغْلَقْ بن الملك غياث الدين بَلْبَنْ إمبراطورُ الهند الإسلامية في وقته. والذي تولى الحكم في ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، بعث سفيره الحاج سعيد الهرمزي مع الهدايا الثمينة إلى الخليفة العباسي أبي العباس أحمد الحاكم بأمر الله (٧٠١هـ - ٧٤١هـ) في القاهرة، وذلك بعد أن علم بأن الملك الظاهر بيبرس ملك مصر كان قد استقبل الأمير العباسي أبا القاسم بن محمد الظاهر بأمر الله البغدادي وأكرمه واعترف به خليفة المسلمين على البلاد، وأخذ منه تأييده للحكم على مصر والشام، مما جعل العلماء المسلمين في الهند الإسلامية يشيرون على محمد تُغْلَقْ بأن يكتسب سند الحكم والتأييد من الخليفة ويبايعه غياباً، وأن الحكم على بلاد الإسلام دون ذلك غير مشروع، وقد عاد السفير الحاج سعيد الهرمزي من مصر في سنة ٧٤٤هـ بعد أن حصل على السند والتأييد من الخليفة العباسي إبراهيم الواثق بالله سنة (٧٤٢ - ٧٥٣م)؛ وذلك بعد زيارة استغرقت سنتين تقريباً فخرج الملك وحاشيته فاستقبلوا السفير على مسافة ستة أميال من عاصمة دلهي، وأصدر الملك أمره بأن يُنْحَتَ اسم الخليفة العباسي على العُمْلة الملكية، ويدعو الخطباء له على المنابر، ويعلنوا بالبيعة والطاعة له(١٧)! والأمير العباسي أحمد الثاني الذي قاد جماعة العباسيين المهاجرين إلى السند والهند، هو من أولاد الخليفة العباسي الأول في القاهرة، وهو أمير المؤمنين أبو القاسم أحمد بن محمد الظاهر بأمر الله الخليفة العباسي في بغداد سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م).

أحفاد داود

وقبل نهاية القرن السابع عشر الميلادي بدأ الأمراء العباسيون الذين كانوا من أولاد الأمير أحمد الثاني العباسي المهاجر إلى السند والهند، والذين صنعوا تاريخ

السند، وأضافوا إلى مجده الثقافي والحضاري، في الاختلاف فيما بينهم اختلافًا شديدًا فأخذوا يتقاتلون ويتناحرون على توافه الأمور، فتفرقوا إلى فئتين متعاديتين حتى اشتدت العداوة والبغضاء بينهما، فبلغتا ما كان بين بني هاشم وبني أمية، أو ما كان بين بني هاشم وبني العباس، وقد عُرفت إحدى الفئتين بفئة كَلْهُورَة (بفتح الكاف وسكون اللام وضم الهاء وسكون الواو وفتح الراء) وتضم أبناء الأمير مهدي خان العباسي، وهي فئة الطغاة المستبدين الذين اقترفوا الفظائع من الظلم والعدوان، والفئة الثانية هم أولاد الأمير داود خان العباسي الأخ الشقيق للأمير مهدي خان العباسي الآنف الذكر، وقد عرفت الفئة الثانية هذه في التاريخ «بأحفاد داود» أو داود بُوترا في السندية والبنجابية، لأن بوترا تعني الحفيد بهاتين اللغتين، ومنهم الأمراء العباسيون حكام إمارة بهاول بور العباسية، وهم موضوع هذا البحث الموجز.

وسببت هذه الخلافات والنزاعات الشديدة والحزازات الثائرة المتدفقة الحروب الدامية الطاحنة، وذهب الألوف من الرجال ضحية لها دون جدوى من ورائها مما جعل أحفاد داود يتركون أسرة كلهورة وشأنها في السند، ويتجهون إلى مناطق إقليم بنجاب التي تقع بين حدود السند ومقاطعة ملتان (الملتان عند المؤرخين والجغرافيين العرب!) فأقطعهم حاكم ملتان المغولي أرضًا من أراضي ملتان القاحلة الرملية عُرفت في الوثائق التاريخية بمنطقة «الشوذرى»، وفي هذه المنطقة الرملية الجرداء بنى العباسيون أول مدينة لهم وسموها «الله آباد» ومعناها «عمرها الله» وهذه المدينة أصبحت بداية ونواة للإمارة العباسية، ونقطة انطلاقها وعاصمتها الأولى. ومنذ تلك اللحظة الحاسمة بدأت تاريخها واستمر يحكمها الأمير العباسي صادق محمد خان الأول مدة من الزمان(١٨)، ومن أغرب المصادفات أن آخر الأمراء العباسيين هو الآخر حمل لقب الأمير صادق محمد خان العباسي الخامس!!، وكان الأمير صادق الأول رجلاً حكيمًا حازمًا، وشجاعًا ذكيًا، ومديرًا، وأسس دولة فأدارها خير إدارة، ودافع عنها حق دفاع بكل حذر وحزم وذكاء وحكمة، واستمرت تلك الدولة ثلاثة قرون، ولقد كان الأحفاد في حاجة إلى رجال من أمثاله. وهذه الدولة العباسية لها تاريخها، ولها أمجادها، وهي تستحق الدراسة والاهتمام، بقدر ما تستحق التقدير والإعجاب(١٩)!!

وقد كان انقسام العباسيين حكام الإمارات السندية وافتراقهم إلى فئتين متعاديتين إيذانًا بمغادرة إحداهما السند على الرغم من أن الأحفاد كانوا كرماء، ولهم

هاجرت جماعة من أولاد الخلفاء العباسيين واستقرت بمدينة كوت كانجي، وصاهر الأمير العباسي أميرًا هندوكيًا منحه جزءًا من إمارته فكانت بداية الإمارة العباسية في جنوب آسيا



نواب محمد صادق عباسي الخامس
آخر الأمراء العباسيين عند تتويجه
في عام ١٩٣٤م

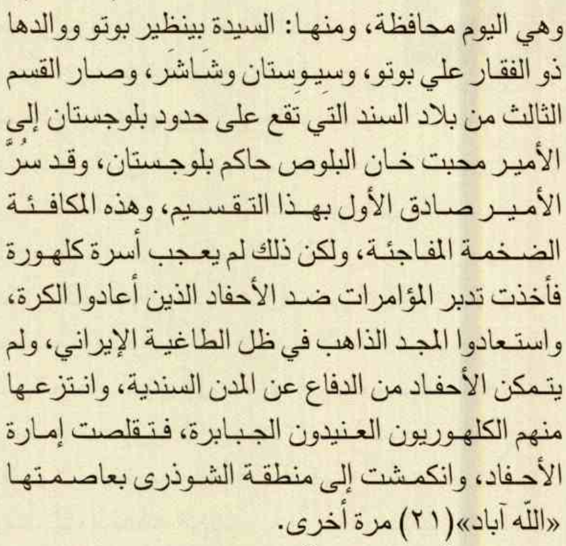
خدمات وأمجاد في السند، فهم الذين بنوا مدينة شكار بور عاصمتهم السندية، وهي اليوم من أكبر المدن في السند ومقر محافظة شكار بور. والأمير مبارك العباسي هو الذي بنى مدينة «ميربور»، وهي اليوم معسكر كبير للجيش الباكستاني في السند، ومدينة عامرة بمصانعها ومنشآتها. والأمير مبارك هو الذي قاد العباسيين حين غادروا السند إلى إقليم بنجاب، وهو الذي نال ثقة حاكم ملتان المغولي حياة الله خان فأقطعه أرض الشوذرى فبنى فيها مدينة «الله آباد» وأرسى حجر الأساس للإمارة العباسية، وهو الذي عين ابنه

صادق محمد خان الأول وليًا للعهد، وشاور في ذلك أعيان أسرته العباسية فوافقوه الرأي، وكانت خطوة حكيمة بَنَّاءة، إلا أنها أثارت غضب بني عمهم من أسرة كهلورة فكادوا يموتون كمدًا وغيظًا، فحاولوا عبثًا القضاء على الإمارة الصغيرة الفتية وأخفقوا في الإغارة عليهما!!

وبإلقاء نظرة عابرة نجد أن الإمارة باللغة الأردية ولغات باكستان المحلية الأخرى تسمى «رياسة»، وهي كلمة عربية، ولكنها لا تكتب بالتاء المربوطة وإنما تكتب: رياست، كما أن الأمير بهذه اللغات كلها هو «نواب» (بفتح النون والواو غير المشددة) ونواب أيضًا كلمة عربية قد انحرفت عن أصلها العربي، كما أن معناها قد تغير، فالكلمة في أصلها العربي جمع نائب، وهو نائب الملك أو السلطان أو عامة الشعب، وقد كان ملوك الهند المسلمون يسمون نوابًا من ينوب عنهم في الحكم، ثم توسعوا في استخدام الكلمة، فأطلقوها على كل حاكم لا يصل إلى مرتبة الملك، سواء كان مستقلاً في حكمه أو تابعًا لغيره، وكانت ستمئة إمارة (أو رياسة!) في الهند البريطانية تتبع للحكام الإنجليز، وكلها كانت إمارات هندوكية أو سيخية غير خمس أو سبع إمارات إسلامية وهي: إمارة حيدر آباد الدكن، وإمارة بهاول بور، وإمارة بهوبال، ومنها العالم النووي الباكستاني المعروف الدكتور عبدالقدير خان، وإمارة مانجرول، وإمارة مانا وادار، وإمارة سوات، وإمارة شترال. واحتل الهنادكة الإمارات كلها إلا ثلاث إمارات هي بهاول بور، وسوات، وشترال. وفيما يأتي فهرس بأسماء النوابين أو الأمراء العباسيين الذين حكموا إمارة بهاول بور العباسية خلال ثلاثة قرون(٢٠):

مبارك الأول (١٧٠٢ - ١٧٢٣م)، وصادق الأول (١٧٢٣ - ١٧٤٦م)، وبهاول الأول (١٧٤٦ - ١٧٤٩م)، ومبارك الثاني (١٧٤٩ - ١٧٧٢م)، وبهاول الثاني (١٧٧٢ - ١٨٠٩م)، وصادق الثاني (١٨٠٩ - ١٨٢٥م)، وبهاول الثالث (١٨٢٥ - ١٨٥٢م)، وصادق الثالث (١٨٥٢ - ١٨٥٣م)، وفتح خان (١٨٥٣ - ١٨٥٨م)، وبهاول الرابع (١٨٥٨ - ١٨٦٦م)، وصادق الرابع (١٨٦٦ - ١٨٩٩م)، وبهاول الخامس (١٨٩٩ - ١٩٠٧م)، وصادق الخامس (١٩٠٧ - ١٩٥٥م).

وفي سنة ١١٥٢هـ/١٧٣٩م أغار طاغية إيران الملك نادر شاه على الهند، ومر بمناطق بنجاب والسند في طريقه إلى عاصمة دلهي ليغير عليها ويخربها، وينهب أهلها ويقتلهم ويريق دماءهم، وعندما عرف الأمير صادق محمد خان العباسي الأول أن الطاغية قد وصل إلى مدينة (ديرة غازي خان) على مقربة من بهاول بور، رأى من الحزم والحكمة أن يزوره ويعلن له الإطاعة والتأييد، فسر به الطاغية، وأراد أن يكافئه، فأخذه معه وهو متجه إلى السند، فسارع أمراء البلاد وحكامها إلى حضرته، فقسم نادر شاه بلاد السند ثلاثة أقسام، فأعطى القسم الأول للأمير نور محمد كلهورة العباسي بما فيه مدينة «تَتَّة» التاريخية، وما إليها من المناطق التي تضم اليوم مدينتي حيدر آباد وكراتشي، وكان القسم الثاني من نصيب الأمير صادق الأول العباسي. بما فيه مدينة (شكار بور) التي كانت عاصمة آبائه من أحفاد داود العباسيين، ومدينة (لار كانا)، وهي اليوم محافظة، ومنها: السيدة بينظير بوتو ووالدها ذو الفقار علي بوتو، وسِيوِستان وشَاشَر، وصار القسم الثالث من بلاد السند التي تقع على حدود بلوجستان إلى الأمير محبت خان البلوص حاكم بلوجستان، وقد سُرَّ الأمير صادق الأول بهذا التقسيم، وهذه المكافئة الضخمة المفاجئة، ولكن ذلك لم يعجب أسرة كلهورة فأخذت تدبر المؤامرات ضد الأحفاد الذين أعادوا الكرة، واستعادوا المجد الذاهب في ظل الطاغية الإيراني، ولم يتمكن الأحفاد من الدفاع عن المدن السندية، وانتزعها منهم الكلهوريون العنيدون الجبابرة، فتقلصت إمارة الأحفاد، وانكمشت إلى منطقة الشوذرى بعاصمتها «اللّه آباد»(٢١) مرة أخرى.



ومات الأمير صادق الأول في سنة ١١٥٩هـ/١٧٤٦م



نواب محمد صادق عباسي الخامس في زيّه العربي!

فخلفه ابنه الأمير محمد بهاول خان، وكلمة بهاول أصلها «بهاء الدين» وهذا الاسم كان متداولاً بين العباسيين وهم يحكمون السند، واستمر متداولاً بين عباسيي بهاول بور، وهذا الأمير الجديد قد كان صنو أبيه في الحزم والحكمة والتدبير والإدارة، وقد كان من خطواته الحازمة الحكيمة إنشاء مدينة جديدة تكون عاصمة البلاد وتقع في وسطها، وفي الوقت نفسه تكون قريبة من مدينة ملتان، لأسباب سياسية وإستراتيجية؛ إذ كان العباسيون على صلة طيبة مع حكام ملتان المغوليين، وهكذا تم إنشاء مدينة بهاول بور، وأرسى حجر الأساس لها الأمير محمد بهاول خان (أو محمد بهاء الدين خان الأول) في سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٥م، فعرفت باسمه، وأصبحت عاصمة جديدة للإمارة العباسية، واستمرت حتى عام ١٩٥٥م، عندما انضمت الإمارة إلى جمهورية باكستان الإسلامية(٢٢) وهي اليوم المقر الرئيس لمقاطعة بهاول بور من بين المقاطعات الثماني لإقليم بنجاب.

الأمراء العباسيون الذين أنشؤوا إمارة بهاول بور انشغلوا في البداية بالفتن الداخلية، إلا أنهم لم ينسوا ماضيهم المجيد، وما غابت عنهم بغداد

أخطار محدقة

والأخطار التي ظلت تهدد الدولة العباسية الفتية منذ إنشائها هي:

- **أسرة كلهورة العباسية في السند:** وقد عايش هذا الخطر «أحفاد داود» منذ أن كانوا جيران بني أعمامهم في السند، ثم على حدوده في مناطق بنجاب، واستمرت حزازات النفوس تكمن حينا ثم تنتشر، إلا أن الضربة القاضية التي أصيبت بها أسرة كلهورة بهجوم طاغية إيران نادر شاه، وتقسيم البلاد التي مرّ بها، لم يترك مجالاً لاعتداء كلهورة على بني عمهم من «أحفاد داود»، بالإضافة إلى الأخطار الجديدة التي كانت تهدد أسرة كلهورة من جانب عمال المغول الطامعين، ثم من الاستعمار(٢٣) البريطاني؛ وقد أراح ذلك الأحفاد.

- **دولة السيخ في لاهور:** إن ضعف الإمبراطورية المغولية واضمحلالها قد أثارا أطماع ولاتهم الإقليميين، وبعض الفئات الانتهازية، ومنها كانت فئة السيخ التي أقامت لها دويلة في لاهور، وارتكبت الفظائع من الظلم والعدوان ضد المسلمين، وقد بلغت بهم الوقاحة إلى أن حولوا مسجد لاهور الملكي إلى إسطبل لخيلهم، وترسانة لسلاحهم، وأخذوا يوسعون في احتلالهم للبلاد، ويطغون في تصرفاتهم ومواقفهم نحو الإسلام والمسلمين، وعندما أرادوا احتلال ملتان استغاث حاكمها، فأغاثه العباسيون، ثم جاء الإنجليز، فأدركوا السيخ قبل أن يعتدوا على إمارة بهاول بور، وبذلك زال خطر السيخ عنها وتلاشى(٢٤).

- **الخطر الأفغاني:** وكان ملوك كابل المغامرون يطمعون دائمًا في أراضي بنجاب الخصبة وثرواتها الزراعية، وكانت أسرة كلهورة هي التي تحرض الأفغان ضد إمارة بهاول بور وتُخَوِّفُهُم منها، مما جعل الملك تيمور شاه الأفغان يقود مهمة عسكرية ضد العباسيين أو أحفاد داود حتى وصل إلى دِيْرَاوَرْ حصن العباسيين الحصين المنيع في وسط الصحراء المجدبة في سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م، ثم تبعه شجاع الملك الأفغاني في سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م، ثم حال الإنجليز دون ملوك كابل، فاستراح منهم العباسيون(٢٥).

- **خطر الاستعمار البريطاني:** وقد أخذ يشتد ويطغى بعد انتصار الإنجليز على سراج الدولة حاكم بنغال المسلمة حتى أصبح سيلاً عارمًا يأتي على كل من يعارضه من حكام شبه القارة وأمرائها، وكان العباسيون قد أحسوا بخطورة ذلك السيل العارم، فاتخذوا موقف الحزم والحذر، وتعاملوا مع الإنجليز بالحكمة والمسالمة، وبرز ذلك في زيارة السفير البريطاني لدى الأفغان المستر إنفينستن Enfenston الذي مر من بهاول بور في طريقه إلى كابُل، فنزل ضيفًا على العباسيين الذين بالغوا في إكرامه، وجرت المحادثات عن الصلات المستقبلية بين الحكومة الإنجليزية الهندية وإمارة بهاول بور العباسية، وقد نجحت هذه المحادثات نجاحًا بالغًا، وتم الاتفاق الكامل على التعاون الشامل بين الطرفين العباسي

تنازل الأمير صادق الخامس عن حكمه للإمارة العباسية راضيًا بعد أن حكمها نصف قرن، وقادها في أصعب الظروف

والبريطاني، واستمر الجو الهادئ الصافي من التفاهم والتعاون إلى نهاية الحكم الإنجليزي في شبه القارة. وهكذا تغلب عباسيُّو بهاول بور على المشكلات كلها، وذللوا الصعاب جميعها إلى أن انضمت الإمارة العباسية إلى باكستان، وتنازل عنها أميرها الأخير صادق محمد خان الخامس الذي كان صفوة الصفوة، وقمة الرأس للأسرة العباسية التي حكمت بهاول بور ثلاثة قرون، ونهض ذلك الحاكم العادل النبيل ببلاده، فرفعها إلى ذروة المجد، وبذل في ذلك كل ما كان في وسعه وإمكانه، وترك ذكريات عاطرة خالدة مدى الدهر، تلك التي سوف تبقى في صفحات التاريخ وتتلألأ تلألؤ النجوم في كبد السماء إلى آخر الدهر! إن الأمير صادق الخامس، رحمه الله، قد تنازل عن حكمه من أجل وحدة الأمة الإسلامية، ومن أجل باكستان وحدها، الدولة التي قامت باسم الإسلام ومن أجل الإسلام، من أجل ذلك قدم الأمير هذه التضحية الكبرى، وتنازل عن الإمارة العباسية راضياً مسروراً بعد أن حكمها خمسين عاماً تقريبًا، وبعد أن قادها في أصعب الظروف، وجعل منها دولة مستقلة مزدهرة قوية معاصرة تضاهي أمثالها في الشرق والغرب، إنها تضحية لا يمكن أن يتصورها الإنسان في الوقت الحاضر.

وقد تسلم الأمير مقاليد الحكم وهو طفل صغير في السابعة من عمره بعد وفاة أبيه في عدن، عائداً من الحجاز بعد الحج، ومن العراق بعد زيارة ما تركه أجداده من ذكريات في بغداد، وفي أقاصي العراق وأدانيه، وأكمل دراساته المتداولة طالبًا عادياً بعد أن حفظ القرآن الكريم، والتحق بالجيش البريطاني، وتدرج في المراتب العسكرية حتى نال رتبة الجنرال. وشارك في الحرب العالمية الثانية، وقاد الجيوش في أوربا وإفريقية والشرق الأوسط! وهل يُتَصَوَّرُ من أمير أن يسوق شاحنة عسكرية من بغداد في العراق إلى دمشق سورية، ومن هناك إلى الحدود المتاخمة مع تركيا في مهمة عسكرية، وكان يخرج على متن الجمل، فيتفقد رعيته في زي الجمّال العادي، ونظم الدولة وأدارها إدارة مباشرة(٢٦)، وكان يحاسب عماله بين يدي الشعب، وكان يشتري رضا العامة مهما كان الثمن! وقد خرج الأمير حاجًا سنة ١٩٣٥م مع جماعة من أهل إمارته البالغ عددهم ستمئة حاج على حسابه الخاص، وشارك هو والملك أمان الله خان الأفغاني أخاهما جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود في عملية غسل الكعبة المشرفة في تلك السنة.

المراجع والهوامش

١ـ صبح صادق (بالأردية) ص٥٧، لأبي الحسنات عزيز الرحمن، طبعة بهاول بور ١٣١٢هـ/١٩٤٣م، وهو المراد بصبح صادق فيما بعد في هذا المقال الموجز، وكان مؤلف الكتاب قاضيًا للدولة.

٢ـ كتاب «أخبار إمارة بهاول بور العباسية» (بالإنجليزية) ص٣٥، إعداد حكومة بنجاب البريطانية، طبعة لاهور ١٩٣٢م، وهو كتاب أخباري جامع من سلسلة أعدتها الحكومة البريطانية عن كل المحافظات الهندية دون استثناء، وتعدّ هذه السلسلة وثائق رسمية موثوقًا بها عند الباحثين شارك في إعدادها جماعة من العلماء الباحثين، وسيكون هنا هو المراد بالأخبار، وتاريخ إمارة بهاول بور» (بالإنجليزية) ص٢٣ ـ ٢٦، تأليف اللواء نذير علي الذي كان سكرتيراً عسكريًا للأمير العباسي الأخير، طبعة لاهور عام ١٩٥٩م، وسيشار إليه هنا «بنذير» فيما بعد.

٣ـ فتوح البلدان (فتح السند)، ص٢٧٣ طبعة لاهور ١٩٤٢م، والأخبار ص٣٧.

٤ـ الأخبار ص٤٨ و شش نامه (النص الأردي) ١٨٣، وهو أقدم تاريخ لبلاد السند بالفارسية عن أصل عربي قد ضاع. طبعة كراتشي ١٩٦٣م.

٥ـ نذير، ص ٢٣ ـ ٢٦.

٦ـ المرجع نفسه.

٧ـ المرجع نفسه، والأخبار ص٦٦.

٨، ٩ـ المرجع نفسه.

١٠ـ مجلة «المعارف» الأردية، لاهور، يونيو/ حزيران ١٩٦٩م.

١١ـ راجع مقدمة كتاب القرط على الكامل للمبرد للكاتب، طبعة لاهور ١٩٨٠م.

١٢ـ مروج الذهب للمسعودي ١: ٧٣٢، طبعة ليدن ١٨٩٦م.

١٣ـ صبح، ص١٦، والأخبار ص٣، ونذير، ص٢٤.

١٤، ١٥، ١٦ ـ المرجع نفسه.

١٧ـ تاريخ فرشته (بالفارسية)، ص ٢٧٣، للشيخ محمد قاسم فرشته، طبعة دلهي ١٩٣٥م.

١٨ـ مسألة الخلافة لأبي الكلام آزاد (بالأردية) ص ١١٣، طبعة لاهور ١٩٥١م، وتاريخ الأمم الإسلامية لمحمد الخضري ٢: ٦١٥، طبعة القاهرة دون تاريخ.

١٩ـ صبح، ص٥٥.

٢٠ـ نذير، ص٣٨، وصبح، ص ٥٩ ـ ١٠١.

٢١ـ المرجع نفسه.

٢٢ـ تاريخ مدينة لاهور، لعبد اللطيف القاضي (بالأردية)، ص ٢٧٣، طبعة لاهور ١٩٦٢م، وصبح، ص٥٥ ـ ٨٥.

٢٣ـ المرجع نفسه.

٢٤ـ نذير، ص٢٣ ـ ٢٦، وصبح، ص٨٩ ـ ٩٢.

٢٥، ٢٦ ـ المرجع نفسه.

مشروع الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم

عبدالرحيم عثمان حسن شراقي
حولي - الكويت

شهد القرن العشرون ونهاية القرن التاسع عشر تطوراً علمياً هائلاً، وكان من ذلك اختراع آلة التسجيل الصوتي (الفونوغراف Phonograph) على يد المخترع الأمريكي توماس إديسون Thomas Edison (١٨٤٧ - ١٩٣١م) في عام ١٨٨٧م(١)، واستفاد المسلمون من آلات التسجيل الصوتي منذ وصولها إلى بلاد المسلمين، فسُجلت بعض الخطب والكلمات للعلماء، وبعض التلاوات القرآنية لمشاهير القراء، ولعل أقدم ما وصل إلينا من التسجيلات القرآنية - تسجيلات القارئ الشيخ محمد رفعت(٢)، على أن التسجيلات في ذلك الوقت لم تعدُ ما كان يقرؤه القراء من أجزاء السور أو قصارها في الحفلات والمناسبات.

كان يدور بخلد صاحب هذا المشروع قبل سنين من تقديم مشروعه - وجوب الاستفادة ممّا وصل إليه العلم من تسجيل الأصوات في جمع القرآن جمعاً صوتياً، إذ لمح أن العلماء من كل فن أتيح لهم البقاء، ومواصلة العطاء ولو بعد الموت، بما يدونونه من كتبهم، أما القراء، فتراثهم الصوتي يفنى بفنائهم.

لا يشك أحدٌ أن علم القرّاء ينتقل إلى تلاميذهم، فيحوزون بذلك الثواب العظيم من الله تعالى، ولكن لا شكّ أن إتقان الأداء الصوتي والتميز فيه لا ينتقل دائماً إلى التلاميذ، والكثير من القرّاء الحاذقين يخلفهم من لا يعدلهم أستاذية وحذقاً.

فكرة الجمع الصوتي

في شهر شعبان من سنة ١٣٧٨هـ(٣)، تقدم الدكتور لبيب السعيد(٤) إلى الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم باقتراح بشأن تسجيل القرآن الكريم صوتيًا بكل رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة.

وجاء في نص الاقتراح:

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتراح مقدَّم إلى مجلس إدارة الجمعية من رئيسها (لبيب السعيد) بشأن تسجيل القرآن الكريم صوتيّاً بكل رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة

يُمكن الآن أن يتجاوز المسلمون التسجيل الكتابي للقرآن الكريم إلى تسجيله صوتيًا، فيصبح لديهم التسجيلان كلاهما. وقديماً تطور تسجيل الكتاب العزيز من الكتابة على العظام واللحاف وعسيب النخل، إلى

تسطيره على الجلد والقماش، ثم الأوراق بأنواعها. وكما تطورت طريقة كتابة المصحف بأن أضيف إليه النقط والشكل والضوابط والمحسنات الخطية، تطورت أيضًا طريقة التسجيل من الكتابة باليد إلى الطباعة. على أن أهم وسيلة لنقل القرآن الكريم عبر الدهور، كانت وما زالت: روايته وتلقينه مباشرة وشفاهًا، فمًا لفم، وهذا هو المعتمد على علماء القراءة، لأنّ في القراءة ما لا يمكن إحكامه إلا عن طريق السماع والمشافهة. ومتابعة للتطور، وتأكيدًا لطريقة النقل الشفوي، وتطويرًا لها، يمكن الآن الاتجاه إلى تسجيل القرآن الكريم تسجيلاً صوتيًا، ولعل هذا الأسلوب أن يكون هو أصلح أساليب العصر، وأكثرها تيسيرًا على المسلمين في تلقي الكتاب العزيز، مجودًا ومتلوًا بمختلف القراءات.

ومعلوم أن لدى دور الإذاعة تسجيلاتٍ من آي الذكر الحكيم من ترتيل بعض القارئين، ولكن التسجيلات التي نريدها من طراز آخر، فالتطريب ليس من أغراضها، وإنما التعليم هو غرضها الأول، ومفهوم أن الفرد العادي لا يستطيع، ولا يجب عليه في حياته العملية، أن يقرأ القرآن بالطريقة التلحينية التي يذيعه بها القراء الآن في دور الإذاعة، وفي المحافل.

والملاحظ الآن أن كثيرًا من المسلمين لا يُحسنون - مع الأسف - أداء الكتاب العظيم، حسب أصول التجويد، مع أنهم بالضرورة يؤمنون بهذا الكتاب، ويحبونه، ويستهدونه.

والملاحظ أيضًا أن أغلب حُفّاظ القرآن الكريم لا يعرفون غير رواية حفص، وهذا وذاك أمران بالغا الخطورة، ويتعين على الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم وهي التي تعمل ليظل ميراث القرآن محفوظًا أحسن حفظ على مدى الزمن، أن تطَبَّ(٥) لهذه الحال عاجلاً. وربما كان مشروع تسجيل القرآن صوتيًا من كبار علماء القرآن هو السبيل العملية السهلة إلى العلاج المنشود. ولست هنا بصدد التنويه بفضل القرآن الكريم على العالمين، ولا الإشارة إلى ما يرجى من وراء تعلمه واتباعه وتلاوته حق التلاوة من خير يعمُّ البشرية، ويهيئ للمسلمين والعرب الإمامة في الأرض، فهذا كله أوضح من أن يوضح، ولكن الذي أشير إليه هو أن المسلمين - في مختلف البقاع - يهفون إلى وسيلة ميسورة يتعلمون عن طريقها كتابهم الأقدس، ويتلونه على نسقها تلاوة صحيحة يقوى عليها الفرد العادي.

ولا ريب أن الحاجة إلى هذه الوسيلة - بالنسبة إلى الدول الإسلامية غير العربية - أمسُّ، وأن انتشار القرآن بفضل هذه الوسيلة سيكون أوسع، وطلابه سيكونون أكثر، وأن المصحف المسموع سيكون سببًا خطيرًا لزيادة توثق العلاقات بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.. وفيما يختص بالتسجيل نفسه، أقترح أن يشمل تلاوة الكتاب العزيز كله بقراءة حفص، ثم بمختلف القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة، وعلى أن لا تُرَدَّد الآية الواحدة بأكثر من قراءة واحدة في التلاوة الواحدة، كما يشمل التسجيل دروسًا عملية في أحكام التجويد بطريقة سهلة ميسرة، تمكن الجمهور العادي من الانتفاع بها.

أما فيما يختص بمن يتولون القراءة والتدريس العملي، فيجب أن يكونوا من أعظم علماء القرآن، مع مناسبة أصواتهم للتسجيل، وأن تختارهم لجانٌ لها خبرتها القرآنية العظمى، ويشارك فيها الأزهر الشريف، والهيئات العلمية واللغوية والثقافية الأخرى.

وأقترح تشكيل لجنة من أعضاء الجمعية تضم إليها من تشاء ممن يُرجى نفعه لأعمالها، وتضع اللجنة منهاجًا كاملاً مفصلاً لتنفيذ المشروع، سواء من الناحية القرآنية، أو ناحية التسجيل الفني، أو من الناحيتين التمويلية والإدارية، كما تحدد المعاونات الممكن الحصول عليها من الجهات الحكومية والشعبية المختلفة، وتتولى اللجنة كذلك ترشيح أعضاء

اللجان التي يعهد إليها باختبار علماء القرآن الكريم ممن سيناط بهم التسجيل(٦).

القرآن المُرتّل، أو المصحف المرتّل

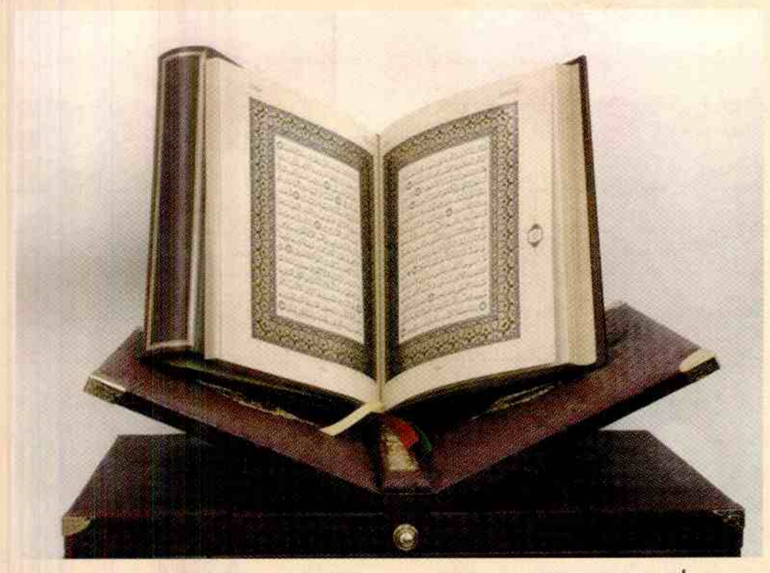
لفظ (المصحف) اسم مجموعة صحائف القرآن، مرتبة الآيات والسور، وقد شاع استعمال لفظ «المصحف» كعلَم على ما جمعت فيه صحف القرآن الكريم.

ورد أن الصحابة رضي الله عنهم - بعد جمع القرآن - اصطلحوا على تسمية ما جمعوه فيه مصحفًا. عن ابن شهاب، قال: لمّا جمعوا القرآن، فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا لها اسمًا، فقال بعضهم: السِّفْر، وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف، وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله سمّاه المصحف(٧).

ويصح إطلاق لفظ (القرآن) على المقروء، كما يصح إطلاقه على المكتوب في المصاحف، ويصح إطلاقه على البعض، كما يصح إطلاقه على الكل، فهو مشترك لفظي(٨).

وقد دعا البعض إلى إطلاق «القرآن المرتل» على مجموعة أسطوانات القرآن، بدلاً من اسم «المصحف المرتل»، ولكن صاحب فكرة الجمع الصوتي آثر استعمال الاسم الذي استُعمل لصحف القرآن نفسه، لوروده في الأحاديث النبوية، أو لاختيار المسلمين ذلك الاسم على عهد الخليفة الأول(٩).

وقد لاحظ في ذلك أن إطلاق الصحابة رضي الله عنهم (المصحف)



على ما جُمعت فيه صحف القرآن، كان تفريقًا بين الصحف - و هي ما يُكتب فيه، والمكتوب فيها - وهو القرآن الذي هو كلام الله تعالى، كما كان هذا الإطلاق تنْزيهًا للفظ (القرآن) من الامتهان، بأن يقال مثلاً: قرآن ابن مسعود، أو قرآن أبيٍّ، بدل مصحف ابن مسعود، أو مصحف أبيٍّ، أو أن يقال: وجد خطأ في قرآن فلان، يريد مصحفه، أو نحو ذلك(١٠).

فيكون اختيار اسم «المصحف» لمجموعة الأسطوانات أو الأشرطة التي سُجِّل فيها القرآن الكريم مقروءاً - تشبيهاً لها بالصحف التي كُتب فيها القرآن.

وهذا تجوُّزٌ يسير مقبول، فإن اسم «المصحف» أصبح في الاستعمال مقتصراً على ما جُمع فيه القرآن، فلا مانع من إطلاقه على ما سُجِّل فيه القرآن متلواً، ويكون الجامع بين المصحف المكتوب والمصحف المقروء أن كلاً منهما قد جُمع فيه كلام الله تعالى.

أمّا استعمال لفظ (المرتل) في اسم ذلك المجموع في الأسطوانات، فهو مأخوذ من الترتيل.

والترْتيل: التَّرْسيلُ في القراءة والتبيين بغير بغي، وهو مأخوذ من الرَّتَل، محرَّكة، وهو حُسْنُ تناسق الشيء، والحَسَنُ من الكلام، والطَّيِّبُ من كلِّ شيء، يُقال: رتَّل الكلامَ تَرْتيلاً: أحسنَ تأليفهُ(١١).

والترتيل في اصطلاح القراءة: القراءة بتؤدة واطمئنان، وإخراج كل حرف من مخرجه، مع تدبر المعاني، ومراعاة الوقوف(١٢). واختيار وصف ذلك المصحف الصوتي بـ (المرتل)، لأن صاحب الفكرة أراد أن تكون تسجيلات ذلك المصحف على طريقة الترتيل كما اصطلح عليها القراء، مع الاعتماد على دقة الأداء، وعمق المعرفة بتطبيق أحكام التجويد، والتزام طرق القراءات(١٣).

أهداف الجمع الصوتي

إن الجمع البَكْري والجمع العثماني للقرآن الكريم، كانا لأسباب ألجأت الصحابة رضي الله عنهم إليهما، ولضرورة ملحَّة دعتهم إلى التفكير في

سبيل حفظ الكتاب الكريم في عهد الصديق رضي الله عنه، ودرء الفتنة عن المسلمين في زمن عثمان رضي الله عنه، وقد كان جمعهم ذلك كافياً لحفظ الكتاب العزيز إلى آخر الزمان.
أما الجمع الصوتي للقرآن الكريم، فلا يبلغ الباعث عليه؛ حد الضرورة، ولكن كانت له أهداف في الجملة خادمة لحفظ الكتاب، ومساعدة عليه.
فقد كانت أهداف الجمع الصوتي للقرآن الكريم في ثلاث جهات: الحفظ، والتعليم، والدفاع.

أولاً: الحفظ

أنزل الله جل وعلا كتابه، ووعد بحفظه، وقد قام المسلمون على مرّ العصور بما يجب عليهم تجاه الكتاب الكريم من الحفظ والعناية، فكان من ذلك جمع الصحابة للقرآن في زمن الصدّيق وعثمان - رضي الله عنهما - وكان واجبًا على المسلمين في كل عصر أن يقوموا بما يستطيعون للمحافظة على كتاب ربهم، وكانت فكرة الجمع الصوتي للقرآن الكريم في العصر الحديث مما يصبُّ في القناة ذاتها، ويساعد على حفظ القرآن الكريم من التحريف، ويتبين ذلك في عدة أمور مما يفيده الجمع الصوتي، وهي:

- تحقيق التلقي الشفوي(١٤): كان التلقي الشفوي هو الطريقة المعتمدة في نقل القرآن منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا، فالأداء الصوتي لا يُمكن تعلمه من الكتاب، ولذلك قالوا: لا تأخذ القرآن من مُصْحَفِي.

فقد تنوعت طرائق النقل والتحمُّل في علوم الشريعة من السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، إلى المناولة والإجازة والمكاتبة والوصية والإعلام والوجادة(١٥)، وظاهرٌ أن هذه الطرائق تصلح لنقل جميع علوم الشريعة، أما نقل القرآن، فإن ما عدا الطريقتين الأوليين لا يتأتى فيه، لذا فقد اقتصر القراء في نقل القرآن على السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، وهذا أمرٌ يعتمد على المشافهة(١٦).

أهم وسيلة لنقل القرآن الكريم عبر الدهور، كانت وما زالت: روايته وتلقينه مباشرة وشفاهًا، فمًا لفم، وتطويراً لها، يمكن الآن الاتجاه إلى تسجيل القرآن الكريم تسجيلاً صوتيًا، مجودًا ومتلوًا بمختلف القراءات

ويستدل لهاتين الطريقتين بعرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل عليه السلام، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يقرؤون على النبي صلى الله عليه وسلم، ويتعلمون منه مشافهة: فعن شقيق بن سلمة قال خَطَبَنَا عبدالله بن مسعود فقال: والله لقد أخذتُ منْ في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضْعًا وسَبْعين سُورةً(١٧).

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ عليَّ. قلتُ يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنْزِل؟ قال: نَعَمْ. فقرأتُ سُورةَ النساء حتى أتيتُ إلى هذه الآية: *فَكَيْف إذا جئنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بشهيدٍ وجئْنَا بِكَ على هؤلاء شهيدًا*. **النساء**:٤١. قال: حَسْبُكَ الآنَ. فالتَفَتُّ إليه فإذا عيْنَاهُ تَذْرِفان(١٨).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ أيضًا على أصحابه، ليستمعوا إلى قراءته ويتعلموا منه صلى الله عليه وسلم. فعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأبيٍّ: إن الله أمرني أن أقرأ عليكَ القُرآن: قال أُبَيٌّ: آلله سَمَّاني لك؟ قال: اللهُ سَمَّاكَ لِي، فجعل أُبيٌّ يبكي(١٩).

وقد اقتصر القراء على طريقة المشافهة في نقل القرآن؛ لأن الهيئات الصوتية من تفخيم وترقيق، ومدٍّ وقصر، وإدغام وإظهار، وفتح وإمالة وغيرها - لا يمكن تمييزها وإتقان النطق بها بالكتاب، بل لا بدَّ في كل ذلك من المشافهة(٢٠).

وبعد مرور نحو أربعين سنة على تسجيل أول المصاحف المرتلة الكاملة، لا يشكُّ أحد أن المصاحف المرتّلة المسجّلة كان لها أثرٌ ظاهرٌ في تسهيل تطبيق تلك الأحكام الصوتية، وأنها سهّلت على الجميع الأخذ بها(٢١).

- المحافظة على القراءات الثابتة(٢٢): منذ أن أرسل عثمان رضي الله عنه المصاحف إلى الأمصار، وأرسل مع كل مصحف قارئًا يقرئ الناس بما يوافق المصحف الذي أرسل معه، فتتابع القراء بعد ذلك يقرؤون بما يوافق مصاحف بلدانهم، مما تلقوه عن مشايخهم، ثم نقلت إلينا اختيارات عشرة من الأئمة في القراءة، فما زالت مقروءة منقولة إلى الآن.

وقد اتفق على أن قراءات الأئمة

العشرة متواترة، مقروء بها، وعلى أن ما خالفها من اختيارات غيرهم شاذة، غير مقروء بها(٢٣).

قال عبدالوهاب بن علي السبكي: القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب، وقراءة خلف - متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلومٌ من الدين بالضرورة أنه منزَّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهلٌ، وليس تواتر شيء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات، بل هي متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ولو كان مع ذلك عاميًا جلفًا، لا يحفظ من القرآن حرفًا(٢٤).

وقال أيضًا: القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط، ولا يصح القول به عمن يعتبر قوله في الدين(٢٥).

فكان من أهداف الجمع الصوتي التي رمى إليها صاحب المشروع - أن يجمع القرآن على جميع الروايات الثابتة، ويقصد بها الروايات التي رويت عن الأئمة العشرة، على أن تجمع كل رواية في ختمة مستقلة على غرار ما فعل عثمان في جَمع المصاحف، لمّا وزع ما لا يحتمل الرسم الواحد على أكثر من مصحف من المصاحف التي كتبها.

وكان الهدفُ من جمع تلك الروايات جمعًا صوتيًا - نشرها بين المسلمين، إذ إن معرفة عوام المسلمين بالقراءات في تناقص مستمر، ولا فضلٍ لقراءة على غيرها، فجميعها وحيٌ منزل، وكلها كلام الله تعالى، ولا شكَّ أن تيسيرها للناس مسموعة يسهل نشرها، فإن معرفة القراءات من بطون الكتب عسيرة على المتخصصين في العلوم الشرعية، فضلاً عن العوامّ، ولا يمكن معرفتها إلا عن طريق شيوخ القراءة، ومن العسير على الكثيرين الوصول إليهم، لأنهم قليل، كما يخلو كثير من البلدان منهم، وفوق ذلك تحتاج تلك المعرفة



توماس أديسون

إلى دراسة شاقة طويلة، ولا يحتاج إليها العامة، بل يكفيهم أن يسمعوا الروايات كافة كما يسمعون الرواية المشهورة في بلادهم في الصلوات وغيرها.

ومما يلحق بهذا الهدف منع القراءة بغير تلك القراءات المتواترة من القراءات الشاذة التي تخالف مصحف عثمان رضي الله عنه، وإن صح سندها، وكان لها وجهٌ من العربية(٢٦).

وقد نقل ابن عبدالبر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشواذ، ولا يُصلى خلف من يقرأ بها(٢٧).

وقال ابن الصلاح: يُشترط أن يكون المقروء به على تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا واستفاض نقله بذلك، وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع؛ لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع - ما تقرر وتمهّد في الأصول - فما لم يوجد فيه ذلك مما عدا العشرة، فممنوعٌ من القراءة به، منع التحريم، لا منع كراهة، في الصلاة وخارج الصلاة.. وواجبٌ على من قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك.. ويجب منع القارئ بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه، وإن لم يمتنع فعليه التعزير بشرطه(٢٨).

ولا شك أن المعرفة بالأوجه الثابتة المتواترة عن طريق التلاوات المسجلة يعين الجميع على التمييز بين القراءات المتواترة والشاذة.

ثانيًا: التعليم

تعليم القرآن شعارٌ من شعارات الدين، أخذ به المسلمون، ودرجوا عليه في جميع البلدان، وجعلوه أصل كل تعليم، فبدؤوا تعليم الصغار به، ووقف أثرياء المسلمين الكثير من أموالهم على هذا التعليم.

ولا شك - كما مرَّ قريبًا - أن تعليم القرآن يحتاج إلى المشافهة والسماع، وكثير من المسلمين قد يتعذر عليهم هذا الأمر بسبب بعد القراء عنهم، كما أن في المجتمع النساء اللاتي لا يتيسر لهن من يعلمهن القرآن، بسبب المنع من الخلوة بالمرأة، كما روى ابنُ عباس عن النبي صلى الله عليه

وسلم: *لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامرأةٍ إلا مَعَ ذي مَحْرَمٍ*(٢٩).

فالمصاحف المسجلة بلا شك تساعد هذه الفئة من النساء التي لا يتيسر لها قراءة القرآن على القرّاء المتخصصين، فيستطعن سماع هذه المصاحف في كل وقت، وفي كل مكان، مع كون القارئ خبيراً نموذجي الأداء، ولا يضر مع ذلك الخلوة به.

وهناك فئة أخرى لا تستطيع الاعتماد عند الحفظ إلا على التلقي الشفهي، وهم المكفوفون، فهؤلاء عندما يتعلمون القرآن يتطلبون من المعلم جهداً كبيراً؛ لأنه لا مرجع لهم من الصحف يرجعون إليه، وهذه المصاحف المسجلة تيسر عليهم وجود القارئ معهم، وتقلل عناء المقرئين الذين يعلمونهم.

وقد طبع القرآن بطريقة برايلBraille(٣٠) في مصر في عام ١٩٥٩م ليستفيد به المكفوفون، غير أن هناك صعوبات كثيرة في استعمال هذه الطريقة، إذ لا يؤمن معها تعرض القارئ للخطأ، كما أنها تكون في مجلدات كثيرة، يثقل حملها، وتستلزم تدريباً خاصاً لا يتاح لكل مكفوف، فكانت هذه المصاحف المسجلة من أعظم المساعدين على تعلم هؤلاء المكفوفين القرآن(٣١).

وتفيد المصاحف المسجلة متعلمي القرآن الكريم بطريقتين أساسيين، هما:

- وضع النماذج الصوتية للتلاوة المتقنة: كما مرَّ في فكرة الجمع الصوتي قريباً - أراد صاحب هذا المشروع أن يجمع القرآن صوتياً على طريقة الترتيل المرسل، على نحو يشبه قراءة الأئمة في الصلوات، وأن يبتعد القراء في ذلك الجمع عن القراءة التطريبية، وهذه النماذج المقترحة من القراءة المرسلة أقرب إلى التدبر والخشوع، وأعون للمتعلم على إتقان التلاوة، كما أنها في طوق الناس كافة، بخلاف القراءة التطريبية التي تحتاج إلى قوة الصوت، وطول النفس، وتحتاج إلى دراسة قواعد خاصة بها(٣٢).

وأود الإشارة هنا إلى أمر خطير في شأن التسجيلات الصوتية للقرآن الكريم، فقد انتشر في العصر الأخير تسجيل القرآن كله أو بعضه في كثير من بلاد المسلمين، حتى صارت تتنافس فيه الإذاعات، وتجاوز الأمر التسجيل في الإذاعات إلى تسجيل قراءات الأئمة في المساجد في صلاة التراويح وغيرها.

الجمع الصوتي يدفع الكثير من الطعون التي وجهت إلى المصحف العثماني، ويعضد المصحف العثماني المجمع عليه

وهذه الأعمال خطيرة من وجوه:

الأول: أن القائمين على هذه التسجيلات لا يرعون فيها شيئاً أكثر من جمال صوت القارئ - في غالب الأحيان، أو شهرته.

والثاني: أن هذه المصاحف يكون فيها من الأخطاء ما لا يغتفر مثله في موضع التسجيل، وإن اغتفر في الصلاة مثلا، لأن القارئ عرضة للخطأ، ولا يتيسر له تصحيح الأخطاء، بخلاف المصاحف المسجلة، فإن سامعها يثق أنها قرآن صحيح لا خطأ فيه.

والثالث: أن هذه التسجيلات لا يتوافر لها من يراجعها لا في أثناء القراءة، ولا قبل العرض والإذاعة، فضلاً عن أن يوجه القارئ إلى وجه الصواب في أثناء قراءته، ولا شك أن القارئ - غالباً - أقل بصراً بأخطائه ممن يسمعه إذا كانوا من أهل الحذق والإتقان.

وسيأتي - إن شاء الله - بيان ما لقيته المصاحف التي سجلت في مصر تنفيذاً لهذا المشروع من العناية والدقة، ومن الواجب على القراء الآن أن يرجعوا إليها ويقتفوا أثرها في الدقة والعناية، وألا يثق القارئ بنفسه، فيترفع عن أن يراجع غيره قراءته، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد كان مع فصاحته وعصمته في البلاغ عن الله، يدارس جبريل القرآن، ويعرضه عليه في رمضان من كل عام.

- علاج مشكلة اختلاف رسم المصاحف عن الرسم الإملائي: لا شك أن المصحف المسجل صوتياً يحل مشكلة كبيرة في أمر اختلاف الرسم العثماني عن القياسي، واحتمال خطأ القارئ فيه، وقديماً لما كثر اللحن والخطأ بين الناس، وضع العلماء علامات نقط الحروف، ثم علامات الضبط ووقع أيضاً التصحيف على بعض الناس، فالتمسوا لذلك حيلة، فلم يقدروا إلا على الأخذ من أفواه الرجال، فرجع الأمر إلى ما كان عليه أولاً من أهمية التلقي الشفهي، وهذه المصاحف المسجلة بالشروط التي

تضمن الدقة والإتقان توفر جهداً كبيراً على المعلّمين والمتعلّمين(٣٣).

ثالثًا: الدفاع(٣٤)

- معاضدة المصحف العثماني المجمع عليه: الجمع الصوتي يدفع الكثير من الطعون التي وجهت إلى المصحف العثماني، ويعضد المصحف العثماني المجمع عليه، وذلك بالتزام ما ثبت من القراءات التي من شروط قبولها موافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً(٣٥).

- درء التحريف: وكذلك في التسجيل الصوتي للقرآن الكريم صيانة له عن التحريف. وقد يحصل التحريف بغير قصد، كما نرى من انتشار اللحن بين الناس منذ زمن بعيد، وشدة انتشاره في هذا الزمان، لما أصبح عليه الناس من البعد عن لَغة العرب، فأصبحوا في حاجة إلى سماع القرآن على الوجه الصحيح، وتأكد في حقهم وجوب التلقي الشفهي، وعدم الاكتفاء بالمصاحف المكتوبة.

كما قد شنّ بعض أعداء الإسلام في العصر الأخير حرباً شعواء على القرآن، حتى قد ظهر من يحاول تحريف القرآن جهاراً، كما فعلت إسرائيل في عام ١٩٦٠م من طبع مئة ألف نسخة من القرآن الكريم، تحتوي على الكثير من التحريف والتبديل، من أخطاء لفظية ومطبعية، ومن حذف بعض الكلمات، وإسقاط بعض الآيات، وقام العلماء المسلمون بالواجب عليهم تجاه تلك الهجمة الشرسة، فبينوا ما في تلك المصاحف من الأخطاء، وأبرزوها للمسلمين، وحذروهم منها، ومن تداول تلك المصاحف(٣٦).

وقد أصبح مشروع المصحف المرتل وسيلة فعالة لمقاومة هذه الجريمة، وعُدَّ حدثًا عالميًا لمكافحة تحريف إسرائيل للقرآن، وتقرر توزيع المصحف المرتل في البلاد التي وزعت فيها إسرائيل مصاحفها المحرفة(٣٧).

خطة المشروع وتنفيذ الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم: وضع صاحب المشروع خطة عمل تكفل له الدقة المكنة للوصول إلى تسجيلات يريد لها أن تكون مصاحف مرتلة أئمة، يرجع إليها، ويثق بما فيها. وتلخصت هذه الخطة في الخطوات الآتية:

- اقتضاء كل قارئ غاية الدقة في الأداء، وإلغاء كل تسجيل لا يصل الأداء فيه إلى حد الامتياز، وعدّ هذا مبدأ لا يجوز أبدًا الترخص فيه.

- استماع لجنة التسجيل جميعها إلى الحصة القرآنية المراد تسجيلها، للتأكد من دقة أداء القارئ ومراعاته للأحكام، وتزويده بما قد يلزمه من توجيهات، وخاصة فيما يتعلق بمواضع الوقف والابتداء.

- أن يتم تسجيل القرآن الكريم بالقراءات الثابتة المتواترة، فيسجل لكل قارئ من القرّاء العشرة برواية اثنين من رواته، بأشهر طرق الرواية عنهم، ثم يتبع بعد ذلك بالطرق الأخرى.

اسم «المصحف» أصبح في الاستعمال مقتصرًا على ما جُمع فيه القرآن، فلا مانع من إطلاقه على ما سُجِّل فيه القرآن متلواً

- تشكيل لجنة من علماء القراءة من أصحاب الخبرة الكبيرة في تدريس كتاب الله، تتولى اختيار القرّاء الذين سيناط بهم التسجيل، كما تشرف على التسجيلات من الناحية العملية.

وقد تشكلت اللجنة الأولى من الأساتذة: فضيلة الشيخ عبدالفتاح بن عبدالغني القاضي، والشيخ عامر السيد عثمان، والشيخ عبدالعظيم خياط، والشيخ محمد سليمان صالح، والشيخ محمود حافظ برانق، والأربعة الأخيرون من مدرسي معهد القراءات التابع للأزهر.

- اختيار القرّاء الذين سيقومون بالتسجيل، على أن يكونوا من أعلم القراء، مع مناسبة أصواتهم للتسجيل.

- مراعاة التزام القارئ طريق الرواية التي يقرؤها، وعدم خلط طرق القراءة بعضها ببعض، فيلتزم من أول القرآن إلى آخره الطريق الذي بدأ به نفسه، ولا يتجاوزه في ذلك أبداً.

الطرق المختارة لتسجيل القرآن بالقراءات العشر

دعا صاحب مشروع الجمع الصوتي إلى تسجيل القرآن بكل قراءاته الثابتة، وخطَّط - كبداية للمشروع - أن تُختار روايتان لكل قراءة من القراءات العشر، وأن يُختار لكل رواية أربعة من أشهر طرق رواية تلك القراءة، ثم حدّد بمعاونة الأستاذين الشيخين: محمد حافظ برانق، ومحمد سليمان صالح الطرق المختارة ليبدأ بها الجمع

الصوتي للقرآن الكريم فجاءت على النحو الآتي: قراءة نافع، وقراءة ابن كثير، وقراءة أبي عمرو، وقراءة ابن عامر، وقراءة عاصم، وقراءة حمزة، وقراءة الكسائي، وقراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف البزار.

تنفيذ الجمع الصوتي الأول

دعا صاحب المشروع ثلاثة من أشهر القراء وعلماء القراءة للبدء في التسجيل، وهم الشيخ محمود خليل الحصري، وكان وقتئذ وكيل مشيخة المقارئ المصرية، واتُفق على أن يسجل القرآن برواية حفص عن عاصم، والشيخ مصطفى اللواني، وكان شيخ إحدى المقارئ بوزارة الأوقاف، وكان عالمًا حاذقًا في القراءات، واتُفق على أن يسجل رواية خلف عن حمزة، والشيخ الأستاذ عبدالفتاح بن عبدالغني القاضي، واتُفق على أن يسجل رواية ابن وردان عن أبي جعفر، مع الإشراف الفني على التسجيلات.

رواية حفص(٣٨) عن عاصم

في أوائل سنة ١٣٧٩هـ (٣٩)، وبعد مفاوضات كثيرة، والتغلب على المعوقات المالية بدأ الشيخ محمود خليل الحصري بتسجيل رواية حفص عن عاصم، بإشراف اللجنة الأولى التي شكلت للإشراف على التسجيل(٤٠).

وكان ذلك التسجيل برواية حفص عن عاصم من طريق الفيل عن عمرو بن الصبَّاح(٤١)، على ما أوضحه المعدل في كتاب الروضة(٤٢). والتُزم في هذا التسجيل:

- القراءة بالقصر في المد المنفصل، وبالتوسط في المد المتصل، والقصر في المد المعارض للسكون(٤٣).

- القراءة بالسين في: *وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ*. **البقرة**:٢٤٥، وفي: *وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً*. **الأعراف**:٦٩، وفي: *أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ*. **الطور**:٣٧.

- القراءة بالصاد في: *لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ*. **الغاشية**: ٢٢.

- القراءة بالإبدال مع إشباع المدّ(٤٤) في: *ءَالذَّكَرَيْنِ*. **الأنعام**: ١٤٣ و ١٤٤، *وءَالآن*. **يونس**. ٥١ و٩١، *وءَاللَّهُ*. **يونس**:٥٩، **والنمل**:٥٩.

- القراءة بالإدغام في: *يَلْهَث ذَّلِكَ*. **الأعراف**:١٧٦، وفي: *ارْكَب مَّعَنَا*. **هود**:٤٢، وفي: *أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ*(٤٥). **المرسلات**:٢٠.

- القراءة بالإشمام في: *تأمنا*(٤٦)، **يونس**:١١.

- القراءة بلا سكت في مواضع السكت الأربعة المعروفة لحفص، وهي: *عِوَجًا*. **الكهف**:١، *ومَرْقَدِنَا*. يس:٥٢، *ومن رَاقٍ*. **القيامة**:٢٧، *وبل رَانَ*. **المطففين**:١٤.

- القراءة بالقصر في (عين) من قوله: كهيعص. **مريم**:١، وعسق. **الشورى**:٢.

- القراءة بالتفخيم في الراء من: *فِرْقٍ*. **الشعراء**:٦٣.

القراءة بفتح الضاد من كلمة (ضعف) في مواضعها الثلاثة في قوله تعالى: *اللهُ الذي خَلَقَكُم مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضعفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوةٍ ضَعْفًا وشَيْبَةً*. **الروم**:٥٤.

ومضى العمل في تسجيل رواية حفص بصوت الشيخ الحصري، وقد اقتضى العمل جهدًا كبيرًا من جانب القارئ مع امتيازه، وكونه إذ ذاك قد أصبح شيخ المقارئ المصرية، وكذلك من اللجنة التي كانت تستوقف الشيخ الحصري كثيرًا، ليعيد التسجيل على النحو النموذجي المطلوب(٤٧).

وانتهى التسجيل في أواسط عام ١٩٦٠م، وبدأ الطبع في شهر مايو/أيار من السنة نفسها، وظهرت الطبعة الأولى بعد عام كامل تقريبًا في شهر يوليو/تموز من عام ١٩٦١م.

كانت أهداف الجمع الصوتي للقرآن الكريم: الحفظ، والتعليم، والدفاع

رواية الدوري عن أبي عمرو بن العلاء

في عام ١٩٦٢م بدأ القائمون على ذلك المشروع تسجيل القرآن برواية حفص الدوري(٤٨)، وهي الرواية الأكثر ذيوعًا في السودان، وتشاد، ونيجيريا، وأواسط إفريقية بصفة عامة(٤٩).

وقد كان البدء بتسجيل هذه الرواية(٥٠) تلبية لرغبة عدد من علماء البلاد التي تنتشر فيها تلك الرواية، خاصة أن المصاحف المكتوبة برواية الدوري عن أبي عمرو عزيزة المنال(٥١).

وتولى تسجيل هذه القراءة ثلاثة من المشايخ القراء: هم الشيخ فؤاد العروسي، والشيخ محمد صديق المنشاوي، والشيخ يوسف كامل البهتيمي.

وقد كان التسجيل في تلك المرة لثلاثة من القراء، دفعا لملل السامعين، واستفادة من أكبر عدد من أصحاب المواهب(٥٢).

وانتهى تسجيل رواية الدوري عن أبي عمرو في جمادى الأولى سنة ١٣٨٣هـ الموافق لشهر سبتمبر/أيلول من عام ١٩٦٣م(٥٣).

وقد سُجِّل مصحفٌ آخر برواية الدوري عن أبي عمرو بصوت الشيخ الحصري، ولكنه لم يشتهر، ولا أدري إن كان قد راجعته لجنة علمية أم لا.

المصاحف الأخرى المسجلة برواية حفص عن عاصم

في أواخر عام ١٩٦٣م رغبت وزارة الأوقاف المصرية في تسجيل القرآن مرات أخرى برواية حفص عن عاصم، بصوت عدد من كبار القراء، لأن عامة القراء كانوا يرغبون في البدء بتسجيل رواية حفص أولاً، ولما كان هذا العمل لا يخلو من فائدة وهي تسجيل بقية الطرق التي رويت عن حفص، فقد خطط صاحب المشروع لتسجيل رواية حفص بغير الطريق الذي تم به التسجيل الأول.

وكانت هذه آخر أخبار صاحب المشروع، ممّا دوّنه في كتابه (الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ـ أو المصحف المرتل)، وليس لدي ما يدل على أنه قد شارك في التسجيلات الأخرى.

وقد تم بالفعل تسجيل رواية حفص عن عاصم بطرق مختلفة عدة مرات في الإذاعة المصرية، وتحت إشراف لجنة المراجعة فيها(٥٤)، وذلك بأصوات كل من: الشيخ محمود خليل الحصري(٥٥)، والشيخ مصطفى إسماعيل، والشيخ محمد صديق المنشاوي، والشيخ عبدالباسط محمد عبدالصمد، والشيخ محمود علي البنا، والشيخ محمود صديق المنشاوي، والشيخ علي حجاج السويسي، والشيخ الشحات محمد أنور، والشيخ أحمد محمد عامر، والشيخ أحمد نعينع.



كما تم تسجيل مصحفين برواية حفص عن عاصم بالاتفاق بين الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ووزارة الحج والأوقاف (المشرفة على مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة لطباعة المصحف الشريف)، بإشراف لجنة مراجعة المصاحف في المجمع المذكور، وذلك بصوت الشيخ الدكتور علي بن عبدالرحمن الحذيفي، والشيخ إبراهيم الأخضر، الإمامين بالحرم النبوي الشريف، والمدرسين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية(٥٦).

المصاحف المجودة برواية حفص عن عاصم

كما سُجِّلتْ في الإذاعة المصرية، وتحت إشراف لجنة المراجعة فيها، أربعة مصاحف مجوّدة(٥٧)، وجميعها برواية حفص عن عاصم بأصوات كل من: الشيخ محمود خليل الحصري، والشيخ مصطفى إسماعيل، والشيخ عبدالباسط محمد عبدالصمد، والشيخ محمود علي البنا.

رواية ورش (٥٨) عن نافع المدني

وقد سجلت أيضًا في الإذاعة المصرية تسجيلات برواية ورش عن نافع بن عبدالرحمن المدني، وذلك بصوت كل من: الشيخ محمود خليل الحصري، والشيخ عبدالباسط محمد عبدالصمد.

وهي الرواية المنتشرة في بلاد المغرب العربي، وفي بعض نواحي ليبيا وتشاد، وفي تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، وهي ـ كما مرَّ قريبًا ـ الرواية التي كان لها الانتشار في القرون الأولى في مصر، ومنها انتشرت إلى تلك البلدان.

بقية روايات القراء العشرة

وقد سُجلت أيضاً في بعض البلدان بعض روايات الأئمة، فسُجلت رواية قالون(٥٩) عن نافع، وكذلك رواية البَزِّي(٦٠) عن ابن كثير، ورواية خلف(٦١)، عن حمزة، إلا أن هذه التسجيلات لم تحظ بالمراجعة العلمية المطلوبة، فوجد فيها أخطاء لا تستحق معها أن تدرج مع المصاحف المتقنة

السابقة، فلذا تركت تفصيل أمرها.

وكما هو ظاهرٌ، مازال للمشروع تكملة، فمازال الكثير من الروايات لم يُسجَّل حتى الآن، كما أن التسجيلات التي حصلت لم تستوف جميع الطرق الواردة، حتى عن حفص، على الرغم من كثرة التسجيلات برواية حفص، فقد بلغت طرقه في كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري اثنين وخمسين طريقًا(٦٢).

قيمة الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم

تظهر قيمة هذا الجمع الصوتي للقرآن في تحقيقه لأهدافه الباعثة عليه، وقد رأينا أنه يحقق الكثير من هذه الأهداف في مجالات الحفظ والتعليم والدفاع.

كما تظهر قيمته في التزامه النهج الدقيق الذي وضعه القائمون عليه، والذي نتج منه مصاحف في غاية الإتقان والتجويد، فكان هذا العمل مثالاً يُحتذى، لكل من يريد القيام بتسجيل للقرآن الكريم، وهذا ما نرجو الله أن يوفق المسلمين إليه، كما نرجو أن ينتبه القائمون على التسجيلات القرآنية في الإذاعات إلى أهمية المراجعة العلمية، والمحافظة على غاية ما يمكن من الدقة، فكتاب الله جدير بكل عناية.

وقد أحسن المجتمع العربي والإسلامي تقويم هذا المشروع، وكان في وقته ملء الأفواه، وشغل الأذهان، وجاوب صدى نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فهو مُيسَّرٌ للقارئ والأمي، وللعربي وغير العربي، والطفل والشيخ، والذكر والأنثى.

كما خصصت مصر محطة إذاعة خاصة، لبث ترتيل القرآن، وكانت الأولى من نوعها في العالم الإسلامي، وذلك في أوائل الستينيات من هذا القرن، وهي إذاعة القرآن الكريم المصرية، وقد كانت في بداية أمرها مقصورة على إذاعة ترتيل القرآن من أول نسخة سُجلت من القرآن كاملة للشيخ الحصري، وذلك في ساعات متفرقة من النهار، ثم تطورت بعد ذلك حتى صارت الآن تبث القرآن والبرامج الدينية على مدار الأربع والعشرين ساعة يوميًا(٦٣).

مشروع كلية القرآن الكريم بالمدينة النبوية(٦٤) لجمع القرآن بالقراءات العشر

في سنة ١٤٠٢هـ تقريبًا طرحت كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية مشروعًا لتسجيل مصحف واحد بالقراءات العشر المتواترة، وكان المخطط لهذا المشروع أن يكون على ثلاث مراحل(٦٥):

المرحلة الأولى: تسجيل ختمة كاملة بالقراءات السبع بمضَمَّن الشاطبية(٦٦).

المرحلة الثانية: تسجيل ختمة كاملة بالقراءات العشر الصغرى بمضمَّن الشاطبية والدرة(٦٧).

المرحلة الثالثة: تسجيل ختمة كاملة بالقراءات العشر الكبرى بمضمن الطيِّبة والنشر(٦٨).

خطة العمل في المشروع وتنفيذه وتقويمه

كانت الخطة المقترحة للعمل في هذا المشروع على النحو الآتي:

- أن يتم هذا الجمع على ثلاث مراحل، كما سبق قريبًا، ويبدأ في ذلك بجمع القرآن بالقراءات السبع بمضمن الشاطبية.

- أن يتم الجمع بين أوجه القراءات في التلاوة الواحدة في المراحل الثلاث: السبع ثم العشر الصغرى، ثم العشر، وذلك على طريقة الجمع بالوقف(٦٩).

وجمع القرآن بالقراءات بطريقة الوقف هو أن يشرع القارئ بقراءة لأحد القراء حتى ينتهي إلى وقف يسوغ الابتداء بما بعده فيقف، ثم يرجع إلى القارئ الذي بعده فيأتي بخلافه مع القارئ الأول، إلى الموضع الذي وقف فيه، ثم يفعل ذلك قارئ حتى تنتهي خلافاتهم، ويبتدئ بما بعد ذلك الوقف، وهذه الطريقة يراد منها توفير الوقت عند عرض القراءات على الشيوخ، فينتهي القارئ من العرض في وقت أقل بكثير مما لو قرأ كل رواية على حدة(٧٠).

- أن يقوم أساتذة القراءات في الكلية المذكورة بالإشراف على عملية التسجيل وتوجيه القرّاء، وإلقاء بعض الشروح والتعليقات على القراءة.

- أن يختار من طلاب الكلية المتقنين من يقوم بالقراءة(٧١).

تنفيذ المشروع: بدأت الكلية في تجارب المرحلة الأولى من المشروع، وهي تسجيل القرآن بالقراءات السبع بمضمن الشاطبية، حيث سُجلت سورة البقرة في نحو مئة ساعة(٧٢)، مع بعض الشروح والتوجيهات(٧٣).

وفي سنة ١٤٠٤هـ كانت الكلية قد انتهت من التسجيل من أول القرآن الكريم إلى آخر سورة النساء، فجاءت سورة البقرة في ستين ساعة، وسورة

آل عمران في إحدى وثلاثين ساعة، وسورة النساء في ثمان وعشرين ساعة، كل ذلك بالقراءات السبع بمضمن الشاطبية، وأذيعت هذه التسجيلات من إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية تحت عنوان: «دروس من القرآن الكريم»(٧٤). ثم استمرت الكلية في متابعة التسجيلات، وإلى الآن لم تنته تسجيلات المرحلة الأولى (تسجيل القراءات السبع بمضمن الشاطبية)، وكان آخر عهدي بهم في السنة التي تخرجت فيها من الكلية(٧٥)، وأنهم كانوا قد وصلوا في تسجيلات المرحلة الأولى إلى أواخر سورة التوبة.

أما المرحلتان الثانية والثالثة (وهما تسجيل القراءات الصغرى والكبرى)، فلم تشرع الكلية فيهما إلى الآن. ولا يدرى هل مازال في عزم إدارتها متابعة المرحلتين الباقيتين من المشروع أم لا؟

تقويم المشروع: لا شك أن مشروع جمع القراءات في ختمة واحدة بذل فيه جهدٌ كبيرٌ، ولا ينكر عارفٌ ما فيه من الفائدة لدارسي القراءات، ولغيرهم من المسلمين، ولكن الناظر في طريقة ذلك الجمع، وما تم تسجيله منه يجزم بأن ذلك لا يعد جمعاً للقرآن بقدر ما قد يعدّ كتاباً في القراءات، على نحو ما صنف القدماء من تفصيل خلافات القراء، والفرق أن تصانيف القدماء كانت مكتوبة، وهذا الجمع مقروء مسموع، وفي ذلك فائدة عظيمة من جهة التطبيق والتدريب.

وقد رأينا فيما مرّ(٧٦) أن الصحابة رضي الله عنهم أبوْا أن يدرجوا في نسخة واحدة من المصحف أكثر من وجه من أوجه القراءة، فجاء عملهم هذا مُعَظِّمًا لتلك القراءات أن تكون إحداها أصلاً، والأخرى فرعًا، ولذا كتبوا مصاحف يختلف بعضها عن بعض في تلك الكلمات الخلافية التي لا يحتملها رسمٌ واحد.

وقد كره كثير من الأئمة خلط شيء مع القرآن، حتى لو كان وجوه القراءات.

قال الحليمي في وجوه تعظيم القرآن: ومنها ألاّ يُخلط في المصحف ما ليس من القرآن بالقرآن، كعدد الآيات، والسجدات، والعشرات، والوقوف، واختلاف القراءات، ومعاني الآيات(٧٧).

فالأجدر ألاّ يطلق اسم المصحف إلا على ما كان مجرداً من غير القرآن، وما كان مفرداً لوجه واحد، أما ما كان فيه ذكر الخلاف، فهو أشبه بكتب التفسير وكتب القراءات.

كما أن التسجيلات التي تمت لهذا المشروع تحتوي على ما ليس بقرآن، وهو توجيهات المشايخ للقراء، وشروحهم وتعليقاتهم عليها، فجدير بهذا العمل أن يعد من المصنفات التطبيقية في علم القراءات، أما أن يكون مصحفاً مجموعًا، فظاهر أن ذلك بعيد غير مقبول.

وقد عدّ علماء القراءة الأولون جمع القراءة في التلاوة الواحدة مخالفة لما كان عليه حال سلف الأمة، وجعلوه كجمع أوجه الاختلاف في القراءة في المصحف الواحد، وهو ما منعه الصحابة رضوان الله عليهم.

فقد كان من عادة الأئمة إفراد كل قارئ من القراء بختمة، لا يخلط فيها قراءته بقراءة غيره، وكانوا يبالغون في تحرير الطرق والوجوه، حتى لو اقتضى ذلك الواحد منهم ملازمة شيخه دهراً طويلاً، ومن ذلك أن الأستاذ أبا الحسن الحصري القيرواني قرأ القراءات السبع على شيخه أبي بكر القصري تسعين ختمة في عشر سنين، قال في قصيدته الرائية(٧٨).

وأذكر أشياخي الذين قرأتها ... عليهم فأبدا بالإمام أبي بكر

قرأتُ عليه السبع تسعين ختمة ... بدأتُ ابن عشر ثم أكملتُ في عشرِ

وقد استمر عمل المقرئين على ذلك زمنًا، ثم لما فترت همم الناس، واحتاجوا إلى سرعة العرض، ظهر الجمع بين القراءات في الختمة الواحدة.

مشروع المصحف المرتل وسيلة فعالة لمكافحة تحريف إسرائيل للقرآن

قال ابن الجزري: وهذا الذي كان عليه الصدر الأول، ومن بعدهم، إلى أثناء المئة الخامسة، عصر أبي عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ وابن شيطا والأهوازي المتوفى سنة (ـ ٤٤٦هـ) والهذلي المتوفى سنة ٤٦٥هـ ومن بعدهم، فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة، واستمر إلى زماننا، وكان بعض الأئمة يكره ذلك من حيث إنه لم تكن عادة السلف عليه، ولكن الذي استقر عليه العمل هو الأخذ به، والتقرير عليه، وتلقيه بالقبول، وإنما دعاهم إلى ذلك فتور

الهمم، وقصد سرعة الترقي والانفراد(٧٩).

إن كان ابتكار طريقة الجمع لحاجة الناس إلى سرعة العرض، وتوفير الوقت، فإن هذه الحاجة غير موجودة في مصحف يراد له أن يكون حافظاً لقراءات القرآن، فإن هذه الطريقة التي تكون وجوه القراءات فيها مدرجة متتابعة، لا يستطيع تمييزها إلا قارئ ماهر متقن، فلا شك أن جدواها عند عوام المسلمين قليلة.

والمشروع فيما عدا ذلك عظيم النفع في الناحية العلمية والتدريسية، ففيه التدريب العملي لدارسي القراءات، مع ما فيه من التوجيه للقارئ، والتطبيق العملي للأحكام التي يعسر على القارئ تعلمها دون سماع، من الفتح والإمالة، والتفخيم والترقيق، والإشمام والروم وغير ذلك.

المراجع والهوامش

١. موسوعة مايكروسوفت إنكارتا
Microsoft Phonograph 1993 - 1997 , Encyclopedia.c 98,
corporation Microsoft Encarta مادة

٢. هو القارئ الشيخ محمد بن محمود رفعت، أشهر القراء في العصر الأخير، وأعلم قراء مصر بمواضع الوقف من الآيات، امتاز ببراعة في الترتيل، وإتقان للتجويد، في صوتٍ عذب ينفذ إلى القلوب، وتطمئن إليه النفوس، ولد بالقاهرة سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وكفَّ بصره وهو في السادسة، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م. الأعلام لخير الدين الزركلي. ٧/٩١.

٣. الموافق أواخر شباط/فبراير، أو أوائل آذار/مارس ١٩٥٩م.

٤. كان الدكتور لبيب السعيد من المهتمين بالقرآن الكريم، عمل مراقبًا بوزارة الاقتصاد المصرية، ومدرساً للأدب العربي بكلية الآداب، بجامعة عين شمس، وكان رئيس الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم. من مواضع متفرقة من كتابه: الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم.

٥. الطِّبُ: الحذْق بالأشياء والمهارةُ بها. وطب للشيء: ترفق لإصلاحه. لسان العرب (طبب)

٦. الجمع الصوتي للقرآن الكريم ١٠٢ ـ ١٠٥.

٧. الإتقان في علوم القرآن (١/١٤٩). وقد ذكر بعض الباحثين أن للكلمة أصلاً في الحبشية، وأن ليس في اللغة العربية فعلٌ ثلاثي يمكن أن تشتق منه كلمة المصحف. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص ٨٤ بالحاشية، ولا شك أن في هذا بعداً عن الصواب، فمادة (صحف) معروفة في اللغة العربية، ومنها الصحيفة لما يكتب فيه، وقد قال عز وجل: في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. عبس:١٣، وقال: يَتلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. البيِّنة:٢.

٨. انظر مناهل العرفان (١/٢٢ ـ ٢٣).

٩. الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص٨٥.

١٠. استعمل بعض الطاعنين على القرآن من المستشرقين هذا اللفظ بهذه الصورة الملبسة. حيث عثر ألفونس منجانا Alphonse Mingana، وآجنس سميث لويس Agnes Smith Lewis على أوراق من مصاحف قديمة، فنشراها بعنوان «أوراق من ثلاثة قرآنات قديمة، يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثماني، مع قائمة بما فيها من اختلافات. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص٤١١.

١١. القاموس المحيط (رتل)، و(رسل)، والصحاح (رتل).

١٢. التعريفات للجرجاني ص٨٢ ـ ٨٣.

١٣. في البداية أطلق الدكتور لبيب السعيد على مشروع تسجيل القرآن الكريم اسم «المصحف المسموع»، ولكن أبلغه الأستاذ الشيخ حسن مصطفى وهدان أن شيخ الأزهر آنذاك المرحوم الشيخ محمد شلتوت يعترض على اسم المشروع، ويقول: إن العامة تجعل (المسموع) مرادفًا لـ (المشهور)، ولذلك يرى تغيير الاسم، ففكر الدكتور لبيب السعيد في تغيير الاسم، وورد على خاطره صفات مثل: المرتل، والصائت، والناطق، فاختار المرتل. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص١٠٨، وانظر المرجع نفسه أيضاً ص١١٢.

١٤. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص١٣١ وما بعدها.

١٥. هذه الطرائق الثماني هي طرائق نقل الحديث وتحمله، كما يذكرها المحدثون، ينظر في التعريف بكل طريقة منها: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ١٣٢ ـ١٨٠.

١٦. الإتقان في علوم القرآن (١/٢٧٩).

١٧. رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ح ٥٠٠٠. انظر الصحيح مع فتح الباري (٨/٦٦٢).

١٨. رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب «قول المُقْرئ للقارئ حَسْبُك» ٨/١١١، ح٥٠٥٠.

١٩. رواه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب «سورة (لم يكن)» ٨/٥٩٧، ح ٤٩٦٠، ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب «استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذّاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه» ٦/٨٥، ح٧٩٩.

٢٠. انظر التمهيد في علم التجويد لابن الجزري، ص ٥٣ ـ ٥٩.

٢١. لا شك أن التلقي بالسماع فقط دون عرض على الشيخ يعسر معه الإتقان، خاصة في العصور المتأخرة التي انحرفت فيها ألسنة الناس، ولكن يبقى أن بعضهم ممن وهب أذنًا دقيقة السمع، يستطيع أن يستفيد أكثر من هذه المصاحف المسجلة، وقد كانت بداية تعلمي التجويد عن طريق هذا السماع، فبلغت منه في شهور قليلة مبلغًا حسنًا، ثم قرأت بعد ذلك على القرّاء، فاستفدت فوائد كثيرة لا يمكن تحصيلها عن طريق السماع فقط.

٢٢. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص١٦١.

٢٣. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة ص٧.

٢٤. النشر في القراءات العشر (١/٤٦).

٢٥. النشر في القراءات العشر (١/٤٥).

٢٦. النشر في القراءات العشر (١/٩ ـ ١٠)

٢٧. البرهان في علوم القرآن (١/٣٣٣).

٢٨. البرهان في علوم القرآن (١/٣٣٢).

٢٩. رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب «لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامْرَأة إلا معها ذو مَحْرَم، والدخول على المُغيبة» (٩/٢٤٢) ح ٥٢٣٣.

٣٠. لويس بريل Louis Braille (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢م) مدرس فرنسي كان مكفوفًا من سن الثالثة من عمره، وعمل في تعليم المكفوفين في معهد باريس الوطني لصغار المكفوفين، وفي عام ١٨٢٨م استطاع أن يطور طريقة من الكتابة البارزة كان ابتكرها ضابط في الجيش الفرنسي يدعى تشارلز باربيه Charles Barbier في عام ١٨٢١م، كان يستخدمها في إرسال الرسائل الحربية المشفرة، فطورها بريل لتمكن المكفوفين من القراءة، وما زالت هذه الطريقة تستخدم بنجاح إلى اليوم.
انظر المعجم المختصر للتراث الأمريكي:
Dictionary, third Edition American
Heritage R Concise the Microsoft R Encarta R 98 Encyclopedia. c,
by Hoyghton Mifflin Company1994 Copyright. C
وموسوعج مايكروسوفت إنكارتا Microsoft 1993 - 1997 Corporation
في مواد: Louis Braille, Braille, Blindness

٣١. كانت طباعة القرآن بطريقة بريل Braille بعد موافقة من المجلس الأعلى للأزهر، وقد نشرت الموافقة جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر يوم ١٠ تموز/يوليو ١٩٥٨م، وقد قام المركز النموذجي لرعاية المكفوفين العرب بالقاهرة بطبع هذه النسخة، نشرت ذلك جريدة الأهرام المصرية في عدديها الصادرين ٨ آب/ أغسطس ١٩٥٨م، و ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٩م. عن الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص٣٦٦.

٣٢. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص٣٠٧، وما بعدها.

٣٣. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص ٣٦٧، وما بعدها.

٣٤. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص ٤٠٣، وما بعدها.

٣٥. يقصد العلماء بكلمة (احتمالاً) في هذا الشرط أن تكون القراءة مما يحتمله رسم أحد المصاحف العثمانية، ولو مع تقدير زيادة أو نقصان حرف مدٍ مثلاً، كما يحتمل رسم (ملك) للقراءتين (مَلِكِ يوم الدين)، من دون ألف و (مالك يوم الدين)، انظر النشر في القراءات العشر (١/٩ ـ ١١).

٣٦. الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣، عن جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٠م.

٣٧. الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص٤٧٦، عن جريدة الجمهورية المصرية في عددي ٢و٤ كانون الثاني/ يناير ١٩٦١م.

٣٨. هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي البزاز، روى القراءة عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته. توفي سنة ١٨٠هـ. النشر في القراءات العشر (١/١٥٦)، وتاريخ القراء ص٣٥.

٣٩. أواخر عام ١٩٥٩م.

٤٠. وهي المذكورة في أول خطة العمل في المشروع، وكانت مكونة من الأساتذة: فضيلة الشيخ عبدالفتاح بن عبدالغني القاضي (وقد استعفى من اللجنة في وقت مبكر، لأسباب منها بُعد عمله عن القاهرة)، والشيخ عامر السيد عثمان، والشيخ عبدالعظيم خياط، والشيخ محمد سليمان صالح،

والشيخ محمود حافظ برانق.

٤١. يراجع في ذلك كتاب صريح النص في الكلمات المختلفة فيها عن حفص، للأستاذ علي محمد الضباع، ص ٣٢ - ٣٣، فقد حرر الاختلافات الواردة عن حفص في روايات النشر كافة.

٤٢. هو الإمام الشريف أبو إسماعيل موسى بن الحسين بن إسماعيل بن موسى المعدل، توفي سنة ٤٨٠هـ. انظر النشر في القراءات العشر (٧٩/١).

٤٣. هكذا تم التسجيل الأول، والقراءة في المد المتصل بالتوسط من طريق الفيل خلاف ما ذكره العلامة الضباع في صريح النص ص٧، و ص٣٢، فقد ذكر أن رواية الفيل من طريق روضة المعدل هي إشباع المد المتصل فقط!

٤٤. أي بإبدال همزة الوصل (همزة ال) ألفًا، ويلزم عند ذلك مد الألف المبدلة من همزة الوصل مدًا لازمًا مشبعًا (ست حركات).

٤٥. المقصود هنا الإدغام الكامل، أي عدم بقاء شيء من القاف، وبتشديد الكاف، وإلا فليس هناك وجه بالإظهار، فالوجه الآخر بالإدغام الناقص، أي بقاء صفة الاستعلاء من القاف، وعدم تشديد الكاف.

٤٦. المقصود بالإشمام ضم الشفتين بعد النطق بالنون المشددة من غير صوت مسموع، وهو أحد الوجهين المقروء بهما في هذه الكلمة.

٤٧. يلاحظ أن من أعضاء اللجنة من كان شيخ الشيخ الحصري، مثل الشيخ محمود برانق، وكان فيها أيضًا من كان أعلى منه في علم القراءة، كالشيخ القاضي، والشيخ عامر السيد عثمان، وقد كان إلى هذين الأخيرين اختيار شيخ المقارئ في ذلك الوقت، وهذا ما يجعل ذلك التسجيل وأمثاله إمامًا، ويرفع من قيمته، إذ إنه ليس مجهود شخص واحد، بل هو مجهود عدد من المتخصصين، فلينظر أولئك الذين يتجزؤون على تسجيل القرآن دون مراجعة كم يرتكبون من التقصير في حق الكتاب الكريم!

٤٨. هو حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صُهبان الدوري البغدادي، إمام القراءة في عصره، كان ثقة ثبتًا ضابطًا، روى قراءة أبي عمرو وقراءة الكسائي، قال ابن الجزري: وهو أول من جمع القراءات، توفي سنة ٢٤٦هـ. النشر في القراءات العشر (١٣٤/١)، وتاريخ القراء ص٢٤.

٤٩. كانت الرواية المنتشرة في مصر منذ الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن الخامس الهجري هي قراءة أهل المدينة خاصة برواية ورش عثمان بن سعيد المصري عن نافع، ثم حلت محلها قراءة أبي عمرو بن العلاء برواية الدوري، وهي هذه الرواية التي نحن بصددها، واستمر العمل عليها في قراءة الناس وكتابة المصاحف حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، ثم حلت محلها رواية حفص عن عاصم فرواية حفص لم تنتشر في مصر إلا مع دخول العثمانيين في أوائل الربع الثاني من القرن العاشر الهجري (أوائل القرن السادس عشر الميلادي). انظر الإضاءة في بيان أصول القراء للشيخ علي الضباع ص٧٢.

٥٠. مع أن المعتزم كما سبق كان البدء بتسجيل روايتي خلف عن حمزة، وابن وردان عن أبي جعفر بعد رواية حفص عن عاصم.

٥١. مازال الكثيرون من أهل هذه البلدان يستعملون المصاحف المخطوطة، لعدم وجود المصاحف المطبوعة، وكما هو معلوم المصحف المخطوط يكلف قريبًا من مئتي دينار كويتي، مع ما هو معروف من فقر تلك البلاد.

٥٢. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص١١٤.

٥٣. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص٤٩٥.

٥٤. يذكر أن لدى الإذاعة المصرية لجنة دائمة لاختبار القراء واختيارهم، وإجازتهم للتسجيل، ومراجعة التسجيلات القرآنية، وهذه اللجنة مكونة في الوقت الحالي من: فضيلة الشيخ رزق خليل حبة شيخ المقارئ المصرية، وفضيلة الشيخ أبي العينين شعيشع، والأستاذ إبراهيم مجاهد سكرتير لجنة اختيار القراء، ود.عبدالصمد الدسوقي رئيس إذاعة القرآن الكريم، والأستاذ متولي درويش، والأستاذ كمال النجار، والأستاذ فؤاد عمر.

وتشترط الإذاعة المصرية لقبول إذاعة تلاوة للقارئ الشروط الآتية:

حفظ القرآن الكريم كاملاً، والإلمام بقواعد التجويد والقراءات، والإلمام بالمقامات الموسيقية، وحسن الصوت.

٥٥. فقد سجل له عدة تسجيلات برواية حفص عن عاصم.

٥٦. انظر دليل كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية للعام الدراسي ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ ص ٣٣، واللجنة المذكورة كانت مكونة آنذاك من أصحاب الفضيلة المشايخ: الشيخ عامر السيد عثمان، والدكتور محمود سيبويه البدوي، والشيخ عبدالفتاح السيد عجمي المرصفي، والشيخ محمود عبدالخالق جادو، والشيخ عبدالرافع رضوان علي، والشيخ عبدالرازق علي إبراهيم موسى، والشيخ عبدالحكيم عبدالسلام خاطر.

٥٧. المقصود بالمجود هنا القراءة المتئدة التي تسمى في اصطلاح القراء بالتحقيق، وهو إعطاء الحروف حقها من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف، وهو بيانها، وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل والتؤدة، والوقف على الوقوف الجائزة، والإتيان بالإظهار والإدغام على وجهه. انظر نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١٥ - ١٦.

٥٨. هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبدالله، الملقب بورش، ولد بصعيد مصر، ورحل إلى المدينة سنة ١٥٥هـ فقرأ أربع ختمات على نافع، ثم رجع إلى مصر، فانتهت إليه رياسة الإقراء بها، فلم ينازعه فيها منازع، مع براعته في العربية، ومعرفته بالتجويد، وكان حسن الصوت، لا يمله سامعه، توفي سنة ١٩٧هـ. النشر في القراءات العشر (١١٣/١)، وتاريخ القراء ص ١٠ - ١١.

٥٩. هو عيسى بن مينا بن وردان، مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونَحْوِيُها، قرأ على نافع، واختص به كثيرًا، فيقال إنه كان ابن زوجته، وهو الذي لقبه بقالون، لجودة قراءته، توفي سنة ٢٢٠هـ. انظر النشر في القراءات العشر (١١٢/١)، وتاريخ القراء ص ٩ - ١٠.

٦٠. هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، كان إمامًا متقنًا ضابطًا، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة، وكان مؤذن المسجد الحرام، توفي سنة ٢٤٣هـ. انظر النشر في القراءات العشر (١٢١/١)، وتاريخ القراء ص ١٧ - ١٨.

٦١. هو خلف بن هشام بن ثعلب البزار، كان إمامًا كبيرًا عالمًا ثقة زاهدًا عابدًا، وله اختيار في القراءة لم يخرج عن قراءة الكوفيين، توفي سنة ٢٢٩هـ. انظر النشر في القراءات العشر (١٩١/١)، وتاريخ القراء ص٤١.

٦٢. انظر النشر في القراءات العشر (١٥٣/١)، (١٥٥/١).

٦٣. انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص٤٩١ وما بعدها.

٦٤. اختصت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لها عدة أسماء، وأشهرها المدينة، فإذا أطلق انصرف إليها دون غيرها، ومن ذلك قوله تعالى: *ما كان لأهل المدينة*. التوبة:١٢٠، واشتهر وصفها بالمدينة النبوية عند كثير من السلف، كسعيد بن المسيب، ومن المتأخرين، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وعلي بن عبدالله السمهودي مؤرخ المدينة، أما وصفها بالمنورة الذي اشتهر بين الناس اليوم فأغلب الظن أنه من صنع متأخري الأتراك، ومعناه صحيح، إن أريد به أنها نورت بنور النبوة والوحي، ولكن وصفها بالنبوية أجل وأوضح معنىً، لأن النبوة أهم اعتبار شرفت به المدينة. انظر التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية ص ٢٢-٢٤.

٦٥. انظر دليل كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية للعام الدراسي ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ ص٣٢-٣٣، ومجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد الأول ص ٣٧٢.

٦٦. القصيدة اللامية، المسماة بحرز الأماني ووجه التهاني، من نظم الإمام العلامة ولي الله أبي القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الأندلسي الشاطبي الضرير، المتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٠هـ. وهي من عيون الشعر، مع جمعها القراءات السبع المتواترة، على ما في كتاب التيسير للإمام أبي عمرو الداني، وقد سارت بها الركبان وتلقاها العلماء في سائر الأعصار والأمصار بالقبول. النشر في القراءات العشر (٦١/١).

٦٧. الدرة المضية في القراءات الثلاث المروية، قصيدة لامية على وزن الشاطبية وقافيتها، نظم فيها الإمام ابن الجزري مُضَمَّن كتاب تحبير التيسير في القراءات الثلاث المكملة للعشر، وهو كتاب جمع فيه ابن الجزري القراءات الثلاث على الوجه الذي جمع عليه الإمام الداني القراءات السبع في التيسير، وسماه تحبير التيسير فكأنه زين التيسير حيث كمله بالثلاث لتتم القراءات العشر، وطريقه وطريق التيسير واحد، فلذا تعارف علماء القراءات على تسمية القراءات العشر من هذا الطريق بالعشر الصغرى، وهو ما يعنونه بمضمون الشاطبية والدرة، إذ طرقها أقل بكثير من طرق طيبة النشر التي تجاوزت ألف طريق. انظر شرح الدرة المضية في القراءات الثلاث المروية للنويري(١٤٢/١).

٦٨. طيبة النشر في القراءات العشر، نظم فيها الإمام ابن الجزري ما جمعه في كتابه العظيم: النشر في القراءات العشر، وهو أوسع الكتب التي جمعت طرق الرواية الثابتة للقرآن الكريم بقراءاته العشر، وقد ضمنه صاحبه أكثر من ألف طريق، ولذا تعارف علماء القراءات على تسمية القراءات العشر من طريق الطيبة بالعشر الكبرى. انظر النشر في القراءات العشر (١٩٠/١ - ١٩١).

٦٩. للقراء في الأخذ بطريقة الجمع مذهبان، أحدهما الجمع بالحرف، وهو أن يشرع القارئ في القراءة، فإذا مرّ بكلمة فيها خلاف أعاد تلك الكلمة بمفردها، حتى يستوفي ما فيها من الخلاف، وهو مذهب المصريين، وهو أوثق في استيفاء أوجه الخلاف، وأسهل في الأخذ، وأخصر، ولكنه يخرج القراءة عن رونقها، والثاني هو هذا، وهو الجمع بالوقف، وهو أشد في الاستحضار، ولا يذهب رونق القراءة. انظر النشر في القراءات العشر (٢٠١/٢)، وغيث النفع في القراءات السبع بهامش سراج القارئ ص ٢٩ - ٣٠.

٧٠. النشر في القراءات العشر (٢٠١/٢).

٧١. وقد شارك في التسجيلات عدد كبير من الطلاب بالفعل.

٧٢. يلاحظ اختلاف مدة تسجيل سورة البقرة بين التسجيل التجريبي، والتسجيل النهائي، والتفاوت سببه طول الشروح التي يقوم بها الأساتذة أو قصرها، أما مدة التلاوة الحقيقية فلا تحتمل مثل هذا التفاوت.

٧٣. مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - العدد الأول ص ٣٧٢.

٧٤. ومازال هذا البرنامج يذاع إلى الآن، ويقوم فيه الطالب بالقراءة، ويسأله الشيخ المقرئ عن الأوجه التي قرأ بها، ويقوم بشرح بعض الأمور الخاصة بتلك الأوجه، فهو برنامج تعليمي، يستفيد منه طلاب القراءات وغيرهم. انظر دليل كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية للعام الدراسي ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ ص٣٢.

٧٥. وهي سنة ١٤١٣هـ الموافق عام ١٩٩٣م.

٧٦. انظر مبحث: منهج عثمان في جمع المصاحف، المبحث الأول من الفصل الثالث من الباب الثالث.

٧٧. الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (٤٨٧/٤).

٧٨. النشر في القراءات العشر (١٩٤/٢)، وغيث النفع في القراءات السبع بهامش سراج القارئ ص٢٩-٣٠.

٧٩. النشر في القراءات العشر (١٩٥/٢).

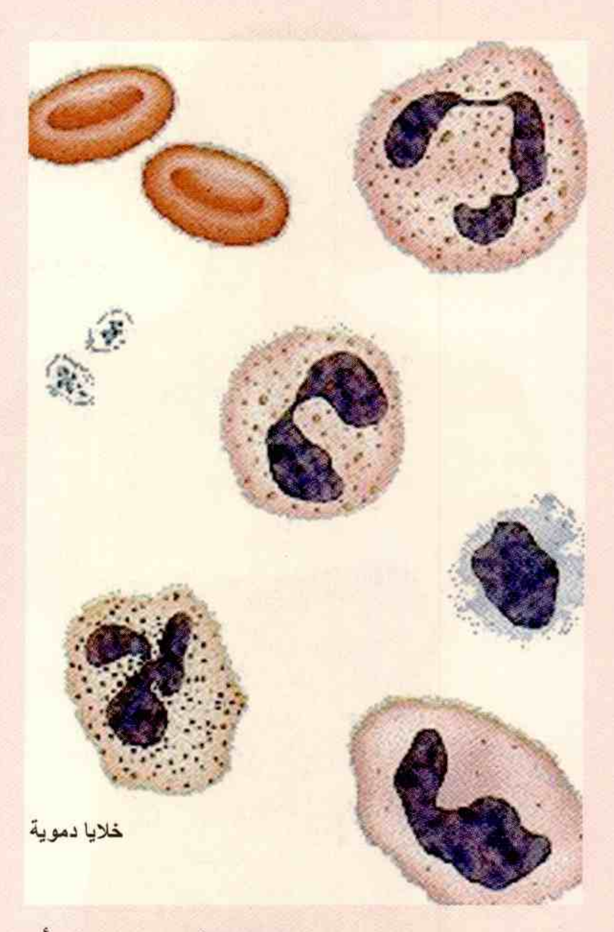
الكشف المبكر عن السرطان

عبدالواحد نصر المشيخص
القطيف - السعودية

أما آن للطب الحديث أن يضع نهاية لسلسلة الموت التي يرتكبها هذا القاتل (السرطان) الذي يحصد حياة كثير من بني البشر في كل يوم. فالسرطان يعد القاتل الثاني بعد أمراض القلب في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا. وقد حذرت منظمة الصحة العالمية من ازدياد الإصابة بهذا الداء بسبب ارتفاع معدل عمر الفرد في كل الشعوب، واعتماداً على تقرير هذه المنظمة، فإنه مع مطلع عام ٢٠٢٠م سيكون هناك قرابة ٢٠ مليون مصاب جدد بنوع ما من أنواع السرطان.

وقد عزت المنظمة هذا إلى المدنية الحديثة وما يصاحبها من سبل معيشية غير صحية. لذلك أضحى لزاماً إيجاد سبل للسيطرة على هذا الداء القاتل الذي لا يزال الطب الحديث يقف عاجزاً عن القضاء عليه والتخلص منه، مما يجعله يسرح و يمرح حاصداً أرواح كثير من بني البشر كل عام في مختلف بقاع الأرض على مرأى ومسمع الباحثين والأطباء المعالجين؛ لذلك أصبح واجباً على العلماء البحث الحثيث لإيجاد وسائل مختلفة للسيطرة على هذا الداء القاتل والحد من خطورته لإنقاذ من يمكن إنقاذهم.

وعلى الرغم من التطورات التي طرأت في أواخر الألفية السابقة في مجال الحرب ضد الأورام الخبيثة، مثل تطور التدخلات الجراحية، واستخدام العلاجين الكيماوي والإشعاعي في العلاج وتوافرهما للمرضى المصابين، وغيرهما من وسائل العلاج، إلا أن هذا الداء القاتل لا يزال طليقاً يحصد أرواح المصابين من دون رحمة. ولهذا يعدّ كثير من الباحثين الحرب ضد السرطان بشتى أنواعه من أهم التحديات التي تواجه الطب الحديث في هذه الألفية الجديدة. فهناك ثلاثة عوامل مهمة لا بد من فهمها جيداً في أية محاولة للسيطرة على أي سرطان كان، وهي: الوقاية، فهي خير من قنطار علاج، والعلاج الناجع، و غالباً ما يكون هذا جراحياً في معظم الأحيان، والاكتشاف المبكر للسرطان، وهذا ما سنركز فيه في موضوعنا هذا. و يرتبط نجاح العلاج الجراحي باكتشاف السرطان في مراحله المبكرة قبل انتشاره واستعصاء علاجه. و من هنا جاءت فكرة الكشف المبكر عن السرطان، فالتدخل الجراحي لا يكون ناجعاً و شافياً إلا إذا اكتشف السرطان في مراحله الأولى المبكرة كي يمكن استئصاله استئصالاً جراحياً تاماً قبل أن يستشري و ينشب مخالبه القاتلة في فريسته فيصبح علاجه والتخلص منه أمراً مستحيلاً. ولقد حرص كثير من الدول المتقدمة في أوربا وأمريكا الشمالية على إيجاد آليات لاكتشاف بعض الأورام القاتلة والمنتشرة اكتشافاً مبكراً كي يتسنى للأطباء المعالجين إنقاذ الضحايا. وكثر الحديث


خلايا دموية

والجدل بين الباحثين عن جدوى هذه الآليات وخاصة أن التكلفة المادية التي تحتاج إليها أية آلية لنجاحها كبيرة جداً، وتعدّ هذه حجر عثرة كبرى في طريق تطبيق هذه الآليات في كثير من الدول النامية.

مكونات برنامج الكشف المبكر الناجح

يكمن نجاح أي برنامج للكشف المبكر في العوامل الآتية:
- أن يكون المرض الذي من أجله انشئ البرنامج منتشراً.
- أن تكون الفحوص المتوافرة سهلة ودقيقة وحساسة وخالية من المضاعفات.
- ألا تكون تكلفة البرنامج باهظة الثمن.
- أن يتوافر ضمن البرنامج مختلف سبل العلاج الناجعة الحديثة لمن جاءت نتائج فحوصاتهم موجبة. وللتقليل من التكلفة المادية للبرنامج، يستحسن أن يكون مركزاً في الأشخاص الذين هم عرضة للإصابة بالسرطان، لا لعامة الأفراد. و لقد ثبت مؤخراً جدوى الاكتشاف المبكر في إنقاذ حياة الكثير من المرضى في عدد من الأورام القاتلة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: سرطان القولون، والمستقيم، وسرطان الثدي، وسرطان المعدة. وسيتناول هذا الموضوع آلية الكشف المبكر لهذه الأورام السرطانية، وهل آن الأوان لتطبيق مثل هذه الآليات في منطقة الخليج العربي؟

الاكتشاف المبكر لسرطان القولون والمستقيم

يعدّ سرطان القولون والمستقيم القاتل الثاني في دول العالم الغربية. و هذا ما شحذ همة الباحثين في الغرب إلى إيجاد سبل للسيطرة على هذا الداء القاتل. و كما ذكرنا آنفًا، تكمن السيطرة على أي سرطان كان في الوقاية منه أولاً، ثم علاجه العلاج الناجع الذي يكون جراحيًا في أغلب الأحيان. أما الوقاية من سرطان القولون فتتلخص في الامتناع عن التدخين، والإقلاع عن تعاطي الكحول، والإكثار من تناول المواد الغنية بالألياف، وتحاشي الإمساك وعدم الإفراط في تناول المواد البروتينية. و كذلك استعمال السمن النباتي بدلا من الحيواني. ولأنّ مسببات سرطان القولون والمستقيم متعددة Multifactorial فإن مصير أي من برامج الوقاية الأولية - في أغلب الأحيان - هو الإخفاق. و هذا ما حدا بالباحثين على التركيز الحثيث في برامج الكشف المبكر، لا الوقاية الأولية - على الرغم من أهميتها - للحد من الوفيات، والتقليل من نسبة حصول السرطان. ويرتبط نجاح العلاج الجراحي باكتشاف السرطان في مراحله المبكرة قبل أن ينشب مخالبه ويستعصي علاجه؛ لذلك جاءت فكرة اكتشاف أورام القولون والمستقيم وخاصةً لدى المرضى الذين لا أعراض لديهم مبكراً، و علاجهم جراحياً لزيادة نسبة الشفاء من هذا المرض القاتل الذي يحصد حياة ٢٠٠٠٠ مريض في بريطانيا سنوياً. إلا أن فاعلية أية ميكانيكية للكشف المبكر عن هذا السرطان تبقى عرضة للتساؤل والنقاش للأسباب الآتية:

أولا: ما زال الباحثون يجهلون التاريخ الطبيعيNational History لتطور السرطان وتصرفه في مختلف المراحل والأفراد.

ثانيًا: الفحص المبكر لعدد كبير من المرضى الذين لا أعراض لديهم قد يكون مكلفًا جداً، فعلى سبيل المثال يكلف الكشف عن ورم مبكر، وإنقاذ حياة فرد واحد ببريطانيا الدولة ١٠٠٠- ٣٠٠٠ جنيه إسترليني (أي ما يعادل ٦٠٠٠ - ١٨٠٠٠ريال سعودي).

ثالثًا: الإرباك النفسي للمرضى الذين قد يتم تشخيصهم خطأً False Positive.

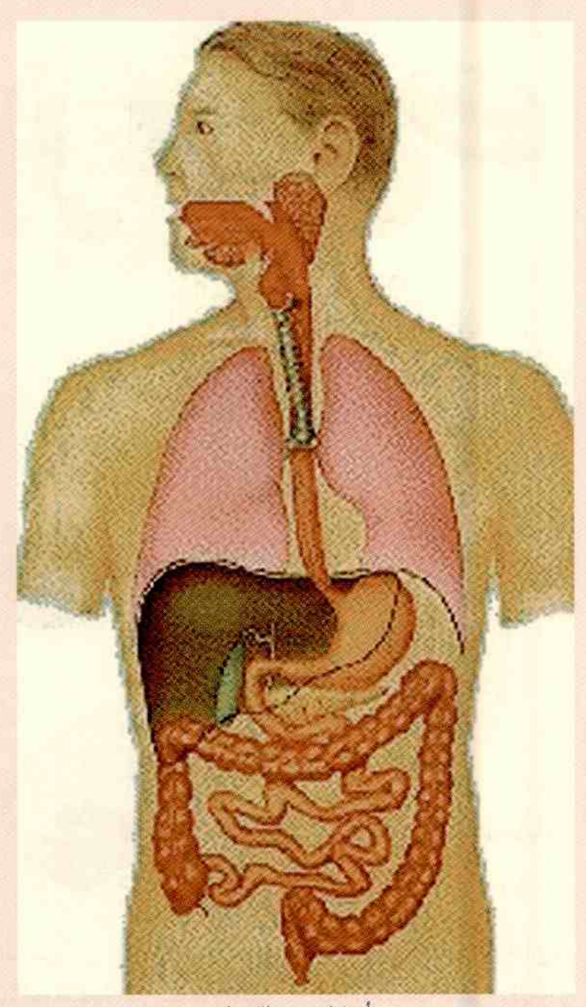
رابعًا: الطمأنينة الكاذبة للمرضى المصابين بالسرطان، إلا أن نتائجهم سالبة False Negatives. وعلى الرغم من كل هذا تبقى فكرة الاكتشاف المبكر لسرطان القولون جذابة لدى الكثير من الباحثين، و خاصةً بعد ثبوت النظرية القائلة «إن سرطان القولون قد ينشأ أول ما ينشأ من ثؤلول صغير وحميد في الغشاء المبطن للقولون، ولكن سرعان ما قد يتحول هذا إلى ورم خبيث إذا ما ترك دون ما استئصال». و إذا كانت هذه حقيقةً علمية صحيحة، يكون الاكتشاف المبكر أفضل الطرائق للوقاية من سرطان القولون والمستقيم وأنجعها للسيطرة عليه. ويركز برنامج الكشف المبكر في اكتشاف الثآليل القولونية الكبيرة والأورام المبكرة وعلاجها العلاج الناجع والشافي. ويركز برنامج الكشف المبكر عن سرطان القولون والمستقيم في من هم عرضة للإصابة به وهم الذين فوق الخمسين عاماً من العمر، ومرضى الالتهاب القولوني المتقرح Ulcerative Colitis، ومرضى المرجلات (الثآليل القولونية المتعددة) الأسرى-Familial Adenomatous Polyposis. ومرضى متلازمة لينش Lynch Syndrome or Hereditary Non polyposis Colon Cancer ومن لديهم أقارب مصابون بسرطان القولون من الدرجة الأولى. ومن لهم تاريخ مرضي سابق بالإصابة بسرطان القولون أو الثآليل القولونية.

طرائق الكشف المبكر عن سرطان القولون والمستقيم

الطرائق المتوافرة التي يمكن استخدامها للكشف المبكر عن سرطان القولون والمستقيم هي:

فحص البراز:

- فحص وجود الدم الكامن في البراز Faecal Occult Blood: ويعتمد هذا الفحص على كشف وجود مادة الهيماتين Haematin الناتجة من التحلل الجزئي للدم الموجود بالبراز. فإذا ما وجدت هذه المادة بالبراز، تغير لون الشريحة المنشورة عليها عينة البراز المفحوص، إلى أزرق. ويكون الفحص أكثر حساسيةً في حالات سرطان الجزء الأيسر من القولون لعدم تعرض الدم إلى كثير من المؤثرات البكتيرية. وقد تكون النتائج موجبةً في حالة أكل المريض لحماً أو بعض الفواكه، كالموز، أو الخضار غير المطبوخة



من أعضاء جسم الإنسان

كالقرنبيط، أو فرش أسنانه قبل الفحص بساعات، أو في حالات القولون غير السرطانية، مثل التقرحات وغيرها.

و بما أن سرطان القولون قد يدمي بصورة متقطعة وجب إجراء الفحص ثلاث مرات (مرة واحدةً كل يوم) منعًا للخلط والغلط. وقد نصح بعض الباحثين إجراء هذا الفحص ثلاث مرات، مرة كل أسبوع لا كل يوم. وإذا جاء الفحص موجباً، وجب إجراء منظار للقولون بحثًا عن المسببات التي قد يكون السرطان واحداً منها؛ وهذا يعني تعريض عدد لا يستهان به من الأفراد غير المصابين بالسرطان لهذا الفحص غير المريح. وهناك مشكلة أخرى تلازم هذا الفحص هي أنه ليس كل سرطان بالقولون - وخاصة في مراحله المبكرة - ينزف دماً مما يورث نتائج سالبة لمرضى تكمن في أمعائهم الغليظة أورام سرطانية.

لقد أثبتت إحدى الدراسات بالولايات المتحدة نجاح الحد من نسبة الوفيات الناتجة من هذا السرطان بمقدار ٣٣٪ في المشاركين الذين تمّ فحصهم سنوياً بهذه الطريقة غير المكلفة. كما نتج من دراسة ببريطانيا أنه لكل ١٠٠ فحص يجرى يتم اكتشاف ١٢سرطاناً مبكراً و ٢٣ ثؤلولاً قولونياً. و إذا ما اجري هذا الفحص كل سنتين يمكن اكتشاف اكثر من ٧٠٪ من الأورام السرطانية. إلا أنه، كما سبق وذكرنا، تبقى المشكلة الرئيسة لهذا الفحص هي قلة حساسيته و دقته. وسعى الباحثون حالياً إلى الحد من هذه المشكلة بالعمل على تطوير شرائح أكثر دقةً للتخلص من احتمال الحصول على نتيجة موجبة بسبب المؤثرات الخارجية المذكورة؛ لكي يتسنى استعمالها على المستوى الوطني على أنها وسيلة رخيصة للكشف المبكر.

- فحص كمية الزلال بالدم Faecal Albumin: قد يكون هذا مرتفعاً عند مرضى سرطان القولون والمستقيم.

- فحص وجود بعض المكونات والجينات الموجودة في الخلايا السرطانية التي تساقطت في البراز عند مروره بالورم مثل Carcinoembyronic antigen, CEA و Ki-ras mutation. إلا أن هذين الفحصين الأخيرين ما زالا قيد البحث و يقتصر استعمالهما في مراكز الأبحاث فقط.

منظار القولون القصير Sigmoidoscopy :

يمكن بهذا المنظار الكشف عن قرابة ٨٠٪ من سرطانات القولون والمستقيم، إذ يفحص هذا المستقيم والجزء الأيسر من القولون حيث تتواجد معظم الأورام. و يجري العمل حالياً في بعض الدول الغربية التي ينتشر فيها سرطان القولون والمستقيم على تدريب الفريق التمريضي على إجراء هذا الفحص مما قد يجعل تكلفته بسيطة جداً، وتوفره للجميع ميسراً. إلا أن هذا المنظار لا يفحص الجزء الأيمن من القولون مما يتسبب في عدم اكتشاف بعض الأورام في هذا الجزء مبكراً، كما انه يحتاج إلى تنظيف كامل للقولون قبل إجرائه.

منظار القولون الطويل Colonoscopy:

يمكن بواسطة هذا الفحص اكتشاف موقع السرطان في أي جزء من أجزاء القولون كله بالضبط، وأخذ عينات منه للتحليل النسيجي لتأكيد التشخيص، إلا أن هذا لن يلقى قبولاً لدى غالبية الناس الذين لا أعراض لديهم، فالفحص غير مريح على الرغم من إعطاء المريض حقنة مهدئة عبر الوريد قبل إجراء الفحص، كما يحتاج إلى تنظيف كامل للقولون من الفضلات البرازية قبل إجرائه، ويصاحبه نسبة بسيطة جداً من المضاعفات لا تتعدى ١٪ مثل خرق القولون والنزف الدموي الذي قد يحصل بعد استئصال الثؤلول، أو أخذ عينات. إلا أنه على الرغم من هذا يبقى منظار القولون أفضل فحص للكشف عن السرطان، كما يمكن بواسطته استئصال الثآليل القولونية منظارياً والتخلص منها دون اللجوء إلى أي تدخل جراحي مما يقلل من نسبة حدوث السرطان مستقبلاً.

أشعة حقنة الباريوم الشرجية للقولون:

على الرغم من أن المنظار قد حلّ مكان هذا الفحص، وأصبح الطلب على هذه الأشعة قليلاً جداً في السنين الأخيرة، إلا انه قد يكون مكملاً للمنظار القصير وحتى المنظار الطويل إذا لم يستطع طبيب المناظير الوصول إلى القسم الأيمن من القولون (القولون الصاعد و القولون المستعرض) لسبب من الأسباب، كما يمكن إجراء هذا الفحص للمرضى الذين يرفضون المنظار، أو يعيشون في قرى نائية لا تتوافر فيها الإمكانات أو الخبرات لإجرائه. و على الرغم من أن هذا الفحص قد يشخص الورم إلا أنه لا يمكّن الفاحص من أخذ عينات للتحليل النسيجي لتأكيد التشخيص، أو استئصال الثآليل عند وجودها كما هو الحال مع منظار القولون.



الأشعة وسيلة مثلى للكشف المبكر عن سرطان الثدي

آلية الكشف المبكر لسرطان القولون والمستقيم في منطقة الخليج

السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو هل آن الأوان للبدء في آلية لكشف سرطان القولون مبكراً في منطقة الخليج العربي؟ يرى كثير من المتخصصين في أمراض الجهاز

الهضمي وجراحي القولون والمستقيم أن الوقت لم يحن بعد لتطبيق مثل هذه الآلية في منطقتنا. وعلى الرغم من أن الجميع يوافق بأن نسبة الإصابة بسرطان القولون المستقيم قد ازدادت في منطقة الخليج في الآونة الأخيرة. ويعزى هذا إلى وجود كثير من الملوثات البيئية، وانتشار الوجبات السريعة الدهنية والخالية من الألياف وتغيّر نمط ونوعية غذائنا الذي أصبح مشابهاً جداً للغذاء الغربي. ومما يدعو إلى القلق أيضاً هو أن عدداً كبيراً من المرضى المصابين في منطقتنا هم شباب في عمر الزهور. وهذا ما أكده جراح القولون و المستقيم بسلطنة عمان الدكتور روجر جرين (بريطاني الجنسية و المقيم في مسقط منذ ١٥ عاماً) في محاضرة له في الندوة الجراحية الثالثة لمستشفى الدمام المركزي والتي عقدت في الغرفة التجارية الصناعية بالدمام في يومي السابع والثامن من شهر نوفمبر/تشرين الثاني الماضي وركزت في سرطان القولون والمستقيم، والذي أفاد فيها أنه خلال السنوات الخمس عشرة الماضية التي عملها في مسقط قد لاحظ هو الآخر ازدياداً في عدد المصابين بسرطان القولون والمستقيم و خاصة من هم في مقتبل العمر، إلا أن الأمر لم يصل بعد إلى درجة تحتاج معها إلى تطبيق آلية للاكتشاف المبكر وذلك للسلبيات الآنفة الذكر، لكن هذا لا يعني عدم تطبيق آلية للكشف المبكر، مثل منظار دوري للقولون (كل سنتين أو ثلاث) لكل من هم عرضة للإصابة بهذا الورم القاتل. ولتحسين نسبة القبول والرضا بين المفحوصين، لا ضرر ولا ضرار إذا ما أجري الفحص مرة كل ١٠ سنوات إذ يعدّ هذا أفضل السبل فاعلية، كفحص رئيس للكشف المبكر عن سرطان المستقيم و القولون.

الاكتشاف المبكر لسرطان الثدي

يعدّ سرطان الثدي أكثر الأورام الخبيثة التي تصيب المرأة. ومما يدعو إلى القلق أن نسبة الإصابة به في ازدياد وأنه القاتل الأول للنساء البالغات من العمر ٤٠ ـ ٥٠ ربيعاً. أما إحصاءات الإصابة بسرطان الثدي في المملكة العربية السعودية فأكثر مدعاة للقلق. نُشرت بمجلة المدونات الطبية السعودية إحصائية للنساء اللواتي عولجن من سرطان الثدي بمستشفى الملك فيصل التخصصي و مركز الأبحاث بالرياض بين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٩١م وكانت النتائج كالآتي:

- عدد النساء المصابات بالسرطان خلال تلك الفترة ١٥٨٤ امرأة.
- نسبة عدد النساء المصابات ما دون الخمسين عاماً ٦٤٪.
- نسبة المصابات بسرطان منتشر ٦٤٪.
- نسبة النساء اللاتي عولجن باستئصال تام للثدي المصاب Mastectomy ٨٥٪.

لقد أثبتت هذه الإحصائية خطورة الوضع وعزت علوّ هذه النسب، إذا ما قُوبلت بالنسب الصادرة من الدول التي ينتشر فيها داء سرطان الثدي، كدول أوربا و أمريكا الشمالية، إلى الجهل وعدم وعي النساء المصابات، وإلى حيائهن من عرض أنفسهن على الأطباء المختصين في هذا المجال في وقت مبكر عند اكتشافهن للمرض. و قد ناشد الباحثون في ختام مقالهم إلى إيجاد آلية معينة للتشخيص والكشف المبكر لسرطان الثدي على مستوى المملكة أي «برنامج وطني للكشف المبكر» فقد أصبح من الضروري - في نظر الباحثين - إيجاد وسيلة للحد من الوفيات الناتجة من هذا السرطان.

انخفض معدل الإصابة بسرطان المعدة للتحسن الذي طرأ على طرائق حفظ الأغذية

إن اكتشاف سرطان الثدي المبكر يمكّن من استئصاله تماماً من دون اللجوء إلى استئصال الثدي كاملاً، وفي هذا ميزة عظيمة لكل أنثى. وهناك دراسة أجريت على ٣١٠٠٠ أنثى أخضعن لفحوص سريرية وأشعة ماموجرافية سنوياً في مدينة نيويورك ضمن مخطط التأمين الصحي وذلك على مدى ١٤ عاماً أثبتت أن الوفاة بسبب سرطان الثدي يمكن تحاشيها بمعدل الثلث إذا قوبلن بـ ٣١٠٠٠ أنثى لم يمنحن الآلية نفسها في الفحص. ولكن هناك معوقات كثيرة تحول دون القيام بمثل هذه الآلية في عدد كبير من الدول وهي:

- إخفاق عدد لا يستهان به من النساء للحضور كل عام لهذا الفحص؛ فالفحص الماموجرافي مؤلم و غير مريح.
- التكلفة الباهظة لإجراء الفحص الماموجرافي.
- خطر الأشعة المتكرر وما قد يصاحبه من تطور أورام لبعض المرضى وإن كان ضئيلاً مع استخدام الأجهزة الحديثة لإجراء الفحص الماموجرافي.

ـ الازدياد في عدد العمليات التي تجرى لأمراض الثدي الحميدة والتي شكك فيها بأنها أورام سرطانية. ولتقليل التكلفة المرتبطة بهذه الآلية فقد عمد عدد كبير من برامج الكشف المبكر في أوروبا إلى إجراء الفحص كل سنتين بدلاً من كل عام لمن هن أكثر عرضةً للمرض، ولمن هن بين ٥٥ ـ ٦٥ عاماً فقط.

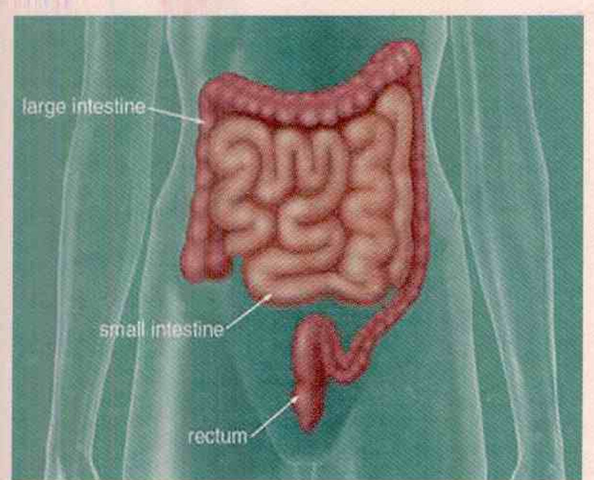
طرائق الكشف المبكر عن سرطان الثدي

هناك طرائق عدة لاكتشاف سرطان الثدي المبكر وضعت أسسها الدولُ التي ينتشر فيها هذا المرض انتشاراً مخيفاً كدول أوروبا الغربية. وهذه الطرائق هي:

ـ العرض المباشر على الطبيب المختص في عيادة أمراض الثدي من دون اللجوء إلى تحويلٍ رسمي؛ إذ يُسمح لأي أنثى تشتكي أعراضًا بالثدي أن تعرض نفسها على إحدى هذه العيادات من غير موعد مسبق أو تحويل رسمي من مركزها الصحي، فتفحص من قبل طبيب متخصص، و تجرى لها الفحوص اللازمة من دون أي تأخير.

ـ الفحص الشخصي الشهري-Breast Self examination إذ يجب على كل أنثى في مرحلة الإخصاب أن تتعلم الطريقة المثلى لفحص ثدييها شهرياً في اليوم الأول بعد انتهاء عادتها الشهرية (أي من اليوم السابع إلى العاشر بعد ابتداء الدورة الشهرية). و يتم هذا بالمثول أمام المرآة وموازنة الثديين وملاحظة أية تغيرات خارجية، ثم ترفع الذراعين فوق الرأس ومراقبة أية تغيرات قد تحدث في أحد الثديين. ثم تستلقي المريضة على الفراش واضعةً ذراعها الأيمن خلف الرأس وتقوم بفحص كل أجزاء الثدي الأيمن براحة أصابع يدها اليسرى و ملاحظة أي تورم أو آلام أو نتوء أو ضمور بالحلمة. ثم يوضع الذراع الأيسر خلف الرأس وتستخدم اليد اليمنى لفحص الثدي الأيسر. أما اللواتي قد حلّ بهن الطمث فيمكنهن فحص أنفسهن مرة واحدة شهرياً في يوم معين من كل شهر. بهذه الطريقة تكون المرأة أعرف ما تكون بثدييها فتكتشف أي تغير يحصل مبكراً فتهرع لعرض نفسها دون تردد على الطبيب المختص.

لقد أثبتت الدراسات أن المرأة التي تفحص نفسها دورياً وبالطريقة الصحيحة، تتمكن من اكتشاف أي تكتل في الثدي حتى لو كان حجمه صغيراً (أقل من سنتيمتر واحد). و لا



منظار القولون القصير يمكّن من اكتشاف موقع السرطان في أي جزء من أجزاء القولون

ضرر في أن تُفحص كل أنثى فوق الأربعين مرة كل عام من طبيب مختص.

ـ أشعة الثدي الماموجرافيةMammography: تمّ في السنوات الأخيرة إيجاد آلية للكشف المبكر لسرطان الثدي في الدول التي ينتشر فيها هذا المرض، كبريطانيا مثلاً؛ إذ تستدعى كل أنثى تبلغ من العمر ٥٥ ـ ٦٥سنة في البلاد لفحص سريري وأشعة ماموجرافية كل عامين. وعلى الرغم من أن هذه الطريقة باهظة الثمن إلا أنها أنقذت حياة نساء كثيرات، ووفرت عليهن العناء النفسي والجسدي الذي ينتج من استئصال كامل للثدي. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لا تستدعى النساء اللواتي دون الخامسة والخمسين سنة؟ لقد وجد الباحثون في تلك الدول عدم انتفاع مثل هؤلاء النسوة من هذه الميكانيكية الباهظة الثمن، إلا أن الإحصائية التي نشرتها مجلة المدونات الطبية السعودية في مطلع عام ١٩٩٧م تحتّم علينا استدعاء من هن دون الخمسين سنة إذا ما وضعت مثل هذه الآلية حيّز التنفيذ في بلادنا. لقد أثبتت الدراسات أن آلية الكشف المبكر تقلل من نسبة الوفيات الناتجة من سرطان الثدي بما يعادل ٢٥٪ إلى ٤٠٪، ولكن هل من جدوى لمثل هذه الآلية؟ أو هل آن الأوان لتطبيقها في منطقتنا؟

آلية الكشف المبكر لسرطان الثدي في منطقة الخليج

لا أحد يدري هل كانت نسبة الإصابة بسرطان الثدي في منطقة الخليج في ازدياد عما كانت عليه سابقاً؟ إذ لا توجد

إحصاءات دقيقة وعلمية تؤكد ذلك. و قد يدعي بعض الأطباء تأكيد ازدياد نسبة الإصابة بهذا السرطان اعتماداً على عدد الحالات التي يعاينها أحدهم سنوياً في مستشفاه، إلا أن هذا لا يدل دلالة واضحة و صحيحة على ازدياد نسبة الإصابة في المنطقة. ويمكن تفسير هذا بازدياد نسبة وعي المواطنات في الخليج، وسعيهن لمراجعة الطبيب المختص في حال التشكيك بوجود أي أعراض في الثدي، مثل الألم والتكتلات وضمور الحلمة وغيرها. وهذا ما لم يكن عليه الوضع سابقاً أيام جداتهن، أو حتى أمهاتهن اللواتي كانت الأعراف والتقاليد وكذلك الحياء والجهل تحول دون عرض أنفسهن مبكراً على طبيب مختص ما دام ذكراً. و لمعرفة هل إذا كانت نسبة الإصابة بسرطان الثدي بازدياد في المملكة لا بد من القيام بإجراء إحصاءات لجميع الحالات المشخصة في كل مستشفيات المملكة الكبيرة في كل مناطق المملكة، ثم تجمع هذه الإحصاءات سنوياً وتحلل لمعرفة نسبة الإصابة، وطرائق التشخيص والعلاج المتوافرة في مختلف المناطق وجدواها وهل كان هناك ازدياد حقيقي في نسبة الإصابة؟ وعليه يمكن التكهن بوجوب الشروع ببرنامج وطني للكشف المبكر، وعلى أية شاكلة سيتم؟ و كم ستكون تكلفته المالية؟ و هل سيساهم هذا في إنقاذ حياة عدد لا بأس به من المصابات؟ عندها فقط يمكننا أن نضم صوتنا إلى صوت زملائنا الباحثين في المملكة والمنادين بالبدء ببرنامج وطني شامل للكشف المبكر لسرطان الثدي.

الاكتشاف المبكر لسرطان المعدة

لقد انخفض معدل الإصابة بهذا السرطان انخفاضاً ملحوظاً في جميع أنحاء العالم لأسباب يجهلها الباحثون. إلا أن الجميع يتفق على أن التحسن والتطور الذي طرأ على طرائق حفظ الأغذية قد يكون العامل الرئيس وراء ذلك، أضف إلى ذلك قلة إجراء التدخلات الجراحية لقرحة المعدة والإثني عشر في الوقت الراهن إلا ما ندر في حالات المضاعفات مثل النزف والانفجار أو الانسداد. ويرجع هذا إلى النجاح الباهر الذي أحرزته الأدوية المستخدمة في علاج القرحة. وبسبب كل هذا يرى الباحثون أنه لا جدوى من القيام بأي برنامج للكشف المبكر لهذا السرطان، إذ ستكون تكلفته باهظة الثمن، و محصوله في اكتشاف أورام مبكرة ضئيلاً جداً إلا أنه - بسبب انتشار هذا السرطان في اليابان - يوجد في اليابان برنامج مكثف للكشف المبكر لهذا السرطان يقوم على إجراء منظار للمعدة لكل مواطن ياباني. بهذه الطريقة يستطيع الطبيب المعالج اكتشاف السرطان في مراحله المبكرة قبل انتشاره واستعصاء استئصاله، فيتمكن الجراح من اجتثاثه من جذوره جراحياً مما يزيد من نسبة الشفاء منه، ويقلل من نسبة ارتداده مستقبلاً. وعلى الرغم من النجاح الذي يحققه هذا البرنامج في اليابان إلا انه يستعصي تطبيقه، ويكون مصيره الإخفاق إذا ما طبق في دول لا ينتشر فيها هذا المرض مثل منطقة الخليج.

الكشف المبكر عن الأورام السرطانية يقلل من خطورتها ويساعد على السيطرة عليها

الخاتمة:

أصبح الكشف المبكر عن بعض الأمراض السرطانية المنتشرة، مثل سرطان القولون، وسرطان الثدي ضرورياً وخاصة في الدول التي تفتك بسكانها هذه الأمراض؛ للحد من ضراوتها، والتقليل من نسبة الإصابة بها ومن ثم السيطرة عليها. وعلى الرغم من أن نسبة الإصابة بهذين المرضين في ازدياد في منطقتنا إلا أن هذه النسب لا ترقى إلى مثيلاتها في العالم الغربي، مما يجعل استعمال آليات الكشف المبكر - في الوقت الراهن - لا جدوى منه وباهظ الثمن، ويجعل الوقاية الأولية من الإصابة بالمرض أكثر نفعاً من الناحية العملية. إلا أن هذا لا يعني أن الحاجة إلى برنامج وطني للكشف المبكر عن هذين المرضين قد تكون ملحة في القريب العاجل.

المراجع

1- Colorectal Cancer. The Surgical Clinics of North America. February 1993;Volume 3, Number 1.

2- ABC of Colorectal Diseases. Editor D J Jones and M H Irving. BMJ Publishing Group, London.

3- ABC of Breast Diseases. Editor J M Dixon. BMJ Publishing Group, London.

4- Special Problems in Breast Cancer Therapy. The Surgical Clinics of North America. April 1996; Volume 76: number 2.

٥ ـ د. عبدالواحد المشيخص، سرطان الثدي: عدو المرأة الأول، مجلة القافلة، مارس ٢٠٠٠م، العدد الحادي عشر، ص ٣٨ ـ ٤١.

٦ ـ د. عبدالواحد المشيخص، سرطان القولون: ثاني السرطانات القاتلة، مجلة صحة الشرقية، فبراير/شباط ٢٠٠٠م، العدد الثالث والعشرين: ص٢٨-٣٠.

البشرية والكارثة الإشعاعية

خالد حسن علي
الإسكندرية - مصر

في القرن العشرين أصبحت مشكلة التلوث هي الجريمة الكبرى للتقانة (للتكنولوجيا)، ويأتي التلوث الإشعاعي على قمة كل شرور التلوث الأخرى والتي لم يجد لها العلماء علاجًا، فهو يعدّ من أخطر أنواع التلوث؛ لأن الإشعاع يدخل الجسم دون أن يدري الإنسان، ومن ثم يفاجأ بالتدهور السريع مرة واحدة.

وقد بدأت «قصة الإشعاع» في عام ١٧٨٩م عندما عثر العالم الألماني مارتن كلابروث على عنصر جديد يضيء في الظلام، ولم يتمكن أحد في ذلك الوقت أن يضع تفسيراً لهذه الظاهرة الغريبة، وقد أطلق كلابروث على العنصر الجديد اسم «يورانيوم».



مضى قرن من الزمان والمادة الجديدة في عزلتها كأنها كانت أعجوبة في معامل الأبحاث، وهي تطلق أشعتها ليلاً ونهاراً صيفًا وشتاءً دون كلل أو ملل، فتراءى للناظر إليها كأنها نزلت إلينا من الأجرام السماوية، وأنها تضيء بالنار نفسها التي توقد بها الشموس والنجوم في الفضاء الكوني.

في ذلك الوقت كان الفرنسي هنري بكريل يبحث في موضوع المواد الفلورية التي تضيء في ضوء الشمس الساطع، فقام بتحضير مادة ثنائي كبريتات اليورانيوم والبوتاسيوم، ووضعها فوق لوح فوتوغرافي حساس مغلف بورق أسود سميك يحجب نفاذ الضوء، وتركها في درج مكتبه تمهيداً لتعريضها لضوء الشمس.. ولكن تلبد السماء بالغيوم حال دون تنفيذ ما أراد، فبادر بإخراج اللوح الفوتوغرافي وقام بتحميضه، وكم كانت دهشته عندما وجد صورة بلورات ملح اليورانيوم مطبوعة واضحة المعالم. لقد كان اليورانيوم يطلق في الظلام أشعة نفاذة لها المقدرة على اختراق الورق الأسود، ويظهر تأثيرها بوضوح في اللوح الفوتوغرافي دون أن تتعرض لأشعة الشمس. ولقد لاحظ بكريل أن الأشعة الجديدة تؤين الهواء وتجعله قادراً على إمرار التيار الكهربائي، وقد أثار هذا الاكتشاف المهم ضجة لا مثيل لها في الأوساط العلمية.

مضى عامان استطاعت بعدهما فتاة بولندية هي ماري كوري من اكتشاف عناصر أخرى تشع تلقائيا وهي الثوريوم والبلوتونيوم والراديوم، وبذلك تأكدت ظاهرة النشاط الإشعاعي الذاتي لبعض العناصر.

ولقد تعارف العلماء على قياس النشاط الإشعاعي بوحدة يطلق عليها اسم الرونتجن، وهناك وحدة أخرى تقيس تأثير الأشعة في أنسجة الجسم يطلق عليها اسم ريم REM. وكل مادة مشعة لها عمر تكف بعده عن الإشعاع، ولقد تعارف العلماء على اصطلاح «نصف العمر» لتحديد المدة التي تظل فيها العناصر المشعة تعطي إشعاعاتها، وفترة عمر النصف هي: المدة اللازمة لانحلال نصف كمية العنصر المشع مهما كانت هذه الكمية، فإذا كان لدينا مثلاً جرام واحد من عنصر مشع،

وكان عمر النصف لهذا العنصر ١٠٠٠سنة، فإن الجرام من هذا العنصر يحتاج إلى ١٠٠٠ سنة كي يتحول إلى نصف جرام وإلى ١٠٠٠ سنة أخرى كي يتحول إلى ربع جرام وهكذا.

خواص التلوث الإشعاعي

لعل الخواص الغريبة للتلوث الإشعاعي تستلفت النظر، وتدعونا إلى بعض التأمل.. فأمامه سقطت الحدود السياسية والجغرافية بين الدول، ولم تعد ذات قيمة أمام انتشاره عن طريق السحب والفضاء. فالنشاط الإشعاعي في مفاعل (تشيرنوبل) السوفييتي الذي احترق لوث جو عشرات من الدول المجاورة وغير المجاورة.

والسمة الأخرى هي أن التلوث الإشعاعي قابل للانتشار.. فهو قد يصيب الإنسان والحيوان والنبات إصابة مباشرة أو غير مباشرة، فإذا استطاع المسؤولون السيطرة على ما يلحقه التلوث المباشر من ضرر على البشر أو الحيوانات أو النباتات، فكيف لهم السيطرة على غازات الهواء والسحب التي تتقاذفها الرياح من مكان إلى آخر، وقد تسقط على هيئة أمطار ملوثة على مناطق ظنت أنها بعيدة عن مصادر الخطر؟!

وكيف تكون السيطرة على المياه الجوفية التي تتسرب إلى أعماق التربة؟ وكيف يكون علاج القشرة الأرضية كلها؟ لقد قدر العلماء أن القشرة التي يصيبها التلوث الإشعاعي يلزم إزاحة عشرة سنتيمترات منها على الأقل، ومعاملتها معاملة النفايات الذرية بدفنها في باطن الأرض.

وإذا تيسر التخلص من آثار المزروعات والمحاصيل النباتية بإعدامها ومنع تناولها، فكيف يكون التصرف مع الأشجار نفسها، والحبوب التي ستستخدم بذوراً للدورات الزراعية الآتية؟

ومن سمات التلوث غير المباشر أنه يأتي «متسلسلاً» لأنه يخترق السلسلة الغذائية Food Chain.. فينتقل من النبات إلى الحشرات، ثم إلى الطيور والحيوانات، وأخيراً يصل إلى الإنسان.

ومن سمات هذا التلوث أيضًا أنه «متشعب»؛ لأنه



ماري وبيير كوري

ليس قاصراً على مادة واحدة، بل يصدر من نظائر مشعة لمواد كثيرة، فمصدر التلوث قد يحتوي على عدد قليل من العناصر المشعة، ولكن سقوطها وتعاملها مع مئات العناصر الموجودة في المجال المحيط بها يولد آلافًا من النظائر المشعة، وكل منها يصبح مصدر إشعاع مستقل.

فعلى سبيل المثال يؤدي التحلل الإشعاعي لليورانيوم إلى إنتاج غاز الرادون، ويتحلل هذا الغاز بدوره مكوناً سلسلة من نواتج قصيرة العمر تسمى «بنات الرادون»، وتوجد في الهواء الذي يستنشقه القائمون على التعدين، ويترسب في الجهاز التنفسي، وينطلق غاز الرادون في الأدوار السفلى من المساكن، وقد عُرف مؤخراً أن هذا الغاز هو المسؤول الأول عن إصابة المدخنين بمرض السرطان؛ لسهولة اتحاده مع النيكوتين.

وفي أحد شوارع نيويورك أقيمت ناطحات السحاب، وشيدت واجهاتها بالجرانيت، فتزايدت نسبة النشاط الإشعاعي هناك، وبعد البحوث التي تمت هناك تبين أن تركيز الرادون فيما يربو على ثمانية آلاف منزل يصل



التلوث الإشعاعي سريع الانتشار ومستقبلي التأثير

إلى نحو ثمانية أضعاف تركيزه خارج المنازل بسبب مواد البناء الحجرية وبخاصة الجرانيت.

ثم إن التلوث الإشعاعي «مستقبليّ الأثر»؛ فآثاره الضارة ليست قاصرة على الحاضر فحسب، بل تمتد أيضاً إلى المستقبل، وهو لا يضر الأحياء وحدهم، بل قد يمتد إلى ذرياتهم في بطون أمهاتهم.. أي أن لعنته قد طالت الأجيال المقبلة قبل أن ترى النور.

فالتلوث الإشعاعي قد يمتد إلى الخلايا الجنسية في الرجل، والبويضات في المرأة، وجينات الوراثة في كليهما، فيؤثر في الجيل القادم.. وبعض أمراض الأورام والسرطان لا تظهر أعراضها على من يلوثهم الإشعاع في الحال واللحظة، ولكن قد يكون ذلك بعد عشر سنوات أو عشرين سنة.

تأثير مهلك

تتوقف مضار الإشعاعات على عدة أمور في مقدمتها: نوع الإشعاع وقوة اختراقه، وكمية الجرعة وزمن التعرض لها، إضافة إلى نوع العضو الجسدي الذي يتعرض للإشعاع ومساحته، وكذلك المسافة بين الجسم والمصدر المشع.

ويمكن تقسيم تأثير الإشعاعات الصحية درجات على النحو الآتي:

- أقل من ١٠٠ريم: تظهر أعراض الدوخة والقيء، ولا توجد هناك أخطار سرطانية.
- من ١٠٠ ريم إلى ٢٠٠ ريم: ينخفض عدد كريات الدم البيض، ولا تظهر أعراض سريعة على الجسم، ويحتمل الإصابة بالسرطان بعد مدة طويلة.
- من ٢٠٠ إلى ٦٠٠ ريم: يحدث انخفاض في عدد كرات الدم البيض بشكل أكبر، وتظهر تسلخات على الجلد، وتكون احتمالات الموت بنسبة ٥٠٪.
- من ٧٠٠ إلى ٢٠٠٠ريم: يحدث انخفاض حاد في كريات الدم البيض، ويصاب النخاع العظمي بالشلل نهائياً، وتحدث الوفاة خلال أسبوعين.
- أكثر من ٢٠٠٠ ريم: يحدث تلف في الجهاز العصبي المركزي، وتحدث الوفاة خلال ساعات.

ولقد استقر علماء الطب والإشعاع على أن أخطر النظائر المشعة هي:

الأيودين ـ ١٣١: وهو يسبب النمو السرطاني في الغدة الدرقية، وهذا هو السر في إسراع ألوف من المواطنين، عندما ذاع احتراق المفاعل السوفييتي «تشيرنوبل» في أغلب دول أوربا، إلى التزاحم على الصيدليات لشراء أقراص اليود؛ لكي تتشبع به الغدة الدرقية فيصعب دخول الأيودين المشع إليها. ويعد «الأيودين ـ ١٣١» من أقصر العناصر المشعة آجلاً، فهو يفقد قدرته على الإشعاع بعد ثمانية أيام، ويصبح بلا خطورة بعد ثلاثة أشهر.

السيزيوم ـ ١٣٧: وهو عنصر مشع إذا اخترق الجسم فإنه يسكن في العضلات والأنسجة الليفية مدة طويلة؛ لأن مدة نصف العمر بالنسبة إليه ٣٠ سنة.

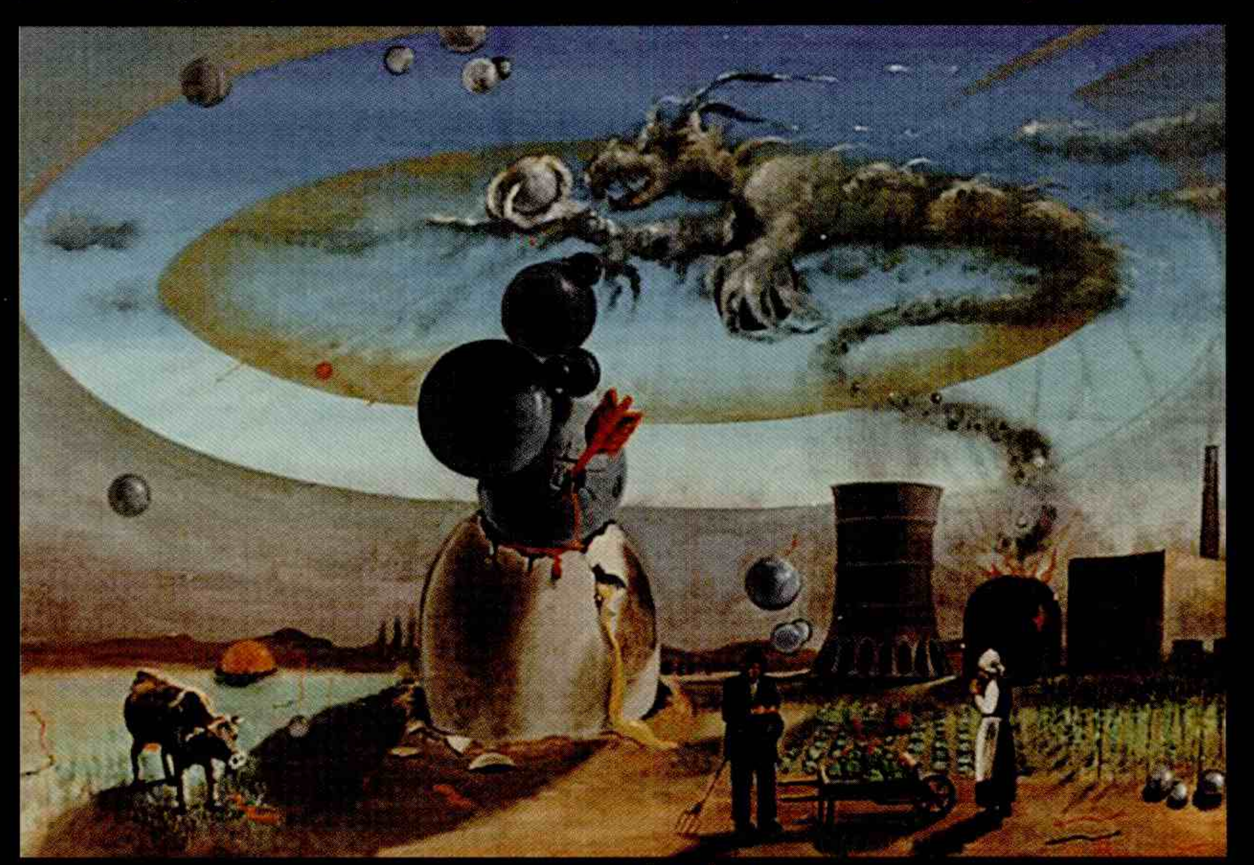
السترنشيوم ـ ٩٠: وهو يتركز في الألبان، ونصف عمره ٢٨ عاماً، وتأثيره في الأنسجة مماثل لتأثير السيزيوم.

الفسفور المشع ـ ٣٢: ويتركز في الغدد الجنسية ونصف عمره ١٤ يوماً، وهو يوقف إنتاج كريات الدم الحمر.

الباريوم ـ ١٤٠: وهو يسبب الأورام الخبيثة.

وتختلف أعراض الإصابة بالتلوث الإشعاعي اختلافات بينة ومتفاوتة، تراوح بين ارتفاع درجة الحرارة والانتهاء بالموت. وأوضح أعراض التلوث الإشعاعي هي الحروق الموضعية التي يمكن أن تظهر عند الوجود بالقرب من مصدر من مصادر التلوث.

وهناك أعراض مرضية بسيطة كالقيء، والإسهال، والترف الدموي، وسقوط الشعر، غير أن أخطر الأعراض هي ما يصيب كريات الدم البيضاء والحمراء ويسبب انخفاض معدلات تكوينها، وقد يصل الأمر إلى انخفاض كفاءة نخاع العظام، والنخاع الشوكي، والغدد الليمفاوية، والطحال والكبد، بالإضافة إلى ظهور أعراض

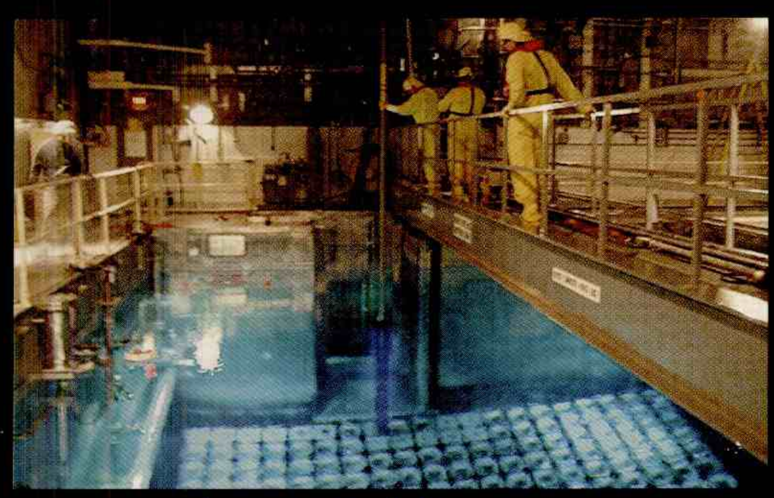


لوحة من مأساة تشرنوبل

الأنيميا في الدم.

وهناك مواد مشعة قد تسبب حدوث الأورام الداخلية في الأمعاء، أو إحداث نزيف داخلي بها، والذي تظهر أعراضه على هيئة إسهال دموي، أو قد تحدث هذه المواد خللاً في وظائف الكليتين وتؤدي إلى ظهور أعراض البولينا.

لكن أخطر آثار التلوث هو ما تتعرض له الحوامل خاصة إذا كان الحمل في الأشهر الثلاثة الأولى؛ لأن الأجنة تتعرض للتشوه.



صورة من الداخل لأحد المفاعلات النووية

تشيرنوبل.. الحقيقة الكاملة

تعدّ الحوادث التي تقع للمفاعلات النووية من أهم عناصر التلوث الإشعاعي، وتعتمد شدة التلوث الناتجة على نوع الحادث، وعلى الطريقة التي تنتشر بها السحابة المشعة، وعلى درجة ازدحام المنطقة المحيطة بالمفاعل بالسكان.

لقد أثار انفجار المفاعل النووي السوفييتي تشيرنوبل في ٢٦ أبريل/نيسان عام ١٩٨٦م ضجة إعلامية كبيرة في الدول الغربية؛ لأن الاتحاد السوفييتي فرض تعتيماً إعلاميًا على الحادث مدة ثلاثة أيام، حتى تم اكتشاف الأمر بواسطة أجهزة القياس الإشعاعية في السويد، ثم بواسطة أقمار الاستشعار من بعد.

ويتكون مفاعل تشيرنوبل من أربع وحدات، بدأت إقامتها منذ عام ١٩٧٨م وآخرها، وهي الوحدة الرابعة التي احترقت، لم يبدأ تشغيلها إلا عام ١٩٨٤م، ومازالت هناك وحدتان من النوع نفسه تحت الإنشاء في الموقع نفسه، وقدرة كل وحدة من هذه الوحدات ١٠٠٠ ميجا وات.

و السبب المرجح لاحتراق المفاعل السوفييتي هو خلل أصاب جهاز التبريد فيه، أدى إلى ارتفاع هائل في درجة الحرارة فنتج من ذلك اندلاع الحريق. والأمر المعروف عن ذلك النوع من المفاعلات أن قلب المفاعل يعمل بوقود نووي هو عنصر (اليورانيوم ـ ٣٣٥ المشع) تغلفه طبقات من عنصر «الزركونيوم»، بينما يهدئ التفاعل مادة الجرافيت ـ أي الكربون النقي ـ ويقوم الماء بعملية التبريد من الخارج.

غير أن أهم ما يميز هذا النوع من المفاعلات هو افتقاره إلى وسائل الأمان الواقية، إذ لا يوجد به قبة وقائية كما هو متبع في تصميم المفاعلات المستخدمة في الدول الغربية والولايات المتحدة. وهي القبة الخرسانية الضخمة التي تمنع الإشعاعات من التسرب خارج المفاعل؛ لذلك تسربت مع غازات الحريق بعض المواد المشعة، وتكونت منها سحابة مشعة من الغاز والغبار المشع انتشرت فوق مكان الحادث وحملتها الرياح إلى كثير من دول أوربا، فلقد وصلت آثار الإشعاع إلى أجواء كل من فنلندا والسويد بعد يومين من وقوع الحادث، كما وصلت إلى ألمانيا وفرنسا في ١٩٨٦/٤/٢٩م، ثم وصلت أيضًا إلى وسط أوربا وشمال إيطاليا وتركيا.

وقد وجد أن الغبار المشع الناتج من هذا الحادث يحتوي على عدد من النظائر المشعة مثل: (اليود ـ ١٣١، واليود ـ ١٣٢، والسيزيوم ـ ١٣٤، والسيزيوم ـ ١٣٧، والباريوم ـ ١٤٠، والتليريوم ـ ١٣٢، والروثنيوم ـ ١٠٣، بالإضافة إلى الاسترانشيوم ـ ٩٠، وهو نظير ذو أثر خطير). كما تم اكتشاف وجود البنتونيوم ـ ٢٣٩ في أجواء السويد، والبلوتونيوم ـ ٢٣٩ في أجواء كل من ألمانيا وإيطاليا وفنلندا.

ولقد سارعت السلطات السوفييتية إلى إخلاء المدن والقرى المحيطة بالمنطقة كإجراء وقائي، واهتموا في أول

الأمر بالأطفال والسيدات الحوامل. وقد قدر المراقبون عدد المهجرين بعيداً عن مركز الإشعاع بـ ١٠٠ ألف في دائرة نصف قطرها ٢٢ كم بعيداً عن المفاعل.

ولقد تصاعدت الإجراءات بالتوصية بإجهاض كل سيدة كانت حاملاً وتأثرت بالإشعاع، وحاولت السلطات السوفييتية السيطرة على المفاعل المحترق بإلقاء كميات ضخمة من الرمل المبلل المختلط بكميات من الرصاص ومعدن البورون بواسطة طائرات الهيليكوبتر، كما أقامت حاجزاً خرسانياً حول قلب المفاعل غرز تحت سطح الأرض حتى عمق ٣٠ متراً؛ ليكون جداراً واقياً يمنع استمرار تسرب الإشعاع، وقد ملأ الفراغ تحت قلب المفاعل بالنيتروجين المسيل؛ ليزيد في إحكام الحصار حول مصدر الإشعاع ولكن هيهات..

فقد تسببت السحابة المشعة في تلوث المزارع ومختلف



غرفة المراقبة في أحد المفاعلات النووية

المحاصيل، وامتنع الناس في أوربا عن تناول كثير من الأطعمة والخضر ومنتجات الألبان، وهناك بجانب من قتلوا مباشرة في الحادث، أعداد كبيرة من الأفراد الذين تعرضوا لجرعات مختلفة من الإشعاع في كل من الاتحاد السوفييتي والدول المجاورة له، وهؤلاء لا يمكن حصرهم أو معرفة عددهم حتى الآن، وينتظر أن يصاب بعض هؤلاء الأفراد بالأورام وبسرطان الدم خلال الأعوام القليلة القادمة.

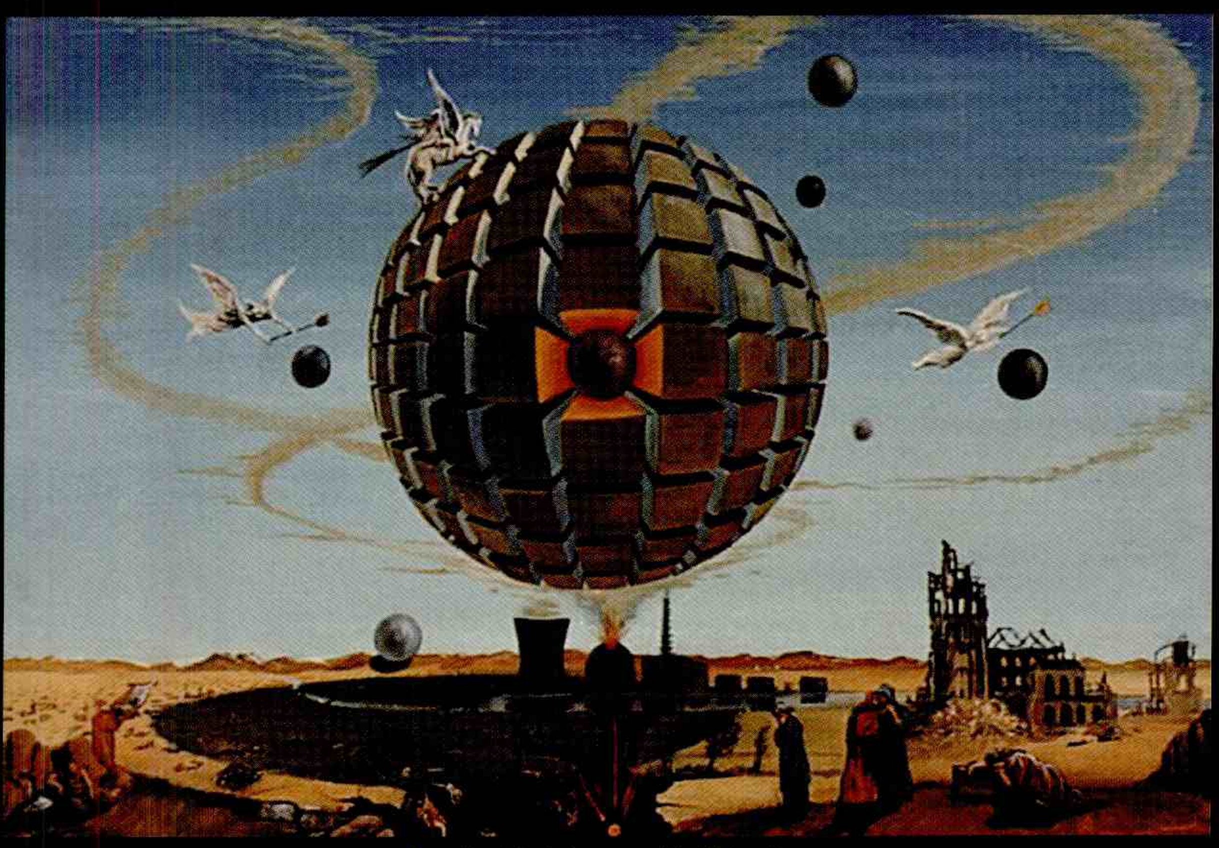
إنّ حادث احتراق المفاعل النووي السوفييتي ليس الأول من نوعه، وبالتأكيد، إنه لن يكون الأخير، ونذكر بصدد هذا الموضوع الحادث المعروف باسم «ثرى مايل أيلاند» الذي حدث في مارس عام ١٩٧٩م في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت الآثار الناتجة منه محدودة نسبياً لموقعه في منطقة بعيدة عن العمران. ونذكر أيضاً الحادث الذي وقع لأحد المفاعلات النووية في (وستيفاليا) بألمانيا الغربية عام ١٩٨٥م وأدى إلى تسرب الإشعاعات إلى مناطق بعيدة عن مكان الحادث، وكشفت الأخبار عن وقوع عدة حوادث في مفاعلات بريطانية وفرنسية، ولكن لم تثر حولها زوابع إعلامية، ومنها كارثة مفاعل «ويسندسيكل» في بريطانيا عام ١٩٧٥م.

حوادث وكوارث

لقد أدى استخدام النظائر المشعة في عدة ميادين إلى ظهور كوارث غير متوقعة أدت إلى وفاة أفراد أبرياء.. لقد كانت هذه الحوادث الإشعاعية بمنزلة دروس مهمة علمت البشرية أن [مخاطر الإشعاع لا حدود لها].

ففي ٥ يونيو/حزيران عام ٢٠٠٠م ظهرت بعض الحالات المرضية في أحد منازل قرية ميت حلفا بمحافظة القليوبية بمصر، وقام المسؤولون بوزارة الصحة باتخاذ الإجراءات الوقائية السريعة بعد إبلاغهم أن المرض الذي أصاب أفراد أسرة هذا المنزل، وهي مكونة من ٧ أفراد، هو مرض جلدي، وقد توفي طفل عمره ٩ سنوات، كما توفي رب الأسرة، وتابعت وزارة الصحة الحالة داخل أفراد الأسرة المنكوبة الذين ظهرت عليهم الأعراض نفسها، وهي التهاب اليدين وظهور بثور في الأصابع.

اشتبه الأطباء في بادئ الأمر بأن هذا المرض هو مرض الجمرة الخبيثة، واتخذت احتياطات واسعة، واهتدى الأطباء بعد الكشف الإشعاعي إلى أن السبب في ذلك هو وجود مصدر مشع فاهتمت الهيئات المعنية بمصر بهذه الكارثة.. وقام الخبراء بالتقاط المصدر المشع ووضعه في حاوية من الرصاص، وتم إحكام غلق الحاوية، ونقل المصدر إلى هيئة الطاقة الذرية، وتبين هناك أن هذا المصدر المشع من نوع «إيريديوم ـ ١٩٢» وهو يصدر أشعة جاما، وفترة نصف العمر له ٧٤٫٤ يوماً، وهو جسم مشع يشبه المسمار الحلزوني، وطوله ١٨سم، وقطره ٥مم، وقد تبين أنه جزء من كاميرا إشعاعية تستخدم في الكشف عن اللحامات والمصبوبات.



صورة تخيلية لما قد ينتج من الإشعاعات النووية

وقد تبين أن أحد الفنيين استخدم هذا المصدر المشع الموجود بداخل كاميرا إشعاعية لفحص لحامات أحد مواسير نقل الغاز الطبيعي بقرية ميت حلفا، وبعد أن انتهى من عمله ترك هذه الكاميرا بين الرمال بعد ردم الماسورة.. ومن سوء حظ رب الأسرة المنكوبة أن عثر على هذا الجهاز، فاعتقد أنه عثر على شيء غالي الثمن، فنقله إلى منزله وهنا.. حدثت الكارثة.

إن هذه الكارثة هي الأولى من نوعها في مصر، ولكنها ليست الأولى من نوعها في العالم، فقد تم فقد عناصر مشعة في عدة دول وقد عثر عليها أفراد يجهلون مدى خطورتها، فأودت بحياتهم، ومن أمثلة ذلك:

- في عام ١٩٦٣م فقد في المكسيك مصدر مشع يستخدم في التصوير الصناعي بالإشعاع، ونتج من ذلك وفاة أربعة أشخاص.

- في عام ١٩٨٤م فقد في المغرب مصدر «إيريديوم - ١٩٢»، ويستخدم في التصوير الإشعاعي في إحدى المنشآت الصناعية، وأدى الحادث إلى وفاة ٨ أفراد بعد عثورهم على المصدر، ووضعه في المنزل.

وتحدث بعض حوادث التسرب الإشعاعي كذلك بسبب نقل المواد المشعة، ومن أمثلة ذلك:

- في أبريل عام ١٩٧٤م نقل مصدر «إيريديوم - ١٩٢» الذي يصدر أشعة جاما بواسطة طائرة ركاب في إحدى الدول، وبعد وصول المصدر اكتشف أنه لم يكن مغلقًا بالصورة المطلوبة مما نتج منه مستويات إشعاعية خارجية عالية. وقد أظهر التقرير أن مستوى الإشعاع قد وصل إلى ٥ رونتجن في الساعة للفرد إلا أنه لم تحدث حالة وفاة.

- في مارس/ آذار عام ١٩٧٧م خرج قطار عن مساره وبه حمولة ٥ر٨ أطنان من اليورانيوم، ولم يحدث أي تلوث إشعاعي.

- في عام ١٩٨٤م غرقت سفينة النقل «مونت لويس» أمام السواحل البلجيكية وعلى متنها ٣٥٠ طناً من سادس فلوريد اليورانيوم المعبأة في ثلاثين حاوية، وقد استطاعت قوات الطوارئ البلجيكية انتشال جميع الحاويات دون حدوث أي أضرار.

- في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٨٧م وقع حادث في منطقة المسيسيبي في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لحدوث تصادم بين عربة مجرورة بشاحنة تحمل أدوية مشعة مع سيارة ركاب، وقد أدى ذلك إلى تحطيم العربة وتناثر الأدوية وانتشارها على جانب الطريق، وقد كان ضمن هذه الأدوية المشعة نظير الجاليوم ٦٧ واليود ١٣١، وقد نجحت الجهات المختصة في السيطرة على الوضع.

كذلك قد تحدث حوادث سرقة للمواد المشعة، وهي تهدد باحتمالات لها خطورتها بسبب جهل بعض الأفراد بمخاطر هذه العناصر المشعة، ومن هذه الحوادث:

- **حادث سرقة مصدر مشع بالبرازيل:** في شهر سبتمبر/أيلول عام ١٩٨٧م سرق لصان مصدراً مشعاً وهو «السيزيوم - ١٣٧» من معهد مهجور لعلاج الأورام السرطانية، وكان هذا العنصر بداخل جهاز محمي بدروع واقية من مادة الرصاص، وقد تعرض أحد اللصين للإشعاع، ولما ذهب للطبيب شخَّص له المرض بأنه تناول طعاماً فاسداً، وذلك بسبب حالة القيء والإسهال التي أصابته.

ولما حاول اللص الثاني فتح الجهاز تساقط منه مسحوق كلوريد السيزيوم الذي ينبعث منه ضوء أزرق فاخر، فأخذ اللص يبيعه للكثير من معارفه وجيرانه، كما باع أيضاً الدروع الوقائية التي تحتوي على كمية كبيرة من الرصاص إلى بائعي الخردة.

لقد أدى ذلك إلى انتشار التلوث الإشعاعي للكثير من الناس الذين انبهروا بسبب الضوء الأزرق الصادر من مسحوق السيزيوم، لقد قام الكثير من الأطفال باللعب به، ودهان أيديهم وأذرعهم ووجوههم بهذا المسحوق ليضيء جسدهم في الظلام، ونتج من هذا إصابة الكثير بالتلوث الإشعاعي.

وعندما اكتشف الأطباء حقيقة هذا المصدر تم إبلاغ هيئة الطاقة الذرية البرازيلية فاستنجدت بالوكالة الدولية للطاقة الذرية، وقد توفي ثلاثة أشخاص، وأصيب أربعون شخصاً بجرعة إشعاعية عالية، بالإضافة إلى إصابة ٢٥٠ شخصاً بتلوث إشعاعي متوسط.

سرقة المواد المشعة بالاتحاد السوفييتي: بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وتدهور الأحوال الاقتصادية انخفضت الأجور، بل تدهورت الأحوال إلى عدم صرف رواتب بعض الموظفين فترة طويلة، وقد أدى ذلك إلى لجوء بعض العاملين إلى تهريب المواد النووية الخطيرة، مثل البلوتونيوم واليورانيوم وبيعها في السوق السوداء بأسعار كبيرة إلى ألمانيا وإيطاليا وتشيكوسلوفاكيا وتركيا وإيران، وتبين اشتراك رجال المخابرات الروسية KGB، ورجال المخابرات الألمانية BND مع بعض علماء الطاقة الذرية في روسيا وتشيكوسلوفاكيا في عمليات التهريب.

المراجع

١- توفيق محمد قاسم، التلوث مشكلة اليوم والغد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢- سعد شعبان، التلوث لعنة العصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
٣- محمد السيد أرناؤوط، الإنسان وتلوث البيئة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
٤- محمد نبهان سويلم، التلوث البيئي وسبل مواجهته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
٥- محمد إبراهيم الجار، كتاب الإشعاع الذري (١٩٩٥م).
٦- محمد عبدالفتاح عياد، كتاب الإشعاع الذري (١٩٩٢م).
٧- مجلة العلم - أعداد مختلفة.
٨- مجلة عالم الفكر - يوليو/تموز ١٩٩١م.
٩- نشرة مكتب أوربا - حادث مفاعل تشيرنوبل - ٦ مايو ١٩٨٦م.

10 - J.G. Crowther, A Short History of Science Methuen Educational Ltd, London, 1969.
11- La Recherche, No. 180, Vol. 17, September 1986.
12- A.J Essex Cater. Manual of Public Health and Community, Medicine, Zided, John Wright Lrdy, Bristol 1979.

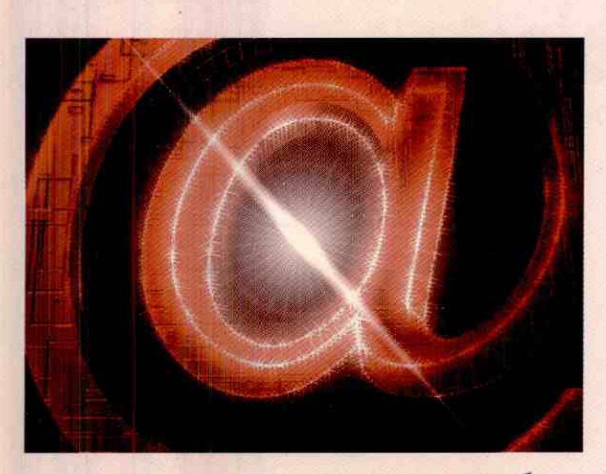
مجلات علمية محكّمة عبر الإنترنت:
الإيجابيات والمعوقات

سعد علي الحاج بكري / أبوبكر سلطان أحمد
الرياض - السعودية

نطرح مسألة نشر «المجلات العلمية المحكّمة إلكترونيًا على الإنترنت»، في محاولة لتقويم إيجابيات هذا النشر ومناقشة عوائقه بالموازنة مع النشر بالطرائق الورقية التقليدية. وفي سبيل ذلك نحدد أهداف المجلات العلمية المحكَمة، والتعريف بالأطراف المرتبطة بها، ثم نتطرق إلى إجراءات العمل في هذه المجالات ابتداءً من إعداد البحوث، وانتهاءً بنشرها وتوزيعها، مع تحديد عوامل قياس أداء هذه الإجراءات، وتقديم دراسة ميدانية حول أداء كل من مجلة جامعة الملك سعود، قسم العلوم الهندسية، وإحدى المجلات التي يصدرها معهد المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين الأمريكي. ثم نتناول إيجابيات نشر المجلات العلمية المحكمة على الإنترنت، ونقدم أمثلة حول هذه المجلات في شتى حقول المعرفة، لنقف على العوائق المحتملة لهذا النشر، وكيفية التعامل معها. وهناك في الختام توصيات حول التوجهات المستقبلية.

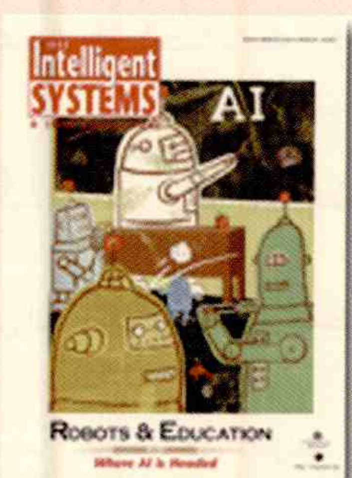
يسعى الباحثون الجامعيون (الأكاديميون) إلى نشر أبحاثهم العلمية في المجلات العلمية المحكّمة من أجل تعميم فوائد هذه الأبحاث، والمساهمة في التقدم العلمي الإنساني من ناحية، ومن أجل تحقيق مكانة علمية متميزة في الأوساط العلمية من ناحية ثانية. ولا يعبّر هذا النشر عن قدرات هؤلاء الباحثين وإنجازاتهم فحسب، بل يعدّ دليلاً مهمًا من دلائل تقدم الجامعات، والمؤسسات العلمية، والدول التي ينتمون إليها. و على ذلك يلقى الباحثون تشجيعًا على نشر أبحاثهم من هذه الجهات، بل يمنحون جزاء ذلك الألقاب العلمية، وربما العلاوات المادية أيضاً. ويستثنى من هذا التشجيع بالطبع الأبحاث ذات الطبيعة الأمنية أو التجارية الخاصة، حيث يختلف التعامل مع أصحابها.

يخضع نشر الأبحاث العلمية في المجلات العلمية



المحكّمة إلى جملة من الإجراءات، تقوم بها مجموعة من الأطراف، باذلة في ذلك الجهد، والوقت، والتكاليف المادية. ومن خلال ذلك تقدم هذه المجلاّت لقرائها الأبحاث المفيدة التي تتمتع بمستويات علمية متقدمة في حقول تخصصاتها. ولعل من أهم

مشكلات الباحثين مع المجلات العلمية المحكّمة امتداد الزمن بين تقديم أبحاثهم للنشر ومراجعتها، وطلب التعديلات عليها، ثم نشرها في أحد الأعداد القادمة. ويشكل ذلك ضغطاً على الأطراف المعنية؛ لأن أعضاء هيئة التدريس مطالبون بنشر عدد معين من المقالات العلمية في فترة زمنية محددة في مجلات مشهورة معدودة بهدف الترقية العلمية أو التعيين، بينما لدى المجلات المحكمة عدد كبير من المقالات التي تحتاج إلى وقت كبير في الإجراءات لترى النور. ويعدّ ذلك مشكلة أيضًا للقراء؛ إذ لا تصلهم الأبحاث الجديدة إلا بعد مرور فترات طويلة على إنجازها. ويتعارض ذلك مع الإيقاع المتسارع للتقدم العلمي والتقني في هذا العصر الذي أعطى وسائل جديدة للنشر الإلكتروني العلمي الفعّال، يأتي في مقدمتها الإنترنت والأقراص المدمجة. ويستطيع النشر الإلكتروني التخفيف من هذا الضغط بإجراءاته السريعة والربط الفعّال القوي بين الأطراف المعنية.



ونرمي هنا إلى طرح مسألة نشر المجلات العلمية المحكمة إلكترونيًا على الإنترنت، ومحاولة تقويم إيجابيات هذا النشر ومناقشة عوائقه بالموازنة مع النشر بالطرائق التقليدية.

أهداف المجلات المحكّمة وأطرافها

ترتبط أهداف المجلات العلمية المحكّمة بالأطراف المتعاملة معها، وتضم هذه الأطراف ثلاث مجموعات رئيسة:

تشمل الأولى المتخصصين بموضوع المجلة المحكّمة. ويضم هؤلاء المتخصصون: الباحثين الذين يتقدمون بأبحاثهم للنشر، إضافة إلى الهيئات التي ينتمون إليها والتي تسمح لهم بنشر أبحاثهم من جهة، والقراء المتخصصين الذين يقرؤون المجلة من جهة أخرى. وينتشر هؤلاء في مختلف أنحاء العالم. كما أن القراء يمكن أن يكونوا أيضاً من الباحثين المساهمين بتقديم الأبحاث للنشر. وتشمل هذه المجموعة أيضاً هيئة تحرير المجلة المسؤولة عن إجازة الأبحاث للنشر، ومحكمي الأبحاث الذين يُبدون آراءهم في الأبحاث ليقرروا نشرها، أو عدم نشرها، أو ربما تعديلها أو تطويرها. وكما هو الحال مع المتخصصين الآخرين، يتوزع هؤلاء المحكمون عادةً في مختلف أنحاء العالم.

أما المجموعة الثانية من الأطراف المرتبطة بالمجلات العلمية المحكّمة، فتضم المتخصصين في شؤون النشر العلمي بما في ذلك شؤون تجهيز أعداد المجلة، وطباعتها، وتوزيعها. ويمكن أن نطلق على هؤلاء اسم هيئة النشر. وتشمل المجموعة الثالثة الجهات المُموِّلة للنشر بما في ذلك المؤسسات الربحية كشركات النشر، والمنظمات غير الربحية، كالجمعيات المهنية، إضافة إلى الهيئات التطوعية كالجامعات. ولا شك أن لكل طرف من الأطراف ذات العلاقة أهدافاً خاصة به من نشر المجلات العلمية المحكّمة.

تسعى مجموعة المتخصصين في موضوع المجلة إلى نشر الأبحاث المفيدة وتوفيرها للقراء بسرعة وسهولة، وبتكاليف محدودة. فهذا النشر يعزز مكانة الباحثين والهيئات التي ينتمون إليها، كما أنه يمد القراء المتخصصين بالمعارف المفيدة والتطورات الجديدة في حقل تخصصهم، مما يؤدي إلى تطوير عملهم المهني، ودعمٌ جهودهم البحثية. وللسرعة في هذا المجال دور حيوي، فنتاج البحث العلمي تجدّدٌ مفيدٌ يجب أن يرى النور بسرعة، منعاً لتأخر الاستفادة

منه، ورغبة في دفع عجلة البحوث المرتبطة به. ولانخفاض التكاليف دور حيوي آخر خصوصاً بالنسبة إلى القراء الذين يرغبون في التحصيل بشكل مستقل، أو أولئك الذين يعملون في مؤسسات أقل حظاً لا تُؤَمَّن لهم المجلات التخصصية إذا كانت مرتفعة الثمن.

أما مجموعة المتخصصين في النشر العلمي فيعملون من أجل رسالة مهنية من ناحية، ومن أجل مهنة يرتزقون منها من ناحية ثانية. ولا شك أن أهداف الرسالة المهنية تتفق مع أهداف مجموعة المتخصصين في موضوع المجلة. لكن مسألة تأمين مهنة بدخل معين قد تتعارض مع العمل على خفض تكاليف النشر العلمي. ولعله يمكن القول في هذا الإطار: إن إيجاد وسائل لخفض التكاليف قد يوسع دائرة النشر العلمي مما يعطي بعداً جديداً للدور المهني لمتخصصي النشر العلمي.

أما مجموعة المُموِّلين أو الناشرين فنجد أن المؤسسات الربحية منهم لا يرحبون بخفض التكاليف على المستفيدين؛ لأن ذلك ربما يحد من الأرباح، لكنهم - بالتأكيد - يرحبون باحتمالات توسع أعمال النشر العلمي. أما أصحاب المؤسسات غير الربحية والمؤسسات التطوعية فلا بد أن يجدوا في احتمالات خفض التكاليف وسرعة النشر ما يسرهم ويحقق أهدافهم بفاعلية أكبر.

إجراءات العمل

تشمل إجراءات العمل في نشر المجلات العلمية المُحَكَّمة الجهد المبذول من الأطراف السابقة الذكر كافة. وعلى ذلك فإن هذه الإجراءات تتضمن ما يأتي:

- إجراءات العمل في البحث العلمي، وإعداد الأبحاث للنشر من جانب الباحثين المتخصصين في شتى أنحاء العالم، إضافة إلى الحصول على السماح بالنشر من المؤسسات التي يعملون فيها، ثم التقدم بالأبحاث إلى هيئة تحرير المجلة المتخصصة المطلوبة.
- إجراءات تحكيم الأبحاث المقدمة للنشر، وهي

لدى المجلات المحكمة عدد كبير من المقالات التي تحتاج إلى وقت كبير في الإجراءات لترى النور، وذلك يتعارض مع الإيقاع المتسارع للتقدم العلمي والتقني في هذا العصر



تشمل: التصفية الأولى التي تقوم بها هيئة التحرير لترشيح الأبحاث المتوافقة مع متطلبات المجلة للتحكيم. ثم اختيار المحكّمين، وإرسال الأبحاث إليهم، لتحكيمها وإرسال تقاريرهم إلى هيئة التحرير. وبعد ذلك الإجراءات التي تتخذها الهيئة على أساس هذه التقارير، بما في ذلك احتمالات إجازة النشر، أو عدم إجازته، أو طلب تعديلات، وما يرتبط بذلك من مراسلات وجهود تستهلك وقتا طويلاً.

- وبعد إجازة النشر تأتي إجراءات عملية النشر التي يقوم بها متخصصو النشر العلمي، وما يتبع ذلك من إعداد وطباعة وتوزيع والتي تستهلك وقتاً طويلاً إضافياً.

عوامل الأداء

ولعله يمكن من خلال استعراض الإجراءات السابقة تحديد مقياسين رئيسين لأداء هذه الإجراءات. يرتبط المقياس الأول منها بسرعة النشر، ويتعلق الثاني بتكاليف هذا النشر.

- يشمل مقياس السرعة عاملين زمنيين مهمين.

العامل الأول هو الزمن اللازم لهيئة التحرير كي تتم عملها. ويقاس ذلك، بالنسبة إلى بحث معين، بالزمن ما بين تقديم هذا البحث للنشر من جهة، وإقرار نشره، أو عدم نشره من جهة ثانية. أما العامل الثاني فهو الزمن اللازم لهيئة النشر كي تتم عملها. ويقاس ذلك بالزمن ما بين إقرار نشر بحث معين من هيئة التحرير من ناحية، وظهور هذا البحث منشوراً في المجلة من ناحية أخرى. وسوف نطلق على الزمن الأول: زمن إجراءات هيئة التحرير، ونطلق على الزمن الثاني: زمن إجراءات هيئة النشر.

- أما مقياس التكاليف فيشمل أيضاً عاملين مهمين. يرتبط أولهما بتكاليف التحرير بما في ذلك من تكاليف هيئة التحرير والمحكمين والمراسلات وغير ذلك. أما العامل الثاني فيتعلق بتكاليف النشر بما في ذلك من تكاليف هيئة النشر والطباعة والتوزيع وغير ذلك. وكمثال على تقويم أداء مجلات علمية محكّمة تُنشر بالأساليب التقليدية أخذنا نتائج دراسة ميدانية، تركّز في العاملين الزمنيين لمقياس السرعة، لمجلتين علميتين مُحكّمتين: إحداهما محلية هي مجلة جامعة الملك سعود الصادرة عن قسم العلوم الهندسية، وهي مجلة نصف سنوية، والأخرى دولية هي مجلة أبحاث انتشار الأمواج والهوائيات التي يصدرها معهد المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين الأمريكي IEEE، وهي مجلة شهرية. وقد شملت الدراسة ٥٠ بحثاً في كل من هاتين المجلتين، وجاءت النتائج على النحو الآتي:.

- في مجلة جامعة الملك سعود كان متوسط زمن إجراءات هيئة التحرير للبحث الواحد ٣٢٢ يوماً، أما متوسط زمن إجراءات هيئة النشر فقد بلغ ٤٤٩ يوماً، أي بمجموع وسطي قدره ٧٧١ يوماً، أي ما يزيد على سنتين



كاملتين بين تقديم البحث للنشر ووصوله إلى القراء.

- أما في مجلة معهد المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين الأمريكي، فقد كان متوسط زمن إجراءات هيئة التحرير للبحث الواحد ٢٧٩ يوماً، وهو زمن لا يختلف كثيراً عن الزمن المقابل لدى مجلة جامعة الملك سعود، وبلغ الزمن الوسطي لإجراءات هيئة النشر ١٧٠ يوماً، وهو يقل كثيراً عن الزمن المقابل لدى مجلة جامعة الملك سعود، ربما؛ لأن هذه المجلة شهرية، وليست نصف سنوية. وبذلك كان المجموع الوسطي ٤٤٩ يوماً، أي نحو سنة وثلاثة أشهر ما بين تقديم البحث للنشر ووصوله إلى القراء.

- وبالنسبة إلى التوزيع التكراري ، فإن معظم المقالات العلمية المنشورة في مجلة جامعة الملك سعود يستغرق زمن تحريرها فترة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ يوم ثم فترة مماثلة أخرى للنشر. أي إن معظم المؤلفين والقراء ينتظرون فترة تراوح بين ٤٠٠ و٦٠٠ يوم لكي ترى المقالات العلمية النور. أما في مجلة IEEE فإن معظم المقالات العلمية المنشورة يستغرق زمن تحريرها فترة أقل نسبياً. فهي تراوح بين ١٠٠ و٢٠٠ يوم ثم فترة مماثلة أخرى للنشر. أي إن معظم المؤلفين والقراء ينتظرون فترة تراوح بين ٢٠٠ إلى ٤٠٠ يوم لكي ترى المقالات العلمية النور. وبصفة عامة يعدّ ذلك تأخيراً في نقل المعرفة.

يؤدي النشر من خلال الإنترنت إلى اختصار زمن إجراءات هيئة التحرير، وتخفيض تكاليف عملها



النشر على الإنترنت

لا شك أن النشر على الإنترنت يمكن أن يحد من عوامل الزمن السابقة الذكر، أي يزيد سرعة وصول الأبحاث إلى القراء، كما يمكنه أيضاً

أن يخفض التكاليف. وهذا ما يعزز تحقيق أهداف المتخصصين في موضوعات المجلات المحكّمة، ويدعم الرسالة المهنية لهذه المجلات، وربما يؤدي أيضًا إلى توسيع قطاع نشر المجلات العلمية المحكّمة، بما يحفظ أو يزيد فرص العمل أمام المتخصصين في النشر العلمي، ولكن بأساليب جديدة.

فمن أبرز إيجابيات الإنترنت في هذا المجال ما يأتي:

- يؤدي النشر من خلال الإنترنت إلى اختصار زمن إجراءات هيئة التحرير، وتخفيض تكاليف عملها. فمن خلال البريد الإلكتروني يمكن لهذه الهيئة تلقي الأبحاث المقدمة للنشر، ومتابعة إجراءات مهماتها بما يشمل عمليات التحكيم، والحاجة إلى تعديل الأبحاث وتطويرها، وإجازتها للنشر. ويحد النشر الإلكتروني على الإنترنت كثيرًا من زمن إجراءات هيئة النشر، بل يكاد يلغيه إذا كان إعداد الأبحاث إلكترونيًا متوافقًا مع متطلبات إخراج الأبحاث المجازة للنشر. ففي هذه الحالة لا تنتظر هذه الأبحاث صدور أعداد المجلة، بل تخرج مباشرة إلى النور على الموقع المخصص للمجلة على الإنترنت. وتعمل هيئة النشر في هذه الحالة على إدارة النشر على الموقع، ولا يكون هناك أي حاجة إلى الطباعة والتوزيع. وهذا ما يؤدي إلى تخفيض نفقات هيئة النشر أيضًا.

- لا يلغي النشر الإلكتروني على الإنترنت مبدأ الطباعة لمن يرغب، لكن عملية الطباعة وتحويل أبحاث المجلات المحكّمة من الشكل الإلكتروني إلى الشكل الورقي تصبح مسألة شخصية. وبذلك يمكن للقارئ المتخصص، وهو في الغالب باحث يساهم في النشر أيضًا، أن يختار ما يريد قراءته أو الحصول عليه ورقيًا، في أي وقت يشاء. وهذا مما يحد من الحجم الذي تحتله المجلات في مكاتب المتخصصين وغرفهم الشخصية، ويجعل عملية البحث عن مقالات أو مؤلفين أكثر سرعة وسهولة لامتياز البحث الإلكتروني عن البحث اليدوي المرهق في كم هائل من مجلدات المجلات الورقية واللف والدوران حول الأرفف والدواليب، والإقلال من التلوث البيئي نتيجة الإقلال من الأوراق.

- بظهور الجيل التالي من الإنترنت واتساع نطاق الاتصالات، وبزوغ المكتبات الرقمية، يمتاز النشر الإلكتروني من الورقي بأن الأول يوفر إمكانات المرئيات والصور الثلاثية الأبعاد والصور المتحركة للمعلومات العلمية والهندسية والإنسانية، وسهولة

لا يلغي النشر الإلكتروني على الإنترنت مبدأ الطباعة لمن يرغب، لكن عملية الطباعة وتحويل أبحاث المجلات المحكّمة من الشكل الإلكتروني إلى الشكل الورقي تصبح مسألة شخصية



الوصول إلى المراجع المرتبطة بالمقالة الإلكترونية عبر الإنترنت، مما يساهم في استيعاب أعمق للمعرفة.

- هناك الآن ما يربو على ٣٠٠ مجلة إلكترونية (أو إلكترونية جزئيًا) محكّمة عبر الإنترنت في شتى التخصصات، وهي في ازدياد. ودخل هذا المجال دور نشر عريقة ورئيسة مثل: Elsevier Science, Taylor & Francis, Wiley Interscience, Kulwer Academic Pub. كذلك دخلها أقدم المجلات العلمية مثل: American J. of Science (1818),

American J. of Mathematics (1878).

ويلاحظ سرعة النشر (نحو الأسبوع) من استلام المقالة؛ لأن المراسلات والتحرير والنشر كل ذلك يتم إلكترونياً عبر البريد الإلكتروني أو في موقع المجلة على الإنترنت. أضف إلى ذلك عدم وجود اشتراكات للحصول على المجلة. أما الصيغة المطلوبة للنشر الإلكتروني فلا تسبب عائقاً، ومن السهل الاعتياد عليها.

- يواجه العالم في الألفية الثالثة تحدياً أمام انفجار كمية المعلومات ونموها المتزايد وكيفية تخزينها. ويحتاج هذا الأمر إلى البحث عن أدوات للاستفادة الفعّالة من كمية المعلومات المتزايدة باطراد. وبينت دراسة قام بها Lyman & Varian 2000 أن إنتاج كمية المعلومات يبلغ حوالي ٢ بليون «جيجا بايت» في السنة، أي نحو ٢٥٠ ميجا بايت لكل واحد من سكان العالم. وتمثل النصوص الورقية نحو ٠٫٠٠٣٪ من الإجمالي الذي يتكون من وسائط متعددة : الورق، والأفلام، والأقراص المدمجة، والوسائط المغناطيسية. وتمثل المغناطيسية الوسط الأكبر والأرخص لتخزين المعلومات، فمن المتوقع أن تنخفض تكلفة تخزين واحد جيجا بايت من أقل من ١٠ دولارات عام ٢٠٠٠م إلى نحو دولار واحد عام ٢٠٠٥م. وهذا الوسط المغناطيسي يتوافق ويتلاءم مع أرشفة المقالات الإلكترونية بسهولة، خاصة أن الباحثين يحصلون على نحو نصف معلوماتهم العلمية من «الويب»، كما أشار Bo-Christer & Turk 2000 وبسبب ما سبق من إيجابيات يبدو التوجه نحو نشر المجلات العلمية على الإنترنت واضحاً. ويشمل هذا التوجه مختلف حقول المعرفة. ويقدم الملحق (ب) أمثلة من المجلات العلمية الإلكترونية المحكّمة. ويلاحظ فيها التركيز في نقطتين : «السرعة والتحكيم المتخصص». ولعل من أبرز هذه الأمثلة المجلات العلمية المنشورة على الموقع In-sightView.com، حيث تشمل هذه المجلات مجلتين باللغة الإنجليزية، ومجلة واحدة باللغة العربية يمكن الحصول عليها دون مقابل. وتختص هذه المجلات بموضوع تقنيات المعلوماتية والعمل إلكترونياً. ونشر في المجلة العربية بحث جديد حول «العمل إلكترونياً» يحتوي على معلومات ربما تفيد قراء هذا الموضوع، بسبب الأساس العلمي المشترك لهما.

من الضروري العمل على إنشاء مجلات علمية محكّمة جديدة ونشرها على الإنترنت للاستفادة من إيجابيات هذا النشر، ولتوسيع دائرة النشر العلمي بالأساليب الحديثة

IEEE Intelligent SYSTEMS & their applications

معوقات وتوصيات

- يوضح ما سبق مدى فوائد نشر المجلات العلمية المحكّمة بالشكل الإلكتروني على الإنترنت بالموازنة مع النشر التقليدي. لكن هذه الفوائد لم تأت من دون معوقات. ولعل محور هذه المعوقات أمر واحد هو صعوبة الحصول على القبول الإنساني، ومن ثم الإداري والقانوني للمجلات الإلكترونية بالسرعة المطلوبة. فما تزال فكرة المجلة الورقية هي السائدة تقليدياً، ومن ثم فإن المجلات الإلكترونية غير الورقية لم يعترف بها تماماً على أنها منفذ قانوني للنشر في المجتمع العلمي على الرغم من ازدياد عددها باطراد، ويؤيد ذلك بحث ١٩٩٥م Kling & Covi، وجاءت نتائج استبانة إلكترونية قام بها Sweeney2000 في جامعات فلوريدا بين أعضاء التدريس والإداريين كالآتي:

- يتساوى تقريباً الموافقون وغير الموافقين على أن

بعض المجلات العلمية الإلكترونية المحكّمة

اسم المجلة وعنوانها	مجال التخصص	ملاحظات
Electronic Journal of international Proverb studi http:/WWW.deproverbio.com/	فنون - إنسانيات - أدب - دراسة الأمثال	إرسال المقالات بالبريد الإلكتروني صيغة html
Electronic Journal of Analytic Philosophy (EJAP http:/phil.idiaba.edu/ejap/	فنون إنسانيات - فلسفة - علوم الظواهر وتطور العقل	بدأت في عام ١٩٩٣م - المجلة دون مقابل عبر «الويب» ألفان إلى أربعة آلاف زائر أسبوعياً - حقوق النشر للمؤلف وحقوق المجلة النشر المستمر على «الويب»
Journal of Electronic Publishing http:/ WWW.press. umich. edu/jep/	أعمال واقتصاد - النشر الإلكتروني	دراسات عن قضايا النشر الإلكتروني
Elaw-Murdoch University Electronic Journal of law http:/WWW.murdoch.edy.ua/elaw/	تعليم - قانون	محكمون من أعضاء هيئة تدريس وطلبة جامعة «مردوخ» للقانون - المجلة دون مقابل على «الويب» أو بالبريد الإلكتروني
Rsna Electronic Journal http://ej.rsna.org/	صحة - طب - طب إشعاعي	بدأت عام ١٩٩٧م - تم دمجها مع المجلة الإلكترونية Rsna Graphics
Electronic Journal of Oncology (EJO) http://ejo.univ-Lyon.fr	صحة - أمراض - سرطان	دون مقابل - إرسال المقالات في الموقع مضغوطة بصيغة rtf والصور بصيغة gif/ jpeg - النشر بصيغة pdf
Information Research: an electronic Journa http://WWW.shef.ac.uk -is/publications/infres/	مكتبات - علم المعلومات	١٣٠٠ زائر شهرياً - محكمة - إرسال المقالات بصيغة html بالبريد الإلكتروني أو على قرص، والصور بصيغة gif
Electronic Journal of Sociology http://WWW.sociology.org	علم اجتماع	محكمة إلكترونياً بشفافية - تنشر بصيغة html ascii - سرعة التحرير والنشر - على الإنترنت دون مقابل
Electronic Green Journal http://egi.lib.udaho.edu/	اجتماع - بيئة - أخبار - إعلام	
Electronic Journal of Probability and Electronic Communications in Probability http://WWW.math/washington.edu/~ejcep/	علوم - رياضة	إرسال المقالات إلكترونياً بالبريد الإلكتروني بصيغة ascii
Electronic Journal of differential Equations http://WWW.ejde.math.swt.edu/	علوم - رياضة	تهدف إلى سرعة نشر البحوث الرياضية العالية - تحكيم في نفس مستوى المجلات الورقية العالية المستوى - تقبل سجلات المؤتمرات والمقالات الطويلة
Electronic Journal of Geotechnical Engineering http://geothech.civen.okstate.edu/ejge/	علوم الأرض - هندسة جيولوجيا	
Electronic Journal of Biotechnology http://ejb.uce.cl/	علوم - تقنية حيوية	إرسال المقالات بالبريد الإلكتروني كمرفق بصيغة ميكروسوفت وورد. يتم إخطار المؤلف بالاستلام خلال ٣ أيام - المؤلف مسؤول عن مراجعة النص بصيغة html - إرسال التعديلات خلال ٣ أيام التالية
1. Journal of eBiz R&D. 2. Journal of eBiz Market. ٣- المجلة العربية لدراسات العمل إلكترونياً: http://WWW.insightview.com	هندسة - اقتصاد - معلوماتية	إرسال المقالات بالبريد الإلكتروني بصيغة html/pdf النشر خلال أسبوع من الاستلام - دون اشتراكات

التحكيم الإلكتروني يماثل تحكيم المجلات الورقية في عنايته وتمكنه، إلا أن أكثر من ثلث الإجابات لا تعلم عنه أو غير معتادة عليه بعد.

- توافق معظم الإجابات على أن التحكيم الإلكتروني لا يقلل من احترام النظام الأكاديمي العلمي الصارم، وإن كانت مشروطة بجودة التحكيم.

- توافق معظم الإجابات على حساب النشر الإلكتروني في الترقية والتعيين.

- يتساوى تقريبًا الموافقون وغير الموافقين على أن قضايا النشر الإلكتروني تهم المعيّنين في وظائف علمية والطالبين للتعيين.

وإذا كان الجيل الجديد الذي نشأ وينشأ مع عصر المعلوماتية والإنترنت يمكن أن يقبل الشكل الإلكتروني للمجلات بسهولة، فإن الأجيال التي سبقته ستكون في موقع الرفض والدفاع عن الأساليب التقليدية. وتأتي أهمية هذه الأجيال من

أنها بحكم التقدم في السن تحتل مواقع القرار والقبول والرفض في شأن النشر العلمي، والمفاضلة بين المجلات التقليدية ومجلات الإنترنت. بينما نرى الباحث من الجيل الجديد عصرياً ومؤيداً للمجلات الإلكترونية بوصفه قارئًا، فإنه ما زال متحفظًا في اختيارها لنشر إنتاجه العلمي بوصفه مؤلفًا.

كذلك يبقى سؤال مهم: هل ستسمح دور النشر الورقية برسوخ النشر الإلكتروني السريع والقليل التكاليف للمجلات العلمية الذي يمثل تحدياً لأرباحها من هذا السوق الضخم حجمًا واقتصاداً؟ وهل سيأتي اليوم الذي ستختفي فيه الغرف المكدّسة بأطنان من المجلدات، ويحل محلها ذاكرة حاسوب أو قرص مدمج؟

وهكذا، وانطلاقاً مما سبق، سيكون من الصعب على الأبحاث المنشورة في مجلات الإنترنت العلمية المحكّمة أن تُقبَل للترقية العلمية في الجامعات ومراكز الأبحاث. وعلى ذلك لا بد من البحث عن حلول تتيح الاستفادة من النشر على الإنترنت من ناحية، وتحقق القبول المطلوب من ناحية ثانية. في هذا المجال هناك توصيتان مهمتان يمكن العمل بهما:

يمتاز النشر الإلكتروني من الورقي بأن الأول يوفر إمكانات المرئيات والصور الثلاثية الأبعاد والصور المتحركة للمعلومات العلمية والهندسية والإنسانية

ـ ترى التوصية الأولى ضرورة العمل على إنشاء مجلات علمية محكّمة جديدة ونشرها على الإنترنت للاستفادة من إيجابيات هذا النشر، ولتوسيع دائرة النشر العلمي بالأساليب الحديثة. وترى هذه التوصية أيضاً ضرورة العمل في الوقت ذاته على توعية أصحاب القرار بشأن اعتماد مثل هذه المجلات، بالطريقة نفسها التي تُعتمد فيها المجلات الورقية، كمجلات يمكن للباحثين الحصول على الترقيات العلمية على أساسها.

ـ أما التوصية الثانية فترى ضرورة وجود مرحلة انتقالية تُنشر خلالها المجلات ورقيًا بالشكل التقليدي، وإلكترونياً على الإنترنت. وهذا ما تقوم به حاليًا بعض مؤسسات النشر العلمي. وعلى الرغم من التكاليف الإضافية لذلك، إلا أن هذا الحل يعطي تمهيداً متدرجاً يمكن بعده الانتقال بالكامل، ودون عوائق من الشكل الورقي إلى الشكل الإلكتروني. وقد يطول أو يقصر قدوم ذلك اليوم الذي ستكون فيه جميع المجلات العلمية المحكّمة إلكترونية الشكل، تطبع مقالاتها ورقياً فقط برغبة شخصية، وعلى طابعة صاحب العلاقة.

المراجع

1 - Alderine E. Sweeney, 2000. Should You Publish in Electronic Journals? Available online: http://www.press.umich.edu/jep/06-02/sweeney.html.

2- Bo-Christer Bjork and Ziga Turk, 2000. How Scientist Retrieve Publications: An Empirical Study of How the Internet is Overtaking Paper Media. Available online: http://www.press.umich.edu/jep/06-02/bjork.html*

3- Peter Lyman, 2000.How Much Information? Available online: http://www.press.umich.edu/jep/06-02/lyman.html*

4- R. Kling and L. Covi, 1995. Electronic Journals and Legitimate Media in the Systems of Scholarly Communications. The Information Society, 11(4), 251-271. Available online: http://www..ics.uci.edu/klingej2.html81.

أطياف

صالح الحميدان
الرياض - السعودية

فراغ

ساءه
المشي في الثياب وحيدا،
ليس فيه
من القناديل
ما يجعل الثياب أجنحة،
والدرب
قمة للمغامرة.

يمامة السفينة

لأنه يمامة السفينةِ
ونبضه شرارة السكينةِ
تداركوا الفخاخ بالضغينةِ
وهيّؤوا الحبال للرهينةِ

الأصدقاء

تصفحت صحبي: ذا غموض الرحابِ
وذاك الذي أوفى رفيع الخطابِ
وجدت الغريب في مياه الكتابِ
وفي ذاك لون من خداع السرابِ

خوف

كان يبكي كلّما شف الورقْ
أو تعالى مدّ موج واصطفقْ
كان ينثو كلّما احمرّ الشفقْ
حكمة الراعي إذا الراعي علقْ
إنه يخشى على دود النسقْ
طيف ضوء قد تراءى في النفقْ

البكاء على الأطلال

يا دارُ هل في صدى الأيام يا دارُ
ذكرى تُعيد فتًى ما أهرَمَ القَارُ
هذا المدى أشهبٌ في فيه سيجارُ
يشقى سعالاً إذا ما هاج تذكارُ
وينشد القوم إن حلّوا وإن ساروا
: وَيْلُمّهَا حالةٌ يجترها الغارُ
في بردها خسرت أوراقها النارُ
لا تستفيق ولو قد ناح إعصارُ

قبر وورد

نعم قد أرى قبرًا دنا من ذرا راسي
وصوتًا من الغرقى يلوذ بأنفاسي
وظلاً يسوس الهم في مستقى كاسي
وجرحًا رمى الآهات من نبض قِرطاسي
سوى أنَ قلبي ذو أحاديث نبراس
إذا ما مضى يشتق آسًا من الناس

ترقب

نجوم نمت في اليأس ليست بعيدة
ولو أنها في البعد حائرة الومضِ
ألست ترى البذور طورًا شريدة
وطورًا تضيء الأرض من باطن الأرضِ

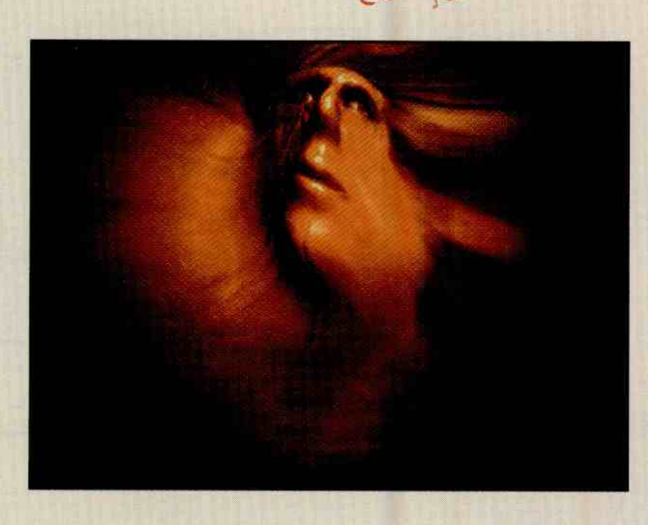
نهج القفار

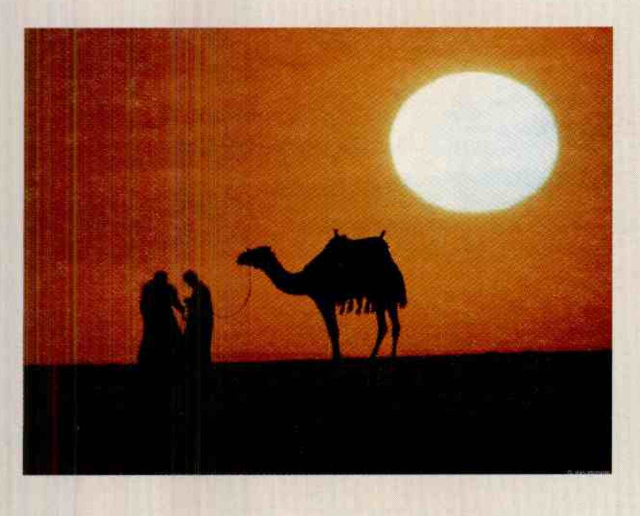
قالت
هموم القفار،
من غير تائهين
بلا درب ولا ماء،
لا ترقص شمسي
ولا يمطو غباري.

قلقي

عبدالله سعد اللحيدان
الرياض ـ السعودية

قلقي
وهو يقلقُ
يندفني قطنةً قطنةً
يتفرّسُ
يعرفُ
كيف متى أينَ
أضحكُ
أبكي
ويعرف وقت التجهّمِ
واللامبالاةِ
يعرف رائحة الروحِ
وهي تلوّن أشجانها بالكلامِ
متى سوف تطفو الجروحْ
غضباً
عتباً
فرحاً أو قلقْ
وهو يعرفُ
إن كنت ألعب في الجدِّ
ألهو بأنقاض نفسي
وأنشط أو أتكاسلُ
أو أتغابى وأتعبُ
أو أحترقْ
وهو يعرف عنّي الكثيرَ
ولكنَّهُ
لا يقولُ
إذا كان يعرف أسبابَهُ
لا يُصارحني
قبل بَدْءِ الغرقْ
بعلاقاته
وارتباطاتهِ
قلقي
لم يكن
ذات يومٍ صريحْ





أراكَ على قلبي

محمد بن الحسين بن موسى

«الشريف الرضيّ»

وكم صاحبٍ كالرمحِ زاغتْ كُعوبُهُ(١)
أبى بعـدَ طولِ الغَـمْـزِ أن يَـتَـقَـوَّمـا

تقـبلّت منه ظاهراً مـتـبلِّجًـا(٢)
وأدمجَ (٣) دوني باطنًا مُـتَـجَـهِّـمـا

فأبدى كـروضِ الحَزْنِ(٤) رقَّتْ فروعُهُ
وأضمرَ كـالليلِ الخُداريِّ(٥) مُظلِما

ولو أنَّني كـشَّـفـتُـهُ عن ضَـمـيـرِهِ
أقـمتُ على مـا بيننا اليومَ مـأتما

فــلا بـاسطًا بالسّـوءِ إن نـالَني يداً
ولا فـاغـراً بالذمِّ إن رابَني فـمـا

كـعـضـوٍ رمَتْ فـيـه الليالي بقادحٍ
ومن حَـمَلَ العـضـوَ الأليمَ تألَّـمـا

إذا أمَـرَ الطبُّ اللبـيـبُ بقطعـه
أقـول عـسـى ضنّاً بـه ولعلّمـا

صـبرتُ على إيلامِـه خـوفَ نقصِـه
ومن لامَ مَنْ لا يَرْعَـوي كـان ألْوَمـا

هي الكفُّ مَضٌّ(٦) تركُـها بعـدَ دائها
وإن قُطعتْ شـانَتْ ذراعًا ومِعْصَمـا

أراك على قلبي وإن كنت عـاصـيًـا
أعـزَّ من القلبِ المطيعِ وأكْـرَمـا

حـملتُك حَمْلَ العينِ لجَّ بهـا القَـذَى
فـلا تنجلي يومًـا ولا تبلغُ العَـمـى

دع المرءَ مطويًا على مـا ذممتَـهُ
ولا تنشرِ الداءَ العـضـالَ فَـتَنْدَمـا

إذا العـضـو لم يُؤْلِمْكَ إلاّ قطعتَـهُ
على مـضضٍ لم تُبقِ لحـمًـا ولا دَمـا

ومن لم يوطِّنْ للصّـغـيـرِ من الأذى
تعـرَّضَ أن يلقى أجلَّ وأعْظَمـا

الهوامش

١ـ زاغت كعوبه: مال سنانه ـ والكعب: هي العقدة بين أنبوبتين، فإن زال كعب الرمح عدّ ذلك عيبًا.
٢ـ متبلّجًا: تقول بلج الصبح: أي أسفر وأنار، وبلج وجهه: تنضّر سروراً. والظاهر المتبلّج هو الظاهر الفرح المسرور.
٣ـ أدمجَ: أضمر وأخفى، من أدمج الشيء: أي لفّه في ثوب أو أدمج الشيء في الشيء.
٤ـ الحزْن: بفتح الحاء وسكون الزاي: ما خشن من الأرض وغلظ.
٥ـ الخُداري: الشديد السواد. ليل خداري أي شديد الإظلام.
٦ـ مضٌّ: ألم أو تألّم، تقول مضّه الجرح أي آلمه.

السارق

رضوان الجبور بني صخر
سحاب - الأردن

مازال الليل يأتي خجلاً، لشعوره بأنه يتستّرُ على عمليات السرقة التي تحدث في أثنائه، إذ إن السارق يختار الليل للقيام بما أَمْلَتْهُ عليه نفسه من واجبات مهمة - أذعرت الجميع - لكن لا يمكن تجاوزُها، ومع هذا فهو لا يفرق بين ليل كانونٍ أَوْ تموزٍ، ويعمل بلا كَلَلٍ أو مَلَلٍ دون أن يترك أثرًا يدل عليه.

لم تكن المدينة المُدللة الرابضة فوق تلّةٍ صغيرة تعلم أنَّ حياتها ستتغير إلى هذا الحد نتيجةً لما يقوم به هذا المجهول، ولم يكن مجيء الليل ليُعَكِّرَ صفو المدينة، فكل شيء يسيرُ بهدوء، الرياح الصغيرة التي تلهو بأغصان الأشجار تهرب بعيدًا، مارة قليلون ذوو أهداف متباينة يُقْلقون راحة الساحة الوسطى الكبيرة ذات الأرضية الوردية والشوارع المرهقة الموصلة إليها، التي استلقت على ظهورها لتأخذ قسطًا من الراحة بعد يومٍ شاقٍ مستخدمين في ذلك أرجلهم وسياراتهم، صوت السكون يختلط برائحة الغاز الناتج من تفاعلات الوقود والهواء الخارج من السيارات اللاهثة التي أضناها الطرادُ طيلة النهار، المُلصقات ذات الألوان الفوسفورية تساعد اللافتات المزروعة على جانبي الطريق على أن تتوهج كُلما مَرَّ عليها الضوءُ المُرْهَق، لكنها سَرْعان ما تذوبُ وسط الليل.

عملياتُ سرقةٍ بسيطةٍ بدأت في المدينة ثُم تطورت وكبرتْ لتطال أرجاءها الواسعة، الأحياء الشعبية المسكينةُ ذات البيوت الصغيرة التي تنتشر على أسطحها الهوائيات لن تَسْلمْ، الحجارةُ السوداء التي تَلفُّ بوابتي المدينة لتبدو كَكُحْلٍ أضفى عليها غَنَجًا يخطف العقول، أخفقت في ردعِ السارق عن أفعالهِ.

- هذا الأمرُ لا يُمكن السُكوتُ عليْه.

- لقد تمادى كثيرًا، ألا يوجدُ رجالٌ في المدينة، ألا يوجدُ أمنٌ.

- على الناسِ ألا يتركوا أشياءهم عَرْضَةً للآخرين دونَ أن يَحفظوها.

ردَّ آخرُ بغضب: الأمر أكبر من السرقة، لقد أصبح يتعامل مع البيوت كأنها غيْرُ مسكونة!.

- إنها عصابةٌ.

- بلْ مافيا!!!

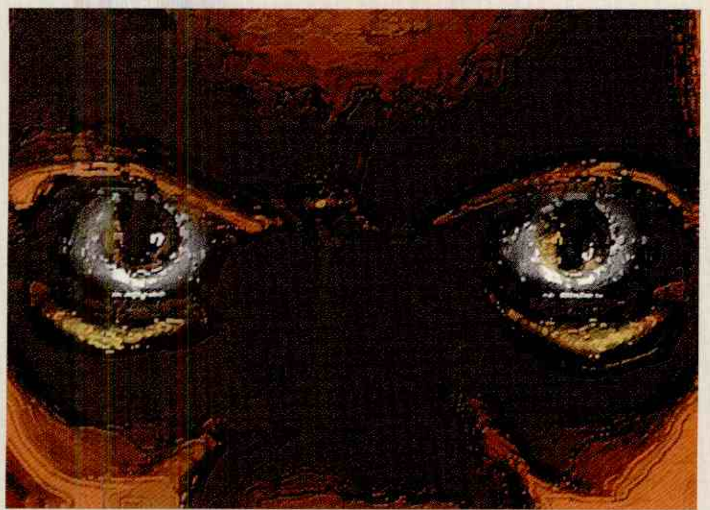
أحاديث كثيرة مشابهة أخذتْ تَسْري في أرجاء المدينة، تُجارٌ وساسةٌ ونفسيون وعاطلون عن العمل وأغبياءُ وغيرهم اشتركوا في نقاشات مطوّلةٍ لا تنتهي، نسوةٌ كثيراتٌ تَرَكن أَلْسِنَتَهنَّ تلوكُ أحاديثَ الشارع. وتتحدث عن قصص خيالةٍ مرعبة جرى تعديلها عدّة مرّات من مجلس إلى آخرَ شملت شَكلَهُ وطولهُ ولون بشرته وسرعته، ومع أن أحدًا لم يجزم برؤيته أو مواجهته، إلا أن كثيرين من محبي جَلْبِ الأنظار لأنفسهم زعموا أنهم شاهدوه، وأعطوا لذلك أوصافًا متباينة، الليل وحدهُ كان يسْخرُ منهم؛ لأنه يعرفُ الحقيقة.

شيئًا فشيئًا كانت أخبار السرقات الصغيرة تتصدرُ نشراتِ أخبار التلفاز، وتخرج من قلوب الصحف لتظهر على وجوهها، تاركةً مساحاتٍ واسعةً تتبارزُ

فيها بإلقاءِ الضوءِ على حديث الشارع وتحليله، كانت الآراءُ تطرح، والأفكار تناقشُ بموضوعية أحيانا ومن دون ذلك أحيانًا أخرى، الشيء الوحيد الذي اتفقت عليه هو وجوبُ التصدي للسارق وإلقاء القبضِ عليه، لكن الليل كان شاهدًا على ولادة المزيد من الصحف مع ولادة سرقات جديدة.

قواتُ الأمن التي تزايد لديها الشعورُ بالحرج كَثَفت من وجودها داخل المدينة وخارجها خاصةً على البوّابتين والمداخل الرئيسة للأحياء، وطلبت إمدادًا من الدائرة المركزية التي استجابت على الفور. الجوائز المالية الكبيرة التي أعلنت عنها شرطة المدينة لمن يفصح عن معلومات تفيدُ في القبض على السارق لم تنفع؛ لأنّ الليل لم يجد أحدًا من أصدقائه يستحق المكافأة ليُخبره بالحقيقة، لكنّه اختار أن يكون عضوًا فاعلاً في عمليات توزيع منشورات وإلصاق أخرى منددة في أماكن مختلفة من المدينة.

الأحزابُ اليمينية واليسارية بدرجاتها المختلفة وقفت صفًا واحدًا، اشتركت فيه النقابات المهنية، ومع أن الأخيرة كانت تودُّ الانتصار للطبقة العاملة التي استباح السارقُ ضعفها، وقضى على أحلامها، داعية إلى وجوبِ القبضِ عليه، إلا أنّ إظهار عيْب جديد للحكومة هو هدفٌ آخرُ ثمينٌ تسعى إليه الأحزاب بقوةٍ، ناتجُ هذا الاتحاد كان اجتماعًا مشتركًا غصّتْ فيه الساحة الكبيرة بالآلاف من السكان الذين لَمْ يمنعهم نقلُ الاجتماع مباشرةً على الهواء للتلفاز والإذاعة من الحضور، كلمات بريئةٌ خرجتْ، وأصواتٌ منددة تعالت، وصراخاتٌ مسعورةٌ أُطلقت، وجماعات جديدةٌ ظهرت متهمةً أخرى. لم يستطع الليلُ الذي جاءَ مسرعًا ذلك اليوم أنْ يوقفْ الاشتباكات التي وقعتْ، بل بدا حزينًا بعدَ تفاؤله؛ لأنه



منحَ فُرصةً للمشاغبين بأن يشعلوا الاشتباكات، إذْ تحولتْ لافتاتُ القماشِ المستنكِرة إلى ضمادات لتخفيف آلامِ الجرحي.

توالى قدومُ الليلِ والسرقات وظهرت مجموعات جديدةٌ نفذتْ إضرابًا مفتوحًا عن الطعامِ، آخرونَ توقفوا عن دَفع الضرائب، قلوبٌ كثيرة أُسرتْ في مناطقَ مجاورةٍ، أجسادٌ ضخمةٌ وقفت مكتوفةَ الأيدي، أجْسادٌ أخرى سجينةٌ قامت بعمليات شَغَب داخل سجن المدينة معلنةً أنَّ نفسها أرْفعُ أخلاقًا من أن تقوم بمثل هذه الأفعالِ، عُقولٌ مثقفة شُلّت عَنْ تقديم شيءٍ سوى بضع أفكار كاسيات عاريات مائلات مُميلات، لا يَعْرفن الواقعَ ولا يَجدْنَ ريحَهُ، وإنَّ ريحهُ ليوجد منْ مسيرة كذا وكذا...

لم يعد غريبًا على السكان ظهور جماعةٍ باسم جديد تدعو لاعتبار ما يجري في المدينة ظاهرة استثنائية، وتطالبُ بوجوب تضافر جميع الجهود لعقد مؤتمر على المستوى الدولي تُشارك فيه مختلف أقطارِ العالمِ للإفادة من خبراتها والقبض على السارق.

لمْ يعد الليل خجلاً لأنه علِمَ أنَّ سرقاتٍ أكبرَ حجمًا، لكنَّها أكثر براءة، تتمُ في ساعات الدوام الرسمي للمدينة دون أن تُحْدِثَ ضجّةً.

الأغنية الدائمة

كاميلو خوسيه ثيلا*

ترجمة: **علي أشقر**

اللاذقية ـ سورية

١

أتحسبني، يا سيد، مجنوناً؟ لا! أستطيع أن أؤكد لك أنني لستُ كذلك، لكنني لن أفعل، ولأي شيء أفعله؟ ألكي أمنحك الفرصة لتصبح ككّل الذين قد يسمعونك: باه! هو كأمثاله جميعاً...

يحسب نفسه عاقلاً وهو مجنون! هي الأغنية الدائمة ذاتها! لا، يا صديقي! لا أستطيع ولا أريد أن أقدّم لك هذه المتعة. أيْسر لي أن تأتيني زائراً وتستنبط النتيجة بأن كل المجانين يؤكدون أنهم ليسوا مجانين. أنا لست مجنوناً، ويمكنني أن أؤكد ذلك، أكرر، لكنني لن أفعل، بل أريد أن أبقيك على شكّك. من يدري إن كان موقفي يجعلك تميل إلى الاعتقاد بسلامة عقلي الكاملة؟

(دُونْ غيِّرمو) لم يكن مجنوناً وإنما محبوس في مصحّ عقلي. لكنّي أقسم، ويدي في النار، على سلامة عقله. لم يكنْ مجنوناً. لكن، إذا دققنا جيداً فما كانت تنقصه الأسباب ليكون كذلك...

وماذا عليه إن ظلّ يعتقد خلال فترة طويلة من حياته أنه رَمْبرنت؟! ألا يوجد بيننا كثيرون يحسبون أنفسهم رمبرنت، وكثيرون آخرون نِلْسون أو غوتِه، وأكثر منهم من يدّعون أنهم نابليون ويسيرون طُلقاء في الشارع؟ دون غيِّرمو أودى به علمه إلى السجن...، هذا العلم الذي يُعنى بتفسير الأحلام، ويزعم أن الإنسان الطبيعي السويّ غير موجود، ويُطلق اسم استشفاء على حالات المجذوبين...، هذا العلم المجرد الذي ينفر من كل ما هو إنساني، ولا يعلم أن إنساناً ما قد يضجر من بقائه مدّة خمسين عاماً متتالية هو ذاته، ثم يخطر له فجأة أنه بحاجة إلى التغيير ويحسّ بنفسه أنه إنسان آخر، إنسان مختلف بل مناقض للأول، له لحية حيث ما كانت توجد لحية، ويضع نظارة أخرى، ويتحدث بلكنة أخرى، ويلبس ثياباً أُخر، حتى إنه يتبنّى أفكاراً أخرى إن شئنا الدقة.

٢

منذ ذلك اليوم، كنت أزور دون غيّرمو كل خميس تقريباً وبعض الآحاد أحياناً. وكان يستقبلني بحفاوة واهتمام دائماً. لأن دون غيّرمو كان سيّداً عظيماً، فقد كانت له هيئة كونت عجوز من العصور الوسطى وجلاله وطلاقة عاداته الريفية. كان طُوالاً، أسمر، ضامراً وذا نظرة قاتمة غامضة.. وكان يلبس على شكل لا يتغيّر سترة سوداء وقميصاً أبيض كان يغسله ويكويه كل ليلة إن لم يره أحد، وكانت تنتظم فوق القميص بعناية ربطة عنق سوداء معقودة، يستقر فوقها على ارتفاع واحد تقريباً شعارٌ صغير من فضة يمثل جمجمة وعظمي الساق يستندان إلى حرفي G.G: غيّرمو غارثر.



كان يبدي اهتماماً بشؤوني على شكل مهذّب. لكنّه كان يُزعج من اهتمامي بشؤونه التي كان يكره الكلام عليها. وكان يكلّفني جهداً مضنياً أن أنتزع منه سرّاً. وإذا بدا له أحياناً أني ظفرْت به كان يوقفني فجأة، وينظر إليّ من قرني إلى أخمص قدمي نظرة إشفاق تغيظني. ثم كان يضع يديه في جيبه ويقول لي:

ـ أتعلم أنك ماكرٌ جداً؟

وكان يضحك مقهقهاً قهقهات ضخمة. وكان عبثاً بعد ذلك استئناف الحديث حول الموضوع المطروح.

٣

في المصحّ، كان يُعامل باحترام، لأنه لم يُثِرْ منذ دخوله ـ وقد مضى على ذلك ما يقارب أربعة عشر عاماً ـ فضيحة واحدة. كان يدخل الحديقة أو الرواق ويخرج منهما متى خطر له ذلك. وكان يجلس على حافّة البركة ناظراً إلى الأسماك. وكان يتفقد ـ وهو يصفّر دائماً بإيقاعات إيطالية قديمة ـ المطبخ أو المغسلة أو المخبر... وكان المجانين الآخرون يقدّرونه. ولم يكن موظفو المصحّ ـ ماخلا الأطباء الثلاثة ـ يصدّقون جنونه.

٤

الأيام تتكرر دائماً. واعترف لي دون غيّرمو ذات يوم، كنّا نتحدّث فيه عن العالم الآخر، أنّه إنْ كان لم يُلق بنفسه في الماء لا يأساً وإنما ضَجَراً، فذلك أنه يخشى فروق الحرارة.

ـ يُثير فيّ القشعريرة أن أتخيل نفسي نصف رأس، نصف طاف في قعر البركة وقد تشرّب قميصي بالماء البارد...، على الأغلب، ستكون عيناي مفتوحتين وسوف تدخلهما أقذاء الماء وتسبّب هياجهما، ألا يجعلك منظرُ غريق ترتعد؟ لكن الأسوأ ليس هنا. تصوّر نفسك أنّ دورك حان بغتةً ومثلث أمام الله، وأرسلت إلى الجحيم لأنك منتحر...، ويأخذ الماء في القميص والحذاء والشعر بالغليان، وتشرع تقفز وتقفز إلى أن يتبخّر الماء، ثم تفتقده بعد ذلك، لأنّ عصارات الجسم تبدأ بالنفاد.

٥

ما إنْ اجتزت الباب يوم الخميس التالي، حتى خرج البوّاب من مقصورته كحلزون من قوقعته وقال لي:

ـ إلى أين أنت ذاهب يا سيّد؟ لقد دُفنَ السيد غيّرمو السبت الفائت، لكن ألم تُعلم بذلك؟ ظهر صباح الجمعة غريقاً في البركة...، كانت عيناه الكبيرتان الزرقاوان جدّ مفتوحتين، وكانت أقذاء الماء قد هيجتهما حتّى بدتا كأنما فُركتا برمل...، كان شبه عارٍ، تبعث القشعريرة في المرء رؤيتُه وقد تشرّب قميصه بالماء البارد...

الهوامش

* ١٩١٦ ـ .. روائي وقاص وشاعر وباحث لغوي إسباني. من أهم أعماله: «سحب عابرة»، و«خلية النحل»، و«مزلقة الجياع»، و«لحن ماثوركا على ميّتين» التي نال عليها جائزة الأدب الإسباني عام ١٩٨٣م. وجائزة أمير آستورياس على كامل أعماله عام ١٩٨٧م.، وجائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩م.

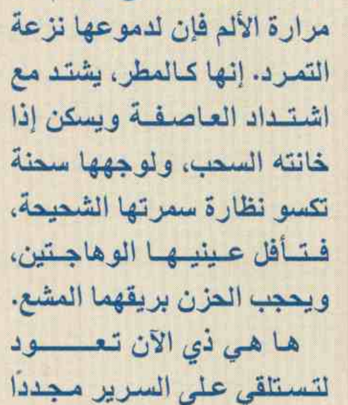
انهيار الصمت

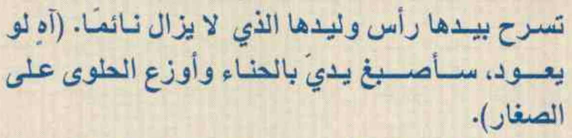
ضياء الجبيلي
البصرة ـ العراق

الشمس في طريقها إلى التسلق إلى عرض السماء، تسللت أشعتها الصفراء من خلال النافذة ولذعت بشفافية ردفي (بثينة) المستلقية على السرير إلى جانب وليدها الذي دخل عامه الرابع. فاستفاقت وشعرت بالخدر وهو يستكين في ذراعها التي كانت تتوسدها. ثم تثاءبت واضعةِ إحدى يديها على فمها المدروع كمغارة صغيرة بينما طرقت بالأخرى على صدرها الذي بان أعلاه كصفيح من البرونز المتلألئ بعد أن غَمَرَتْه الأشعة الذهبية.

ونهضت بعد أن أحاطت رأسها بشال أسود تدلت خيوطه المعقودة على جبينها المندى بقطرات عرق انسالت فيما بعد على وجنتيها المحمرتين. ثم وقفت قبالة النافذة المطلة على الشارع. وتذكرت ذلك الصباح الكئيب الذي غادر فيه زوجها وقد قال لها بعد أن طبع آخر قبلة على جبينها: (سأعود في العام القادم). وهذا هو العام الثالث وهي لا تزال تنتظر، تعصر الحصى بأسنان مستهلكة وتطحن اللاشيء بين راحتيها. تتفرسها الأعين القاسية وثمة أنين مسكون بالريبة وكلمات شاكية تمتد على قارعة اللسان ما إن تبصقها الشفاه الجافة حتى يتزلزل الصمت من حولها فتتجمد اللحظات وتجثو اليقظة على عتبات أعينها التي تشكو الجفاف. وبما أن الألم يكبلها، إلاَ أنها لم تستسلم إزاء تداعيات من هم أقل منها إيمانًا.

(ترى هل تزوج؟) أخيرًا تحركت شفتاها وعيناها ترنوان إلى المارة المنسكبين في الشارع. وعلى الرغم من انقطاعه عن إرسال الرسائل والنقود التي لم تعد تملك منها سوى القليل وهو ما لا تستطيع أن تسد به أجرة الشقة التي أخذت بالتزايد شيئًا فشيئًا. إلاَ أنها تدرك أنه لن يخونها، لكنها طرأت بتلك العبارة بعد إطلالتها من باب وهمي تجهل كيف ولج تصورها من خلاله. كما أنها تعي جيدًا أن طفلهما سيكون حتمًا عائقًا قويًا يحول دون حصول ذلك، بالإضافة إلى شيء آخر وهو الحب، ذلك القبس الذي ترعرع في ظل طقوس لا يمكن له أن ينساها حتى أصبح شعلة مضاءة لا يطفئها نفير الذئاب الخازرة ـ وعلى الرغم من





مرارة الألم فإن لدموعها نزعة التمرد. إنها كالمطر، يشتد مع اشتداد العاصفة ويسكن إذا خانته السحب، ولوجهها سحنة تكسو نظارة سمرتها الشحيحة، فتأفل عينيها الوهاجتين، ويحجب الحزن بريقهما المشع.

ها هي ذي الآن تعود لتستلقي على السرير مجددًا تسرح بيدها رأس وليدها الذي لا يزال نائمًا. (آهِ لو يعود، سأصبغ يديَ بالحناء وأوزع الحلوى على الصغار).

كذلك قالت هامسة بصوت يكاد يختنق في بلعومها، وراحت تكابد وحدتها بأنين لا ينقطع إلى أن اخترق سمعها رنين الجرس، بالإضافة إلى طرقات متشائمة. وبدلاً من أن تتجه إلى الباب لتفتحه هرعت نحو النافذة واستطلعت من خلالها. في تلك اللحظة العصيبة إنما انهار الصمت بشهقة أطلقتها برهبة والتياع.

أخيرًا، عاد المهاجر إلى دياره.. لكن... في نعش..

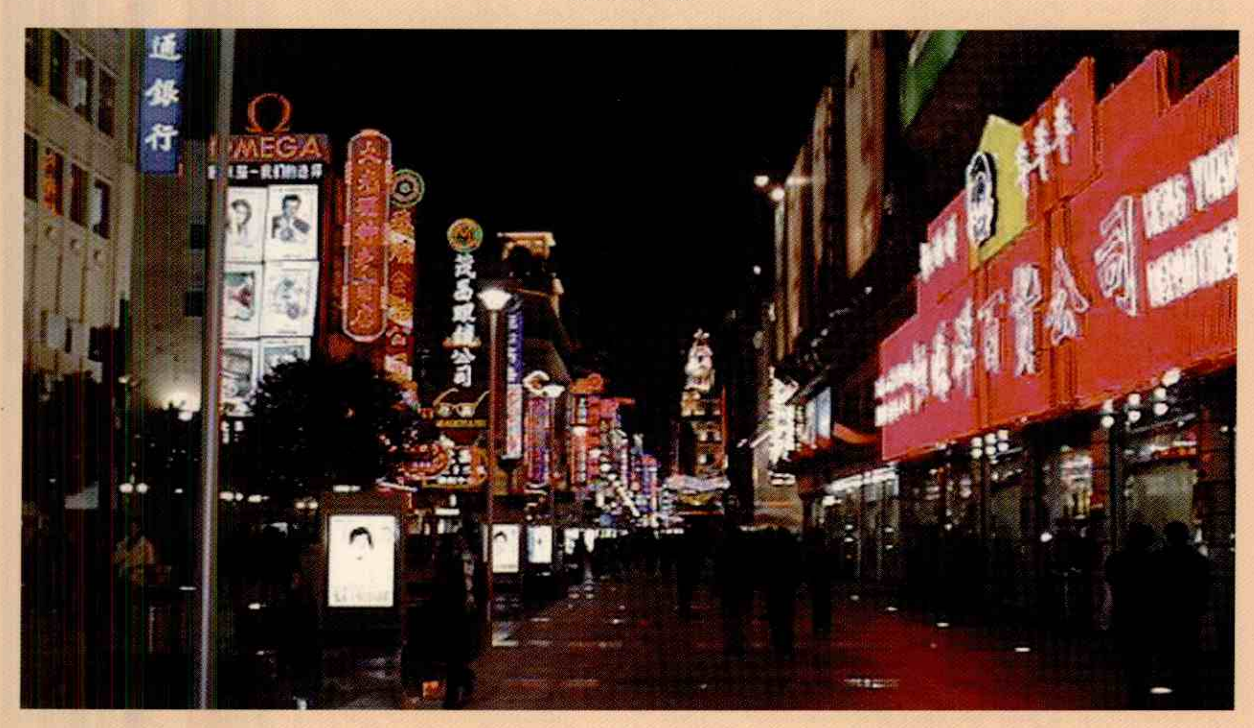


الوجه الجديد للعاصمة القديمة

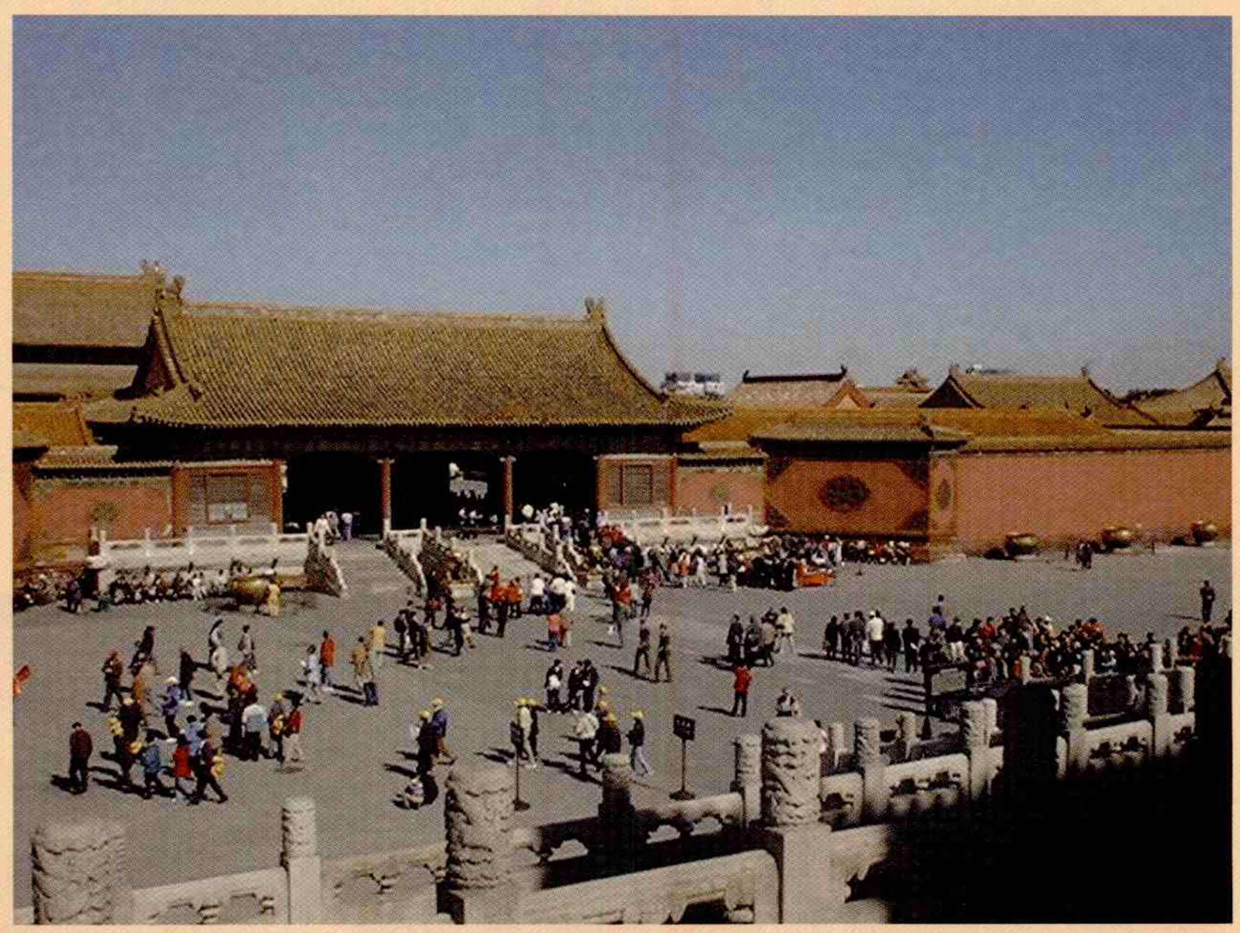
تود كارل

ترجمة: **فؤاد حمد رزق فرسوني**

الرياض - السعودية



خرجت سيدتان من محطة السكة الحديدية تقهقهان مرتديتين قبعتيهما القشيَّتين، وسارتا وذراعاهما متشابكتان بين المباني التي غصَّت سقوفها بأطباق الالتقاط الفضائية، وتوجهتا إلى مجمَّع تجاري حيث انتصبت مسلَّة تعرضُ على كلا جانبيها اللافتات الدعائية وإشارات الطريق، وحملتْ لافتة كلمات كتبت بالصينية: «تقدَّم على طريق بناء الاشتراكية الصينية»، وحملت أخرى الكلمات: «أحفادُ التنين يستخدمون بطاقة التنين»، وهذه تحثُّ المستهلكين على استخدام بطاقة ائتمان مصرفية جديدة. كلتا اللافتتين تتنافسان على كسب حصتيهما من السوق حسب قناعات سكان بكين.



المدينة المحظورة

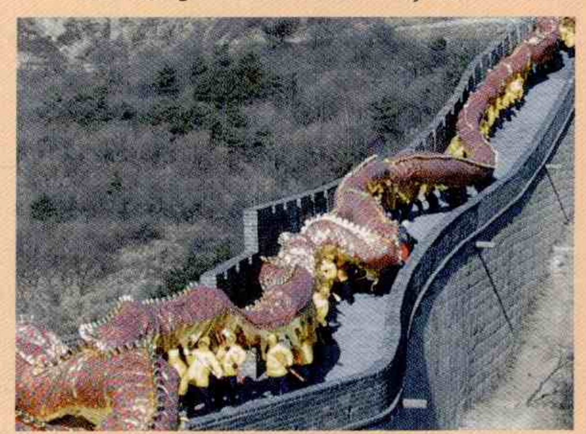
رياح التغيير تهب على بكين

تتقاذف أمواجُ التغيير بكين اليوم، حيث تتصارع التقاليدُ الكونفوشية القديمة المتعلقة بالتربية والقيم الأسرية، مع النزعة المادية الجديدة الطاغية التي تؤكد قيمة المال والتجارة، وحل محل الثقافة البيروقراطية المستهدفة المحافظة على التقاليد حَراك اجتماعي بلا جذور؛ ويعمل الازدهارُ العمرانيُّ على إعادة تشكيل الأكواخ المنخفضة، وإنشاء ناطحات السحاب المتسامقة من الصُّلب والزجاج، وتزدحم الشوارع بحركة المرور بعدما كانت تغص بالدراجات التي يملأ صدى أصوات أجراسها السمع؛ ويختلط الغبار بعوادم المحركات مولّدًا طبقة دخانية ملوثة شبه ثابتة في الجو؛ والبطالة والعَطَل يفضيان إلى الاضطراب؛ وقد أخرج الفساد آلاف المواطنين المحتجين إلى الشوارع. وقال أحد سكان بكين، ممّن مضى على وجوده في أمريكا عقد من الزمان، وكان يزور وطنه بانتظام، إنّ زعماء الحزب الشيوعي كانوا يتحكمون بهم في الأمس، أصبحوا اليوم مديري الشركات؛ لقد كان التغيير هائلاً؛ ويشعر أصدقاؤه وأفراد أسرته الذين كانوا مطمئنين لتوافر الفرص الوظيفية، واستقرار الأسعار بالقلق من طغيان الاقتصاد الذي تحركه الشركات العملاقة، والذي قد يفضي إلى سوء أحوالهم؛ وأضاف الرجل أن من شأن هذا الاقتصاد أن يخلّف أثرًا عميقًا في العلاقات الاجتماعية داخل الأسر وبين الأصدقاء، وفي البنية الاجتماعية كذلك؛ وهناك شعور بالسخط والقلق، غير أن الناس يتكيفون مع الأوضاع المستجدة.

برودةِ الخارج وسخونة الداخل

اكتسب سكان بكين مهارة التكيف على مرّ القرون؛

رقصة التنين في أحد المهرجانات المقامة على سور الصين



مثلهم كمثل أشجار الصفصاف المحيطة بالعاصمة، فقد حافظوا على بقائهم بما يتسمون به من المرونة، ومطاوعة رياح التغيير العاصفة، والارتداد لأوضاعهم السابقة عند عودة الاستقرار.

وعلى مقربة من ميدان تيانانمين وسط بكين، التقى كاتب المقالة مصادفة واحداً من سكان بكين المتكيفين مع أوضاعها الجديدة، وهو سائق عربة عتيقة بعجلات ثلاث تساق كالدراجة اعتاد أن ينفق ساعات اليوم في نقل الركاب في أرجاء العاصمة؛ كان الرجل يتناول ظهر ذاك اليوم وجبته المكونة من كأس الشراب الأبيض الحارّ، وصحن من المعكرونة بلحم البقر، والسجائر؛ أشار للكاتب أن يجالسه على منضدة مستديرة قابلة للطيّ على طرف ممر جانبي تحت ظلال شجرة خرنوب، وقال بصوت عال: إن النقود تشغل بال الجميع، وأضاف أنه لن يسمح لِدنج إكزيا أوبنج لو كان حياً يرزق أن يركب عربته، وهو يشير هنا إلى القائد الراحل الذي بدأ الاصلاحات الاقتصادية في الصين؛ ثم أضاف أنه لن يفكر في أي شيء قاله دنج؛ وكان

الرجل يرتدي قميصاً ثائياً، وحذاء من الكنفا الأسود، وبنطلوناً قصيراً أخضر زاهياً، ولم يكن له بيت ولا أسرة، وينام تحت أحد المعابر الفوقية، ويبدي تذمره من الفساد المستشري والترف والتبذير في أحياء الطبقة العليا، حيث تُفتح الأبوابُ لأبناء موظفي الدولة، ويأخذون المال ويسافرون إلى سويسرا! وينتمي الرجل إلى الجيل الخامس من سكان بكين، وهو لا يبدي أسفه على العيش وحيداً، والسماء غطاؤه والأرض فراشه، ورأى أن من غير المجدي أن يكون له ولد، فالشباب عاطلون. التطفل والإشاعة ظاهرتان معروفتان في شوارع بكين، فبينما كان الرجلان يتحادثان تطفلت سيدة نحيفة ثرثارة كانت قد فقدت عملها في أحد



الطابع الغربي أصبح يغلب على أسواق بكين



إحدى الفنانات منهمكة في «لعبة الألوان»!!

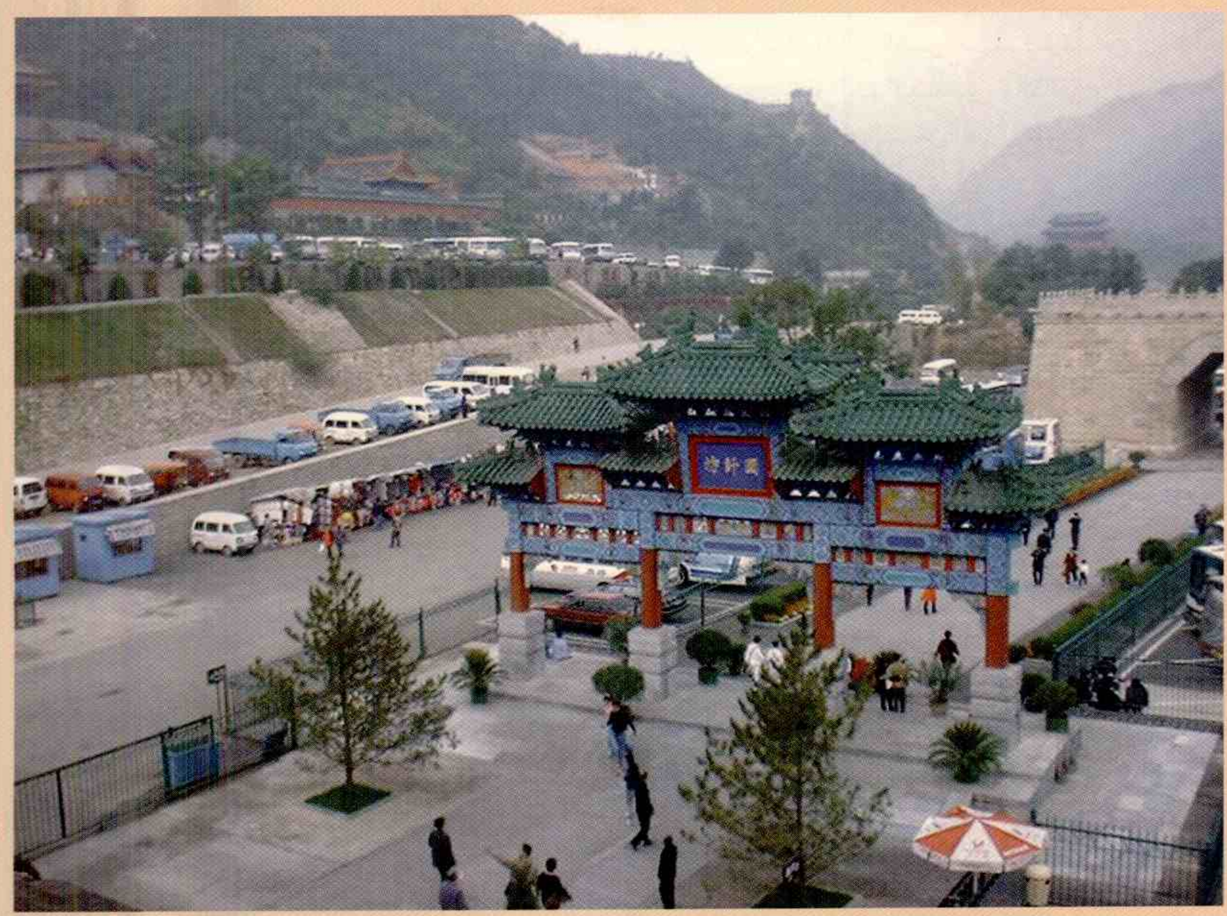
المصانع قبل ستة أشهر، وهي الآن تقدم وتسكب المعكرونة للزبائن من المارّة، فسألها كاتب المقالة هل أنت مرتبكة مالياً بسبب فقدك لعملك في المصنع؟ فظنّت أنه يمازحها، فقالت إنها لم تفقد كرامتها بفقد عملها، وإن هناك قرابة ثلاثمئة ألف عامل في المدينة فقدوا وظائفهم، وإنه لا داعي للارتباك.

ويعلّق كاتب المقالة أن هذين الشخصين يواجهان ظروفاً حرجة، لكن ذلك لم يؤثر في مزاجهما الهادئ، وهما يعرضان نموذجاً من حياة بكين. وأخبر الكاتبُ أنه زار المدينة قبل عقدين من الزمن، والتقى أحد الموظفين وقال له: إن الناس هناك كالتّرمس، يظهر عليهم البرود من الخارج، ويحتفظون بحرارة انفعالاتهم في الداخل. وعلى الرغم من تحفظهم، فإنهم يُقْبلون على التحدث عند سنوح أول فرصة تشجعهم على الحديث؛ وهم يرغبون في الحديث عن الحياة في الغرب، والسياسة، والثقافة، والشخصيات؛ وقد وجد الكاتب أن سكان بكين يتّسمون بروح الضيافة والكرم، ويتّصفون بالصراحة، بل بالوقاحة والعناد، كما يبدو من نكاتهم عن صحيفة الشعب اليومية الشيوعية، فقد قالوا عنها: إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن تثق فيه هو تاريخها! ووصفهم الكاتب أنهم خشنون خشونة جلد التنين؛ إنهم الباقون في مدينة شهدت ظهور حكام كثيرين وسقوطهم.

شيء من التاريخ

من ناحية تاريخية، برزت بكين عاصمةً لأسرة لياو الحاكمة في القرن العاشر؛ ثم دخلها غزاة الجرشين، وتبعهم المغول بقيادة جنكيز خان الذي غادر العاصمة وهي تحترق؛ وأُعيد بناؤها من جانب الأسر الحاكمة المتتالية: كأسرة منج وكنج؛ ثم جاء القوميون، والقوّاد العسكريون، والمرتزقة، واليابانيون الغزاة، وأخيراً سيطر الشيوعيون بقيادة ماو بعد حرب أهلية دموية.

وتبدو الأنصاب التذكارية الضخمة التي بناها ماو على الطراز السوفييتي باهتة وعتيقة، تخطف الأنظارَ عنها الأنوارُ المتلألئةُ للافتات مطاعم ماكدونالدز، ودجاج كنتاكي المقلي، والألوف من المطاعم الخاصة



الطريق إلى سور الصين

الجديدة الأخرى، وقد امتدت على الشوارع المجاورة المقابلة لها خيوط أضواء شجرة عيد الميلاد في جو مفعم بالحيوية.

وقال أحد سكان بكين: إن المدينة القديمة لم يعد لها وجود في نظره؛ فالمعالم القديمة كمنطقة المدينة المحظورة والمعبد أصبحت اليوم متناثرة بين ناطحات السحاب كالدمى المطروحة هنا وهناك؛ وغدت بكين القديمة ممزقة الأوصال؛ وكان الكاتبُ يحادث مرافقه الصيني الذي كان يسير بدراجته في الأزقة حيث ارتفعت سحابات غبار الآجر، وأصوات المجاريف، ونقل الصُّلْب مقدمة الدليل على الازدهار الاقتصادي لبكين.

قديم وجديد

ومنذ تجربة دنج إكزاوبينج في تأسيس شركة حرّة قبل عشرين عاماً، شهد الإنتاج الصيني نمواً متصاعداً ثابتًا بمعدل عشرة بالمئة سنويًا، على الرغم من تراجعه في السنوات الأخيرة التي شهدت تخفيضاً في أسعار العملة. وقد تضاعف دخل الفرد السنوي في المدينة، منذ عام ١٩٩٠م ليتجاوز ستمئة دولار؛ غير أن الأسعار قد ارتفعت، وطغى وجود الاستثمارات الأجنبية في البلاد؛ واندفعت الشركات المحلية راغبة في كسب نصيبها من هذا السوق الضخم على أمل أن تخفف الحكومة الصينية من قيود أنظمتها التجارية الصارمة.

إن الطفرة العمرانية في بكين تعمل على زوال المظهر المميز للمدينة القديمة وهو وجود الأكواخ المنخفضة التي بقيت قرونًا صامدة أمام رياح التغيير، وتخترق هذه الأكواخ المسورة قلب بكين السكني من الأمام والخلف، حيث تجري الحياة على طبيعتها هناك، فترى مُصلّح الدراجات المتجول يعمل في ظل شجرة،

وشاحذ السكاكين يصقل شفرات المُدى، والإسكاف يسمّر كعبًا جديدًا لحذاء زبون على الرصيف.

وبقي في المدينة القليل من المجمعات السكنية القديمة للعائلات، معظمها يعيش فيه أبناء ثلاثة أجيال معًا خلف أسوار سميكة من الطوب الأحمر، محمية من دخول الغبار والزوار غير المرغوب فيهم. وقالت «يي إكزياومو»، وهي تنظر إلى فناء دار العائلة حيث تناولوا الشاي في الظل الوارف لأشجار البرسيمون والليلك: إن ذاك المكان هو جنتهم، إنهم موجودون فيه، إنه مقرهم؛ وتعرف عائلتها الفصول من أزيز الزِّير، وإزهار التفاح البري.

إن تلك المجمعات السكنية قد أصبحت نادرة على نحو متزايد؛ وتعمل إدارة المدينة على ترحيل قرابة مليونين ونصف المليون من سكان بكين الذين يبلغون أحد عشر مليونًا إلى الضواحي للتخفيف من ازدحام المدينة. وقد أخبر أحدُ المحافظين «الكاتب» أن خمسة وعشرين كوخًا فحسب من ألفين وستمئة من أكواخ المدينة قد يكتب لها البقاء، أي إن أقل من واحد بالمئة من المنازل القديمة سيسلم من الهدم.

ويفسح برنامجُ إعادة التوطين المجال لإنشاء مراكز سياحية جديدة ومجمعات شقق غالية، وأسواق كبرى تستقطب ثروات بكين الطارئة والاستثمارات الأجنبية.

كوخ أقدم من تاريخ أمريكا

وقال زهاو جنجسين: إن بكين ستصبح بعد فترة وجيزة مثل كوالالمبور؛ وكان زهاو رجلاً أنيقًا في الحادية والثمانين من عمره، وشوهد في ساحة كوخه في «شارع متحف الفنون الجميلة الخلفي رقم ٢٢»، وكانت



السياح ونزهة في سور الصين أحد أهم معالم بكين

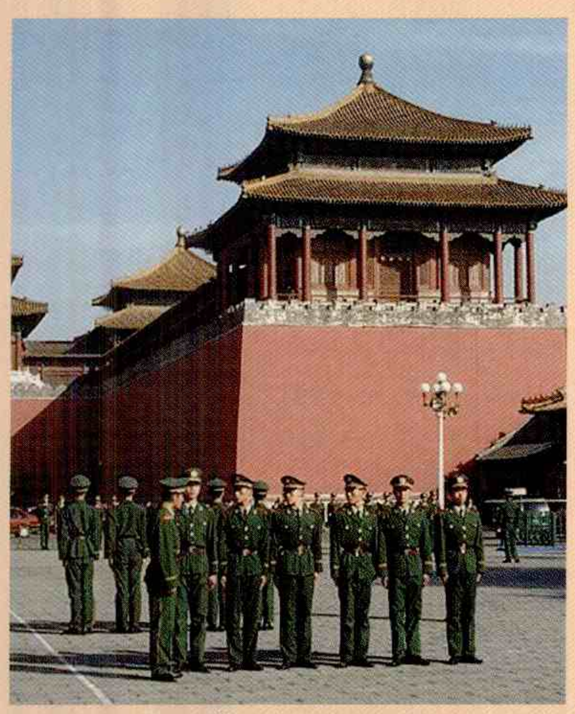
اليعاسيب تئزّ تحت شجرة الجوز في فناء منزله حيث اندفعت هرة صغيرة بين الورود المنسقة؛ ويرجع تاريخ منزل زهاو إلى زمن أسرة كنج الحاكمة عام ١٦٤٤م؛ أي إنه أقدم من تاريخ الولايات المتحدة على حد قول زهاو. وعلى الرغم من تاريخه التالد، فإن منزل زهاو الذي أصبح محاطاً بواحد من مظاهر تطور المدينة الجديدة قد تقررت إزالته؛ وقال الزهاو بمرارة: إنهم لن يستطيعوا أن يشيدوا مبنى يضاهي «المبنى الرسمي للإمبراطورية»، وإنهم سيندمون فيما بعد على ضياعه. وترك الكاتب زهاو وشق طريقه إلى المنطقة الضيقة المجاورة حيث حوّلت الجرّافات المنازل إلى ركام ووقفت وسط الوحل؛ ورأى الكاتب خلف السور الشمالي لمنزل زهاو حفرة في الأرض، تشير إلى مشروع إنشائي على طريق سريع جديد ممتد من الشرق إلى الغرب أطلق عليه اسم: شارع السلام؛ وكانت الأرض الممهدة هناك تقود إلى كنيسة بروتستانتية مبنية من الطوب؛ وقد بدت مهجورة في موقعها المقفر، ولكن شوهد فيها بضع مئات من المتعبّدين في أحد الأيام يرددون عظة عن الحياة الأبدية، ثم حنى القس رأسه وتقدم رعايا الكنيسة للصلاة.

وقالت أبرشيةٌ: إنّ عليهم أن يصلّوا لأن كنيستهم سوف تتفكك في وقت ما، وفي الخارج، تجاذب الكاتب أطراف الحديث مع أبرشيةٍ هزيلة طلت أظافر قدميها بالأزرق، وارتدت حذاء منبسطًا، وسرعان ما قاطع حديثهما امرأة أخرى ذات نظرات حادة أقحمت نفسها لتشاطرهما الحديث، فقالت بصوت مرتفع: إن الألفية الجديدة مقبلة، وإن العالم يقترب من النهاية، وإن الناس في كل أرجاء الأرض فاسدون.

وغادرت هذه المتنبئة سوء العاقبة للبشر بسرعة كما ظهرت، تاركة الكاتب متأملاً في الكيفية التي سيواجه بها سكان بكين القرن الجديد مع الأخذ في الحسبان الاضطراب الذي ساد في القرن الذي انقضى.

صور من الحياة

لقد عرف سكان بكين الحرب، والاضطرابات، والتتابع المذهل للتحولات السياسية؛ وعلى الرغم من



الطابور الصباحي في ساحة تيانانمين

ذلك فقد تمكنوا من المحافظة على كرامتهم ومواجهة كل الظروف، وقد ساعدهم على ذلك الحياة الأسرية، وروح السخرية اللاذعة، كما أن كثيراً من سكان بكين متشبثون بالطقوس القليلة التي تسبغ النظام والمعنى على سلوكياتهم. وعندما يبزغ نور الصباح، يذهب الناس إلى متنزهات بكين مرحبين بطلوع نهار جديد، ويعْدُون أو يتمطّون أو يرقصون لتنشيط أنفسهم؛ وما يزال المواطنون المسنّون يأخذون بممارسات التنفس البطيء العميق، والتأمّل وفق أسلوب «كي جونج»، أو يؤدون حركة منتظمة تشبه رقص الباليه المريح، بينما يجتمع آخرون منهم على المقاعد المظللة منهمكين في القيل والقال، أو متصفحين للصحف، أو مردِّدين ألحان أوبرا قديمة، إنهم يتأملون عقلياً في دواخلهم لتحقيق أنفسهم؛ أما الشبان فينظرون إلى الخارج.

وفي منطقة التسوق في «إكزيسي» وقفت إحدى موظفات المتجر واسمها إكزو كي تراقب الزبائن في «محل باريس للعرائس»؛ وكان فيه سيدة ترتدي ثوب الزفاف الأبيض تنتظر الفراغ من ربط شعرها بإحكام

على شكل كعكة، بينما كان خطيبها المرتدي تكْسا (سترة سوداء) يتأهب لالتقاط صور الزفاف؛ وقالت إكزو كي التي لم تبد اهتمامها بالزواج: إن العروسين يتكلّفان ما بين ١٠٠٠ - ٦٠٠٠ يوان (١٢٠ - ٧٢٥ دولارًا) في اليوم؛ وأضافت أنها لن تفكر بالزواج. قبل أن تبني أساسًا اقتصاديًا يُعوّل عليه؛ وأشارت إلى خطتها مواصلة العيش مع والديها لتوفير النقود ولتستعد على نحو ملائم لاختيار القبول في الكلية؛ وذكرت أن عملها مؤقّت، وأنها سوف تستخدم ذكاءها للمضي قدمًا في بناء نفسها، وكانت تفكر بمغادرة البلاد ذات يوم، وأعربت عن إعجابها بالثقافة الغربية، لأنها تبدو طبيعية!!!


جانب من متحف بكين الوطني

إن شعورها الذاتي يجسد شخصية كثير من شباب بكين الذين تمت مقابلتهم؛ ويعكس ذلك الشعور تجذّرًا في تقاليد الماضي، وإصرارًا على تنمية الشخصية، وطموحًا واستقلالية، وتطلّعا لرؤية العالم من حولهم؛ كانت تلك الشابة تعملُ على تنمية معلوماتها ومهاراتها، وهي تفكر بالمستقبل، وقابل الكاتب في المدينة مين وانبلو وكان في الخامسة والسبعين من عمره، ويعيش لحاضره، وخرجَ في الصباح للمشي ومعه عصفورُهُ المدلَّل؛ وكان يمشي الهوينى باسترخاء في شارع أحاطت به صفوف أشجار الجنكة والصفصاف والصنوبر، حاملاً قفصًا جميلاً من الخيزران مغطى بقماش أزرق؛ ثم علق القفص بغصن شجرة، وفتح الغطاء وتبسم وهو يرى طائره المدلل، الدُج، مرحبًا بالصباح بسقسقته وتغريده؛ لقد فرغ مين لتوّه من إعطائه فُطورًا من الفول السوداني المسحون ومح البيض والجوز والحشرات، إضافة إلى شريحة من الخيار المتبل.

وبينما كان الطير يغرد، انصرف مين إلى التأمل في حياته المتغيرة منذ أن كان شابًا يعمل طباخًا في بكين؛ وهو، كسائر أبناء جيله الذين عاشوا حياة صعبة على شفير الفقر، ما يزال يعتز بالماضي عندما كان الرجل يستطيع أن يقوم بمفرده بالعمل الذي يقوم به ثلاثة شباب على الأقل في الوقت الحاضر؛ لقد كانوا يعملون بجدّ، بينما ينهمك شباب اليوم في التفرّج على الآخرين وهم يعملون ولا يهتمون بالعمل؛ ثم عطف رأسه للخلف وضحك، وأضاف أن كل ما يرغب فيه شباب اليوم هو المأكل الحسن، والملبس الحسن، وكان مين يرتدي ملابس بسيطة، بنطلونًا قصيرًا وكنزة تائية بيضاء؛ وهو لا يمعن في تذمّره، وتعلَّم من الحياة أن تكون تطلّعاتُهُ متواضعة؛ ومتعته في الأشياء الصغيرة كالطائر الغرّيد.

راقب الكاتب ذات صباح امرأةً ترتدي ثوبًا طويلاً أزرق، وتضع قناعًا على وجهها


مبنى ينم على شخصية بكين الفنية



مرفأ سياحي في بكين

وقد سارت مثيرةً للغبار في شارع «السلام الدائم»، ثم برزت امرأة أخرى تبيع الصحف من الجهة المقابلة وسلكتْ الشارع نفسه وهي تقرأ بصوت عال عناوين الأخبار الرئيسة، ومنها أن شين إكزيتونج قد حُكِمَ عليه بالسجن ستة عشر عاماً، وأعطتْ الكاتب نسخة من الصحيفة؛ كان شين قبل اعتقاله رئيس بلدية بكين وعضو اللجنة التنفيذية الحاكمة للحزب الشيوعي؛ وقد حكم عليه بالسجن لاختلاسه نحو أربعة ملايين دولار من ميزانية المدينة لبناء فيلّتين (دارتين) حيث كان يستقبل فيهما الأصدقاء والشركاء من أصحاب الأعمال، وينفق بإسراف على حفلات استضافتهم؛ ويضيف الكاتب أنه سمع من أحد سكان بكين أن الجريمة التي اقترفها هي التعاقد لتطوير منطقة مختارة من بكين القديمة مع أحد أرباب رؤوس الأموال من هونج كونج اسمه لي كارشينج؛ استثمر «لي» وشركاؤه قرابة مليوني دولار في «الساحة الشرقية»، وهي مجمع شامخ يقع على جانب شارع «السلام الدائم» في حي «وانج - فوجينج» المجاور، وهو الحي التجاري المزدهر في بكين. حتى في مدينة معروفة بمبانيها العملاقة، فإن مساحة هذا المجمع تعدّ هائلة؛ فأرضيته مكونة من مئتي أكَر (الأكر acre نحو أربعة آلاف متر مربع)، وهذا المجمع سوف يجعل «بوابة السلام المقدس» تبدو أصغر، وهذه البوابة هي المدخل الرئيس إلى المدينة المحظورة القديمة التي كان يعيش فيها الأباطرة في الماضي عيشة مرفهة في عزلة عن بقية الناس.

وقال فان ياوبانج، المتخصص في تخطيط المدن: إن الجميع يعتقدون أن المجمع كبير جداً، لكن ذلك ليس جريمة من ناحية قانونية؛ وأضاف أن هناك خطأ ما في فهم الموظفين الرسميين للحقائق الإنشائية للمجمّع؛ فالمشرفون على تطوير المدينة لم يخطر ببالهم أن المجمع سوف يكون له أثر عميق في المدينة القديمة؛ فهم لا يعيشون فيها، ومن ثم لا يعرفونها جيداً، وإن مشروع المجمّع الضخم سوف يحطمها.

ويعترض بعض منتقدي «الساحة المشرقية» على اختيار موقعها لأسباب تقليدية تاريخية، لأن منشآتها ستشوه الحزام الطبيعي الشمالي - الجنوبي الذي أقيمت عليه المدينة قبل زمن طويل؛ ويمتاز التصميم الأصلي لموقع المدينة، علاوة على منطقيته، لارتباطه بفن الكهانة (التنبؤ بالمستقبل) الصينية القديمة، المسماة «فينج شْوِي»، أو «الرياح والماء»، وتذهب فكرتها إلى أنَّ مواقع المباني ينبغي أن تكون قريبة من الموارد الطبيعية للاستفادة من الطاقة الكامنة في كل الأشياء؛ وهكذا فإن الموقع المناسب للمنزل أو المعبد يعمل على اجتذاب الطاقة الإيجابية، والحظ الحسن، ولكن الخطأ في تحديد الموقع له نتائج معاكسة، وهو جلاّب للكوارث.

وبغض النظر عن كون هذه المعتقدات خاطئة أولاً، فإنه يبدو أن التحالف بين المشرفين على التطوير وقادة الشيوعيين في بكين يواجه بعض الإشكالات؛ فالحزب يقوم أحياناً بحشد الأموال العامة إلى جانب الأموال الخاصة للمستثمرين الأجانب، ويخططون لبرنامج إنشائي طموح لتطوير البنية الأساسية في أرجاء بكين، بما فيها الطرق السريعة الجديدة، ومباني المكاتب، ومستشفى جديد، وخط لنقل الغاز الطبيعي؛ لكن أوضاع الطفرة العمرانية تشير إلى تراجعها نتيجة للإفراط في البناء.

وتجدر الإشارة إلى أن نحو ثلث المساحات في المكاتب ومجمعات الأسواق التجارية التي أُنشئت حديثاً غير مستخدم حسب أقوال مخططي المدينة؛ وقد أُغلقت تسعة مجمّعات تجارية في بكين نتيجة لمواقعها غير الملائمة، وإدارتها السيئة، أو الإفلاس.

بطل أم محتال؟!

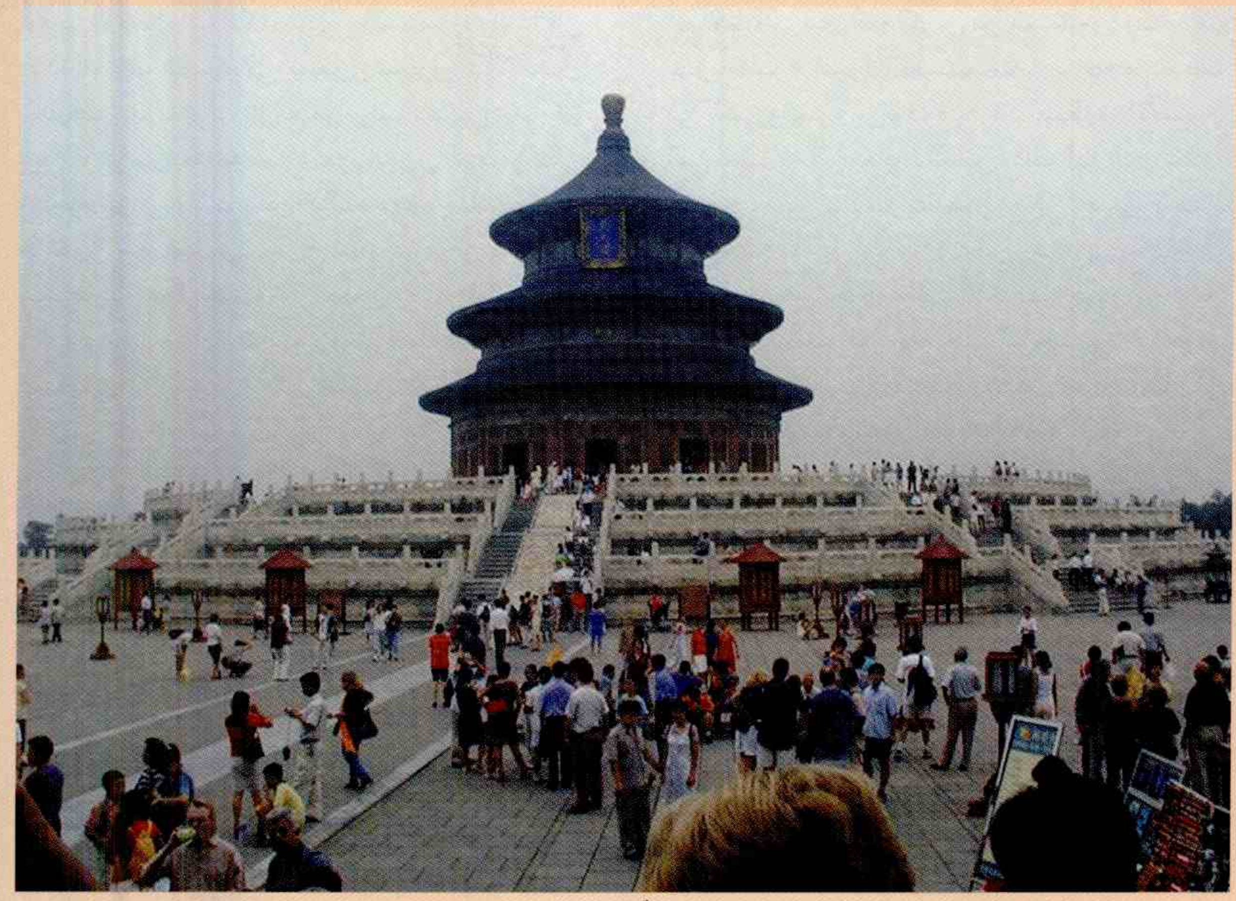
ويجري بيع (الفيلات) المسوّرة في ضواحي المدينة على نحو بطيء؛ ولا تزعجُ كل هذه الأوضاع مو كيزهونج، وهو أحد الرأسماليين الصينيين الذي يعدُّ نفسه (ديمقراطياً) ومن روّاد الاقتصاد السِّلعي في بلاده؛ وقد قَدِمَ إلى بكين من مقاطعة «سيحون» قبل أكثر من عقد من الزمن لأسباب تجارية؛ فكان تحركه مشابهاً لبداية طفرة الازدهار في الصين؛ وقال: إنّ وجود الشخص في بكين يُدْنيه من مصدر السياسات ومواقع اتخاذ القرارات، ومن ثم يوفر له المعلومات التي تمكنه من الأخذ بأسباب الحيطة لتجنب عوادي الأوضاع الحرجة.



بورتريه في الهواء الطلق

وكان مو رجلاً لطيفاً، ويتّصف بشبه غريب «لماو زيدونج»، زعيم الحزب الراحل، وقد أثْرى «مو» تدريجياً من شحن الساعات ذات النوابض «الزنبركية»، وآلات الخياطة والدراجات التجارية من سيحون إلى شنغهاي.

وذكر مو مقومات النجاح فقال: إن النجاح في هذه البلاد [الصين] يستدعي تفهم المشاعر الوطنية. إنه رجل عصامي مثابر، وقد نشر الكتب حول نظرياته في التجارة؛ ويبدي سخريته من مقاولي مشروعات التطوير من أمثال لي كا - شينج واصفاً إياه بأنه متطفل على الأعمال التجارية؛ وأضاف أنه لو كان «لي» متفهماً للمشاعر الوطنية فإنه لن يُقْبِل على بناء الساحة المشرقية؛ وأردف أنه يفكر في بناء نظام اقتصادي جديد؛ وكان قد انتهى من استيراد الثلاجات الكورية،



ساحة معبد السماء

ومقايضة حمولة قطارات من لحم الخنازير وجلود الخراف الصينية بالطائرات الروسية، كما ساهم في مشروع تجاري صيني روسي في مجال التوابع (الأقمار الصناعية)؛ ويتباهى بخططه لبناء مدينة حدودية جديدة بين منغوليا الداخلية وروسيا، وسوف تكون هونج كونج الشمال؛ وفي الوقت نفسه يرنو إلى إقامة مشروعات تجارية في المكسيك، تجتمع فيها الخبرة التقنية الصينية مع اليد العاملة المكسيكية لإنتاج الدُّمى والآلات الحاسبة لبيعها في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد رُمي مو بتهم الاحتيال، وجرت محاكمته قبل فترة قصيرة لاحتياله في الحصول على قروض ضخمة؛ و قال أحد منتقديه: إنه من المتعذر الحكم على مو بأنه بطل أو محتال!

واستنكر «مو» أن يُتهم بالاحتيال في صفقات الطائرات، والثلاجات، وأن يُقال عنه: المحتال رقم واحد في العالم! ثم أرسل المتحدثُ نظراته عبر أشجار الصنبور على جوانب «معبد تانشيه» القديم وانفجر ضاحكًا. وعندما هدأ واصل حديثه عن عوائد المشروع التجارية في الصين. وقال: إن الصين تتمتع بقدر من الاستقرار أكثر من الهند، حيث يعيش الناس في الصين في دولة دكتاتورية ولا يستطيعون تغييرها، وإنه لو جرت محاولة لإسقاط الحزب الحاكم في الصين، فإنها ستتمخض عن صراع عنيف من شأنه أن يجرّ المجتمع للوراء!

إن الاستقرار محور اهتمام ثابت لحكام الصين التي يصل تعداد سكانها إلى ٢ر١ بليون نسمة؛ ويخشى قادة البلاد أن العامل السكاني يمكن أن يشل السيطرة في

أوقات الاضطراب الاقتصادي والسياسي؛ ولهذا فإن قادة الحزب الحاكم في الصين يشعرون بالانفعال والترقّب عند اقتراب الرابع من يونيو/ حزيران في كل سنة، وهو مرتبط بمناسبة هجوم الجيش الصيني على المتظاهرين في وسط بكين؛ فذلك الهجوم المدجّج ضد مواطنين مجردين من السلاح أسفر عن مقتل نحو ألفي شخص، وحدث عام ١٩٨٩م بعد مظاهر الاحتجاج السلمية في ميدان تيانانمين وما حوله ضد الفساد الحكومي المستشري، وكان قد مرّ على تلك التظاهرة أكثر من ستة أسابيع.

انتقاد واعتذار

كاتب المقالة رئيس مكتب بكين ومراسل إخباري لهيئة الإذاعة الأمريكية ABC؛ وقد غطى الحدث، والاحتجاجات المتعاقبة في كل مناسباته.

وفي يونيو/حزيران عام ١٩٩٢م، أي بعد مرور ثلاث سنوات على البدايات الدموية لذلك الحدث، أرسل الكاتبُ تقريراً لهيئة الإذاعة الأمريكية حول رجل حضر إلى ميدان تيانانمين لرفع راية الاحتجاج، لكنه اعتُقلَ لإزعاجه السلطات، وأودع مستشفى الأمراضَ النفسية منذ ذلك الحين؛ وقد عوقب الكاتب بشدة بسبب تقريره عن ذلك الرجل، فقد ركله ولكمه رجال شرطة متخفُّون يرتدون ملابس عادية، وقام أحدهم بضرب رأسه بكيس من الصخور؛ وقد خلّف ضربه المبرح أضراراً مستديمة له، ويواجه صعوبات في المشي والجلوس والوقوف؛ وقد اضطرته الأضرار التي لحقت به إلى مغادرة الصين، ذلك البلد الذي عشقه وأحبه. وشعر بالذعر عندما رجع إلى الصين لإعداد هذه المقالة للذكريات المريرة حول كراهية السلطات الحكومية هناك للمراسلين الأجانب؛ غير أنه أحسَّ بالراحة للطف المعاملة التي لمسها من المواطنين العاديين، وشعر بالارتباك للاعتذارات المفرطة التي تلقاها بسبب ما ألمّ به من أذى من قبل.

وهكذا، فكما كان قد انتُقد قبل سنوات بسبب بعض تقاريره المتلفزة التي آذت الشعب الصيني بكامله، على حد زعم الموظفين الشيوعيين، فإنه الآن يتلقى اعتذارات خاصة من بعض الموظفين بالنيابة عن الشعب الصيني بكامله.

كما سمح له بالعودة إلى ميدان تيانانمين لشيء واحد فقط هذه المرة وهو مشاهدة مهرجان رسمي يشارك فيه جنود من جيش التحرير الشعبي في احتفال لنصب العلم.

ذكريات مؤلمة

وكان السيّاح الصينيون الزائرون لبكين من المقاطعات الأخرى يتفرجون أيضاً، وقد أثار المشهد



معرض للصناعات الخزفية

الروعَ في نفوسهم؛ وقد حاول الكاتب تعرّف حقيقة مشاعرهم، فاستفسر من سائحة - واسمها جوان يينج وتعمل مدرسة في إحدى مدارس الأحداث العليا في مقاطعة جيانغسو - عن مشاعرها حول ميدان تيانانمين، فأجابت دون تردد أن ذاك الميدان رمز للصين؛ وهي كغيرها من مواطني مقاطعات الصين الأخرى، لا يثير المكان الشؤم لديها، وكان مصدر اعتزاز عندها، خاصة أنه واقع في قلب عاصمة بلادهم؛ ثم غادرت لترى المواقع السياحية الأخرى؛ ولو أنها استقلت الحافلة لتعبر من «بوابة السلام المقدس» فلربما قرع ذاكرتها صدى دوي سير الدبابات الذي خلّف آثاره الواضحة يومًا وسط الطريق، كتذكار مرعب لمذبحة عام ١٩٨٩م؛ وحتى هذه الآثار فإنها قد أُزيلت لتحلَّ محلها آثارُ العيد الخمسين للحكم الشيوعي في أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٩٩م.

من المتعذّر أن تَمَّحي ذكرى ذلك الهجوم المباغت على الميدان في أذهان بعض سكان بكين، الذين يشيرون إلى مذابح الرابع من يونية/حزيران بكلمتي «كاي كيانغ»، اللتين تعنيان «إطلاق النار» على المواطنين، وإجمالاً فإن الناس يتحدثون بصراحة عن الحدث؛ لكن الكاتب لاحظ أنهم يكفون عن الحديث عنه إذا شعروا أن أحدًا يتنصت، ويشعر بعضهم أن من الواجب إخبار السلطات الرسمية عن اتصالات الأجانب غير المصرّح بها. أما هؤلاء المواطنون الذين يتحدّون النظام ويفندون أخباره الملفّقة عن الأحداث ويكشفون حقائقها، فإنهم يواجهون التهديد والترحيل أو الحبس؛ وصادرت السلطات السجلات المحوسبة التي كان يحتفظ بها بعض مناهضي النظام الشيوعي وقوائم مناصريهم.

وما يزال الشيوعيون يشعرون بالهلع من قيام أي نشاط جماهيري مناهض لهم، ولهذا السبب فإنهم قاموا باعتقال المئات من أتباع مجموعة (فالون جونج)، التي تزاول رياضة التنفس، وتمارس الطقوس بحثًا عن السعادة الروحية.

وقد قامت الدولة بحملة عنيفة ضد أنشطة هذه



من الأوبرا الصينية



مظلات شمسية مزخرفة

المجموعة عام ١٩٩٩م على الرغم من أن كثيرًا من أعضائها من المسنين.

إن جماعة «فالون جونج» قد قاموا بفعل لم يخطر ببال، عندما احتجوا ضد تدخل الحكومة في شؤونهم الخاصة، فتجد عشرة آلاف منهم يمارسون التأمل الصامت أمام (شونجنانهاي)، وهو المجمع الضخم الذي يعيش فيه قادة الحزب الحاكم في الصين؛ وأثارت هذه السلوكيات المنظمة لجماعة «فالون جونج» أولئك الزعماء.

شعب يعشق الرقص

إن سكان بكين يظهرون بأساليب محدودة؛ ويتذكر الكاتبُ أنه سمع ذات يوم أصوات سيمفونية شتراوس منطلقة من مجمَّع «معبد السماء»، الذي كان يأتيه الأباطرة في الماضي لاستطلاع آراء الآلهة حول مواسم الحصاد، حيث غص المكان بالأزواج الذين كانوا في

الخمسينيات والستينيات من العمر، يتزلقون فوق طبقة مغبرة من التربة الطينية الصلبة، ويدورون فرحين بحركة متناغمة مع الموسيقى المنبعثة من مكبرات الصوت (الميكروفونات) المتناثرة على أرض المرقص. وتذكّر الكاتبُ وقائع حدثت عام ١٩٧٨م، عندما قابلَ أحد عمال المصانع في أحد المتنزّهات، وقال له: إن الصينيين بحاجة إلى منحهم حق حرية التعبير، لكن الشيء الذي يحتاجون إليه أكثر ويحبونه أكثر هو حق الرقص.

وفي الوقت الحاضر يلتفُّ شباب بكين حول نغمات موسيقا الديسكو في الملاهي الليلية المشابهة للنوادي الليلية المعروفة، حيث تجد الفتيات ذوات الأكتاف الموشومة والبهارج المتألقة على رموشهن؛ وفي النهار، يزورون المقاهي والحازات الجديدة في المدينة ويتباهون بما يحملون من جوالات وأجهزة نداء آلي، رموز النجاح؛ وهم يبدون أسوياء، ويتبعون موجة المعاصرة، ويحاولون أن يتميزوا من الجيل الأسبق.



ساحة تيانانمين وتتصدرها صورة ماو

في قلب العصر

التقى الكاتبُ «وانج نيجشون» وصديقها يلعبان البولنغ في قبو إحدى الشقق، ويمتزج صوت قوارير البولنغ بنغمات المزامير؛ كانت «وانج» مرتدية تنورة قصيرة ممزقة شبيهة بسترة روبين هود، وسواراً من اليشب، وهو حجر كريم، وقد بدت قصّةُ شعرها عابثة غريبة؛ وهي خريجة جامعية، وقد خططت لمواصلة دراستها في كلية لإدارة الأعمال؛ ولما سُئلتْ عما يريده شبابُ بكين، أجابت: إنهم يريدون استخدام الإنترنت، وممارسة الرياضة، ورقص الديسكو. وإنك لتجدُ بين الشباب من أمثال «وانج» شعوراً بالتردّد، ورغبةً ملحّة في حرية التعبير، ورغبةً في إنفاق النقود لامتلاك أحدث التقنيات المتوافرة؛ كما تجدُ مئاتِ الزبائن في معارض الحواسيب يحدّقون إلى أحدث المعدات؛ ويذكرُ الكاتبُ معرضاً مشابهاً كان قد زاره في مجمع تجاري في بكين، ورأى فيه أجهزة أي بي أم، وهولت باكارد، إضافة إلى طرازات حواسيب محلية مثل ليجند، والسور العظيم. ويتوافر الربط مع الإنترنت لنحو واحد بالمئة من أسر بكين؛ ولا ريب أن هذه النسبة سوف ترتفع.

ومن المتوقع أن تصلَ مبيعاتُ الحواسيب السنوية في البلاد إلى عشرة ملايين جهاز في المستقبل القريب. وقال وناطق العلاقات العامة لمعرض الحواسيب: إنه يسود اتجاه عام يعكس رغبة أعداد متزايدة من الناس في اكتساب مهارة استخدام الحاسوب.

ومع أن الوصول إلى العالم الخارجي مقيَّد من جانب الدولة، إلا أنّ مساحة الحرية المتاحة له أكثر من ذي قبل، مما يُكْسِبُ بعض البكينيين شعوراً جديداً بالاستقلالية. ويذكر مهندس التقاه الكاتبُ في أحدث المعارض التجارية أن الدولة لم تَعُدْ تضايقهم، وأنهم يشعرون بالاستقلالية، وأنّ المجتمع عادل في التعامل مع الأشخاص دون سن الثلاثين. إنّ المجال المنفسح غير المألوف للشعور المتنامي بالاستقلالية لدى الشباب يفسر على وجه الدقة الأسباب التي تدعو آباء كثيرين إلى استثمار الكثير في تربية وتعليم أبنائهم - بإقبالهم على شراء الحواسيب لهم، واستخدام مدرسين خصوصيين لهم، وتسجيلهم وإلحاقهم بالدورات المتخصصة. ولايوجد بين الآباء من يريد لأبنائه أن يتخلّفوا عن ركب التقنية المتقدمة على نحو متزايد.

إنه جيلٌ مُثْقَلٌ بالصّدمات السياسية المتعاقبة، ومتخوّف من الانكماش الاقتصادي الطارئ، وقد حَصّنَ أبناءَه بالمحبة والتعليم والأمل في أنَّ الفرصة سوف تتاح لهم لرسم معالم طريق مستقبل جديد لمدينتهم ووطنهم.

* النص مترجم عن مجلة National Geografhy عدد مارس/آذار ٢٠٠٠م

أحمد راتب النفاخ

حجة العلم وتواضع العالم

إبراهيم عمر الزيبق
دمشق - سورية

لئن نأت بنا السنوات بعيداً عن تلك الغرفة الصغيرة التي كانت تضمنا مع أستاذنا أحمد راتب النفاخ (١٩٢٧ - ١٩٩٢م) في بيته بسفح جبل قاسيون، إنَّ في ذكراه ما يقربنا إليه، فهو في مجالسنا الحاضر الغائب، لا نكاد نكفكف الحديث عنه وقد امتدَّ ساعات حتى نعود إليه كأنشط ما نكون، في أعماقنا إحساس نواريه ونداريه.. وهو أن في الأستاذ سراً غامضاً لا ندري كنهه.. سراً يتفلَّت منا كلما حاولنا كشفه بالكلمات.. وينفض المجلس وفي صدورنا بقايا أفكار.. وفي قلوبنا حزن أسيف.

وفي البيت أجلس إلى أوراقي، أحاول أن أخط عليها ملامح أستاذنا عساي أن أقتنص هذا السر الذي جعل منه شخصية عصية على النسيان، والناس فيه بين محب غالٍ، ومبغض قالٍ.

وتعود بي الذكرى إلى ذلك اليوم الذي عرفت فيه النفاخ أول ما عرفته.. كان ذلك في منتصف السبعينيات حين كنت أميناً لقاعة الباحثين في المكتبة الظاهرية، رأيته يدخل القاعة متجهاً إلى طاولة المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني مسلماً عليه، كان يخطو بوقار، وعلائم الجد بادية على ملامحه.

وحين هَبَّ مَنْ في القاعة وقوفاً يرحبون به اكتست ملامحه فجأة معاني التواضع، وأكاد أقول معاني الحياء.

هذه الملامح بقيت عالقة في



أحمد راتب النفاخ

ذاكرتي لم تمحها السنون، ملامح صارمة ما كان أسرع انقلابها حين تخجل إلى وداعة أقرب إلى وداعة الطفولة.

ونازعتني نفسي إلى زيارته في بيته، وطلبت من صديقين كانا من طلابه في الجامعة أن يصطحباني إلى زيارته حين يزورانه.

جمال و هيبة

قرعنا الباب بقلب خافق.. هذه أول زيارة لي لعالم اسمه يملأ السمع، وتخيلت فيما تخيلت بيتاً واسعاً، وأثاثاً مترفاً، ومكتبة ضخمة، ووجهاً يطل علينا مترفعاً متجهماً. وإذا الباب يفتح ويطل علينا الأستاذ بوجه طلق، تزيده قوة النظرات جمالاً وهيبة. ودلفنا عبر ممر ضيق إلى غرفة هي إلى الصغر أقرب، قد صفت فيها أرائك قديمة، ما إن جلست على واحدة منها حتى انبعث منها أنين البلى، تلفت أبحث عن المكتبة فلم أر إلا ركاماً من الكتب على طاولة صغيرة.. وقد زحف بعضها إلى الأريكة المجاورة واحتلها.. كانت بقايا أشعة الشمس الغاربة تعكس عبر زجاج النافذة ضوءاً باهتاً، وعلى الجدران لوناً حائلاً، ربما من أثر المدفأة في الشتاء. حقاً أنها

غرفة لم تلمسها يد امرأة قط...

وأقبل علينا الأستاذ النفاخ وقد جلس على أريكته بوجه يطفح بالبشر، وشعرت أنه قريب مني حقًا، فنظرت إليه، ولكني لم أقو على التحديق في عينيه.. كانت عيناه الزرقاوان من تلك العيون التي لا تحتمل أن تنظر إليها أو تنظر إليك.. عينان مفعمتان بمعاني الرجولة الحقة، والعجيب حقًا أنك تشعر في بيته. وكان بيته في ذلك الوقت مثابة لطلاب الجامعة ومحبي العربية، ما إن يدخل زائر حتى يُقرع الجرس لقدوم زائر جديد.. وتغص الغرفة على صغرها بالزوار. فتراهم حين تضيق بهم الأرائك يفترشون الأرض متزاحمين، منصتين للأستاذ غاية الإنصات.

كان المستمع إليه أول مرة لا يكاد يتبين حروف كلماته، فقد كانت تخرج من فيْه عميقة ممتلئة، يكاد يدخل بعضها في بعض، ولكن إن أرهفت السمع واعتدت الإنصات، فإنك سامعٌ لغةً لا عهد لك بها، لغة فصيحة سهلة دقيقة، تصيب المعنى بأوجز لفظ، لغة تنقلك إلى ذلك العصر الذهبي الذي كان من أعلامه المبرد وابنِ جني وأبو علي الفارسي. لغة أشْرِبتها روحُ الأستاذ فلا ينفك عنها أو تنفك عنه، ويتبدى لك من خلالها فهمُ الأستاذ العميق لأسرار هذه اللغة، وعشقه لها. وناهيك به فهمًا أنه كان من قلة قليلة قد أحاطت بكتاب سيبويه علمًا.

وكثيرًا ما كان يعرج في أحاديثه على كتاب من كتب تراثنا وقد حقق، فكنت تراه وهو يقلب صفحاته قد ملأ هوامشه باستدراكاته وتعقيباته بخطه الدقيق الواضح الجميل.

التحقيق عند النفاخ هو فهم النص فهمًا سليمًا، وهذا الفهم لا يتأتى إلا بعد تحريره من شوائب السقط والاضطراب والتصحيف والتحريف، وما قد يقع فيه مؤلفه من أوهام



أحمد راتب النَّفاخ أثناء حفل استقباله عضوًا في مجمع اللغة العربية عام ١٩٧٧ وهو الثاني من اليمين

حيالهما بجمال عذب كلما واتتك الشجاعة، واختلست نظرةً إليهما.

ومع أننا كنا في أوائل العشرينيات من عمرنا، نحبو في أولى خطواتنا في طريق العلم، والأستاذ في السابعة والأربعين، فقد راح يحدثنا في بعض مباحث اللغة الدقيقة، وكأننا أساتذة حقًا نفهم عنه ما يقول.

وتوالت زياراتي له عند الأصائل

عَلَمٌ لا يجاري!!

والتحقيق عند النفاخ هو فهم النص فهمًا سليمًا، قائمًا على إمعان النظر في تدبر معانيه، وهذا الفهم لا يتأتى إلا بعد تحريره من شوائب السقط والاضطراب والتصحيف والتحريف، وما قد يقع فيه مؤلفه من أوهام.. وهو منهج شامل عماده بصرٌ نافذٌ في أساليب العربية ومعرفةٌ بدقائقها، ومصابرةٌ على تتبع مسائلها في مظانها، وإحاطةٌ تامة برجالاتها، ودرايةٌ برواياتها وأسانيدها، وقد عُرف الأستاذ بنفسه الطويل في البحث، وإحاطته التامة به، حتى لا يكاد يجاريه في ذلك إلا قلة، وشيخه في هذا الباب العلامة محمود محمد شاكر، فهما يصدران عن نبع واحد..

ولك أن تتخيل من بعد كيف كان الأستاذ النفاخ يقرأ الكتب المحققة، وقد هجم عليها محققوها بمنهج قاصر، وعلم متواضع، فأحالوا المعاني عن مواضعها، وأثبتوا الخطأ وأهملوا الصواب. كنت ترى وجهه - وهو يحاكمهم إلى منهجه العلمي الصارم - قد اكتسى أسى على هذا التراث الذي آل إلى خَلْف يعبثون فيه، ويداري أساه بابتسامة متهكمة على هذا الفهم السقيم الذي أوقع «المحقق» بما وقع فيه، وتند من فيه كلمات، يظنها من يسمعها أول وهلة

النَّفَّاخ في سطور

- ولد في دمشق عام ١٩٢٧م.

- تخرج في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق، ١٩٥٠م.

- عمل معيداً في الكلية نفسها بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٥م، وكان مدرساً للغة العربية في المرحلة الثانوية بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٢م.

- نال درجة الماجستير من جامعة القاهرة في عام ١٩٥٨م عن موضوع «دراسة حياة الشاعر ابن الدمينة، وشعره وتحقيق ديوانه».

- اختار موضوعاً في القراءات القرآنية لنيل الدكتوراه، وكان المشرف هو الدكتور شوقي ضيف، ولم ينجز الرسالة بعد أن بذل فيها جهداً كبيراً، طاوياً في صدره سر ذلك.

- عاد إلى دمشق في عام ١٩٦٢م ليعمل بالتدريس في جامعتها، وظل بها حتى عام ١٩٧٩م.

- انتخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق في عام ١٩٧٦م، وتفرغ للعمل به منذ عام ١٩٧٩م إلى وفاته في عام ١٩٩٢م.

قاسية لاذعة، وإنما هي صرخة من قلب يكاد يتميز غيظاً وهو يرى أقدس ما يؤمن به يداس بالأقدام. وهل الأقلام العابثة في تراثنا إلا أقدام تجوس خلال النص، تستبيح الحمى، وتمزق المعنى؟.

شوق وقلق

ولا أنسى ليلة أخبرت أن الجزء الذي حققته من كتاب «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي قد وصلت نسخ منه إلى دمشق، ليلتها ركبني همّ مقيم مقعد، جعلني أنسى فرحي بصدور أول كتاب لي محقق. فلا شك أن الأستاذ سيطلع على عملي فيه، إذ كان يتابع بشغف صدور أجزاء هذا السفر العظيم، وما أدري هل سيبقى لي مكان في مجلسه من بعد، وهو الذي لا يتسامح في الأخطاء حتى مع المريدين والأصدقاء.

ومر شهران أو أكثر، وطال شوقي إلى الأستاذ ومجالسه، إلا أن الخوف كان يصدني عن زيارته حتى كان يوم رأيته فيه مصادفة في مكتبة. وما إن وقعت عيناه علي حتى بادرني بالسلام، وقال لي متشوقاً: أين أنت؟ لم أرك منذ زمن. كان في صوته ونظراته هذا الشوق الذي تحس حرارته في أعماق القلب، داريت خجلي وقلت: سأزوركم الليلة إن شاء الله.

وكان فرحي برضاه عني بقدر قلقي، وعاودت منذ ذلك اليوم حضور مجلسه الحافل، ولكن لم تحدثني نفسي قط أن أسأله عن عملي. إذ كان لي في حضور مجلسه عن رضى مجرّد حضور غُنْيَةٌ عن كل سؤال.

وحب الأستاذ لمريديه ومخالطيه حب غامر، فهو باخعُ النفس على آثارهم، يسعى إلى إفادتهم من علمه الواسع بكل سبيل.. وكان أي سؤال يُلقى عليه يجدُ عنده أذناً صاغية، وحين يجيب تسمع حُجَّة العلْم وتواضع العالم. وكان لا يقنع في كثير من الأحيان بما ألقاه إليك من جواب، بل تراه ما بين جيئة وذهاب إلى مكتبته العامرة في الغرفة المجاورة، يتأبط منها في كل مرة مصدراً جديداً فيه توثيق ما أجابك عنه، ويخالطك شعور بالحرج والإشفاق وأنت القانع من جوابه بأيسر الكلمات، ولكن الأستاذ ما كان يرى العلم الحق إلا مقروناً بالدليل، وفي ذلك أيضاً احترام لعقل سائله بتنا نفتقده عند كثير من العلماء.

ثقل الصمت

ولقد شهدت موقفاً للأستاذ النَّفَّاخ تجلى فيه هذا الحب الغامر أروع ما يكون التجلي على مفارقة في هذا الموقف لا تخلو من قسوة.. فقد زرته ذات يوم في بيت حميه - وكان حبيس عزلة إثر محنة ممضّة ألمت به بعد زواجه - مع صديقيّ الأستاذين محمد نعيم العرقسوسي وبسام الجابي، وكانا أثيرين لديه، كان أقسى ما في هذه المحنة شعوره بالظلم ممن حوله.. كان شاحب الوجه، ذابل النظرات.

ران صمتٌ ثقيل في المجلس. زاده ثقلاً شعورنا بالعجز حيال محنة الأستاذ، كان الموقف أكبر من الكلمات.

وبلهجة أعرابية كنا نألفها منه قطع الصمت، وقال:

- سأنوي الاعتفاد.

حال جلال الموقف بيننا وبين سؤاله عن معنى الاعتفاد، ولكنا فهمنا منه نحواً من الفهم أن العربيَّ إذا ألمت به مُلمَّة يغلق بابه على نفسه، فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً. وقلت في نفسي: هو موت تتجلى فيه عزة العربي بكل جلال وقسوة، حتى في ألمه كان النفاخ عربيَّ الألم.

وانزاح بهذا البوح ثقل الصمت. فرحنا نتكلم مبددين ما استطعنا شعوره بالظلم، وككل أصحاب

القلوب الكبيرة التي تفيء سراعًا إلى الرضا بقضاء الله وقدره، نظر إلينا بعينين عاد إليهما بعض بريقهما، ونهض من مجلسه، وغاب عنا قليلاً، ثم عاد متأبطًا كتاب أخينا نعيم «توضيح المشتبه» ـ وقد وافق صدور جزئه الأول محنة الأستاذ ـ وبصوت يغمره الدفء قال: هذا الكتاب كان سلوتي في هذه العزلة.

وتبادلنا فيما بيننا النظرات بعيون دهشة. كتاب جاف ـ على أهميته في فنه ـ أقامه مؤلف ابن ناصر الدين على ضبط أسماء رواة الحديث وأنسابهم وألقابهم وكناهم بالحركات والحروف، لا يقتنيه إلا محدِّث أو محقق، ولا يصبر القارئ له إلا على قراءة أسطر كيما يتهدى إلى ضبط اسم أو نسبة، ثم سرعان ما يركنه في زاوية مكتبه وينساه، ولا يكاد يذكره إلا إذا مست الحاجة إليه من جديد.. كتاب هو بالمعجم أشبه، تكون فيه سلوة! وفي غمرة دهشتنا



محمود محمد شاكر

حق العلم عليه فوق كل حق، ووفاؤه للتراث وللأئمة الذين أورثونا إياه فوق كل وفاء. ثم إنه لا يبالي في سبيل هذا الحق والوفاء أكَثُرَ محبوه أم شانئوه، فلعلك ترى أستاذًا له قديرًا. أو صديقًا له أثيرًا. أو محبًا مريدًا قد وهت العلائق بينهم وبينه. لم يتحملوا صدعه بالحق الذي يراه، ولم يكن عندهم من الحُجَّة ما يدفعون به قوله،

كانت شدته على نفسه تحول بينه وبين أن يكتب إلا ما يراه صوابًا، ثم لا يبالي من بعد أخسر صديقًا أم كسب عدوًا

رأينا الأستاذ يستل أوراقًا من بين صفحاته، فيها تصويب ما بدا له من أخطائه. وراح يقدمها إلى أخينا نعيم قائلاً باعتذار: الكتاب بحاجة إلى قراءة ثانية متأنية، وهذه الملاحظات هي ما عنَّ لي في أثناء قراءته وأنا بعيد عن مكتبتي.

وشعرت في تلك اللحظة بغربة الأستاذ عن عصرنا، فطوبى للغرباء.

وكيف لا يكون غريبًا رجلٌ كان

فكانوا في مجالسهم يتحدثون عن شدته عليهم، وينسون شدته هو على نفسه. هذه الشِّدَّة التي كانت تحول بينه وبين أن يكتب إلا ما يراه صوابًا، بل محض الصواب. ثم لا يبالي من بعد أخسر صديقًا أم كسب عدوًا.

إنَّ قيامه بحقِّ العلم، ووفاءه للتراث زهَّداه فيما يضطرب فيه الناس، فلم يسع إلى لقب. ولا طمع في منصب، ولا استخفته شهرة، ولا طرب إلى مديح، بل إنه زهد حتى

في مظاهر الحياة، فاطَّرح التكلُّف جملةً، واستراح من أعبائه، فكنت تراه يستقبل زائريه على أية هيئة اتفقت له. حتى بيته بقي بعد زواجه المتأخر مثال بيت العالم الزاهد. فصورة العالم هي التي تملأ إحساسك تجاهه. ومهما يطل اختلافك إليه تشعر حياله بهيبة العلم وجلاله. علم لا يحف به لقب أو منصب أو جاه.

وتعود بي الذكرى إلى تلك الأيام التي قضيتها في صحبته وهو يذلل لي ما شَمسَ من أبيات ابن منير الطرابلسي في أثناء تحقيقي لكتاب الروضتين.

لذة الاكتشاف

كنت آتيه ـ كعادتي ـ أصيل كل يوم. أقرع بابه على استحياء، فيستقبلني كعادته بوجه طلق، أدخل الغرفة الصغيرة التي باتت أحبَّ إليَّ من بيتي، وأجلس حيث اعتدت أن أجلس فيها، وأنشر أوراقي، وتبدأ جلسة لن أنساها طوال عمري. جلسة تعيش فيها لذة اكتشاف المعاني المخبوءة تحت أطلال التصحيف والتحريف، وتشهد قراءة للنص هي إبداع له من جديد.

وأذكر مرة أني سهوت في أثناء نسخي لأحد أبيات ابن منير فقدمت كلمة على كلمة في البيت، ولم يخلَّ هذا التقديم بوزن البيت ولا بمعناه، ولكن الأستاذ حين تأمله طويلاً، قال لي جازمًا: لو كان قائل هذا البيت شاعرًا حقًا لقدم هذه الكلمة على تلك، فوجئت حقًا. ولم أجد جوابًا، وحين عدت إلى البيت بحثت عنه في المخطوط، فوجدته على الصورة التي اقترحها الأستاذ، وحين خبرته خبر البيت في اليوم التالي، مازاد على التبسم.

من آثار النَّفَّاخ

أولاً ـ الكتب:

ـ النصوص الأدبية: (منهاج شهادة الثقافة العامة في كلية الآداب) بإشراف أحمد راتب النفاخ، مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

ـ ديوان ابن الدمينة: صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تح. أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة ـ القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.

ـ مختارات من الشعر الجاهلي: اختارها وعلق عليها أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار الفتح ـ دمشق ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

ـ فهرس شواهد سيبويه: صنعة أحمد راتب النفاخ، دار الإرشاد ـ دار الأمانة ـ بيروت ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

ـ كتاب القوافي: لأبي الحسن الأخفش، تح. أحمد راتب النفاخ، دار الأمانة ـ بيروت ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: لأبي أحمد العسكري جـ١، تح، الدكتور السيد محمد يوسف، مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

ثانيًا ـ المقالات:

ـ رسالة الغفران: مجلة الكتاب المصرية، مج ١٠، جـ٦ حزيران/ يونيو ١٩٥١م.

ـ القصيدة الصورية: مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٢، جـ١/١٩٥٦م.

ـ رسالة الغفران: مجلة المجمع بدمشق، مج ٣٢، جـ٤/١٩٥٧م مج ٣٣، جـ١/١٩٥٨م.

ـ المحتسب: مجلة المجمع بدمشق، مج ٤٢، جـ٤/١٩٦٧م مج ٤٣، جـ١، جـ٢/١٩٦٨م.

ـ المعيار في أوزان الأشعار: مجلة معهد المخطوطات العربية مج١٥، جـ١ ـ ٢/١٩٦٩م.

ـ نظرات في كتاب اللامات: مجلة العرب، س٥، جـ١/١٩٧٠م.

ـ كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش: مجلة المجمع بدمشق، مج ٤٧، جـ١/١٩٧٢م.

ـ تعقيب على أرجوزة في العروض: مجلة المجمع بدمشق، مج ٤٧، جـ٤ /١٩٧٢م.

ـ كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: مجلة المجمع بدمشق، مج ٤٨، جـ٤/١٩٧٣م، مج ٤٩، جـ١/١٩٧٤م.

ـ كلمة في حفل استقباله يتحدث فيها عن سلفه الشيخ محمد بهجة البيطار: مجلة المجمع بدمشق، مج ٥٣، جـ١/١٩٧٨م.

ـ حركة عين المضارع من (فعَل): مجلة المجمع بدمشق، مج ٥٧، جـ٣/١٩٨٢م.

ـ كتاب المحبة لله سبحانه: تح: الأستاذ عبدالكريم زهور مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ، مجلة المجمع بدمشق مج ٥٨، جـ٤/١٩٨٣م، مج ٥٩، جـ١، جـ٢، جـ٣/١٩٨٤م.

ـ نظرات في نظرات: مجلة المجمع بدمشق، مج ٥٩، جـ٣/١٩٨٤م، مج ٦٠، جـ٢، جـ٣/١٩٨٥م.

ـ فقيد المجمع الأستاذ عبدالكريم زهور: مجلة المجمع بدمشق، مج ٦٠، جـ٣/١٩٨٥م.

ـ استفتاء وجوابه: مجلة المجمع بدمشق، مج ٦٠، جـ٤، ١٩٨٥م.

ـ أشعار اللصوص وأخبارهم: التعليقات الأستاذان أحمد راتب النفاخ وشاكر الفحام، مجلة المجمع بدمشق، مج ٦٦، جـ٤/١٩٩١م.

وأذكر مرة أني وقعت على كلمة في خبر لم أجد لها معنى أعرفه في سياقه، واستشرت معاجم اللغة، الفصيح منها والعامي، وطال بحثي عنها ولم أظفر بطائل، ثم فزعت إلى الأستاذ أسأله عنها، فقال لي بعد أن تأملها طويلاً: لا أعرفها. فألقيتها عن كاهلي حتى كان ذات يوم إذ خطر لي في معناها خاطر، فتتبعته، وبحثت له عما يؤيده، فإذا هو المعنى الذي كنت أبحث عنه، وإذ الكلمة اسم يطلق في ذلك العصر على الجدران الترابية، وكانت تسمى «الفطائر»، واستخفني الفرح، فرحت أحدث الأستاذ عنها، وكيف تهديت إلى معناها، وهو يصغي إلي، وحين أتممت كلامي رأيته يبتسم. وفي نظراته بريق يشبه ذلك البريق في عيني الصقر وهو يرى الناهض قد نشر جناحيه للطيران.

وما كان أشد حماسته لعملي في كتاب الروضتين، فكان لا ينفك يسألني عنه، ويحثني على إتمامه، وكنت أرى في أستاذنا شبهًا في مؤلفه أبي شامة، فهو على تبحره في التاريخ كان من كبار العلماء في القراءات القرآنية، هذا العلم الذي وهب أستاذنا حياته له.

وتمضي الأعوام، ويتم طبع كتاب الروضتين على تأخري في إنجازه، وتصلني أول نسخة من نسخه، وأبيت تلك الليلة حزينًا حزينًا.

كنت أتمنى أن تكون هذه النسخة هديتي الأولى إليه. لقد زايلني خوف الأمس. ولكن الأستاذ كان قد نأى عن دنيانا بعيدًا.



تعقيبًا على:

الطباعة العربية في أوربا

نشأة الطباعة العربية في أوربا

محمد همام فكري
الدوحة - قطر

يقدر هواة اقتناء الكتب القديمة ومحبوها قيمة ما لديهم من كتب نادرة، ويبحث بعضهم عن الطبعات الأولى لما يرغبون في امتلاكه، وخاصة تلك التي طبعت مع بدايات اختراع الطباعة، ويبذلون في ذلك جهداً ومالاً كبيرين للحصول على نسخة نادرة من كتاب ما، فإذا حصلوا عليه فإنهم يشعرون وكأنهم تملكوا أثراً تاريخياً، لأنهم يدركون جيداً أهمية أن يمتلك المرء جزءاً من التاريخ.

أشار الأستاذ محمد همام فكري في دراسته القيمة والجميلة: «نشأة الطباعة العربية في أوربا» المنشورة في العدد ٢٨٩ من مجلة (الفيصل) إلى كتاب «الأناجيل الأربعة» Quatuor Evangelia الذي صدر عن مطبعة مديتشي في روما في عامي ١٥٩٠ و ١٥٩١م، وقد تسنى لي الاطلاع على نسخة منه محفوظة في مكتبة جامعة كارولي غاشبار البروتستانتية في بودابست، وهي بحالة ممتازة.

وأود أن أتحدث عن هذه الطبعة الشهيرة التي لاتزال نسخها منتشرة في كثير من مكتبات العالم، ليطلع المتخصصون ومحبو نوادر الكتب على إحدى المطبوعات العربية الأولى التي طبعت بجهد وذوق فني رفيع. وسبق أن نشرت صحيفة «الحياة» اللبنانية كلمتي عن الكتاب والمكتبة في ٧ مارس / آذار ٢٠٠٠م (صفحة تراث) التي تناولت فيها بعض ملامح هذه الطبعة.

طبع هذا الكتاب طبعتين، الأولى باللغة العربية فقط، والثانية طبعة مزدوجة اللغة Diglot، إذ طبعت أسطر النص اللاتيني بين الأسطر العربية وهو ما يعرف بـ Interlinear في الطباعة. وقد أشار الكاتب الى أن مترجم الأناجيل مجهول، لكن يبدو من المصادر أن من ترجم الأناجيل الى العربية وأشرف على الطباعة هو مدير مطبعة مديتشي المستشرق جيوفاني باتيستا رايموندي، وهو غير المترجم الشهير رايموند الذي ترجم الكثير من الكتب العربية الى اللغات الأوربية. بالطبع استند رايموندي إلى الترجمات السابقة المعروفة منذ فترة طويلة. وزينت الطبعة بـ ١٤٩ رسمًا جميلاً طبع بتقنية الحفر على الخشب (زيلوغراف) من وضع الفنان أنتونيو تَمبِستا (١٥٦٥–١٦٣٠م)، ونفذها ليوناردو باراسولي (أو لوقا بَنّي، استناداً الى التوقيع، وهو مختصر الاسم الذي يرد على الرسوم بصيغة L.P. صورت الرسوم مختلف أحداث القصص الإنجيلية، وتتميز الطبعة أيضاً بالنقوش النباتية الجميلة في بداية الفصول. وأنتونيو تَمبِستا فنان معروف، قام برسم جداريات كثيرة في الفاتيكان وفي قصور روما.

غريغوري صاحب التقويم

أسس البابا غريغوري الثالث عشر مطبعة مديتشي في العام الميلادي ١٥٨٤ بهدف نشر الدين المسيحي في الشرق، وسميت المطبعة باسم مديتشي، لأن هذا البابا تحدر من عائلة مديتشي الإيطالية الغنية التي اشتهرت برعاية العلم والأدب والفن، وهو البابا نفسه الذي أمر بتعديل التقويم المسيحي الذي كان يعرف باسم التقويم اليولياني (نسبة الى يوليوس قيصر إمبراطور روما)، واستبدال تقويم أدق به، أضحى يعرف بالتقويم الغريغورياني نسبة الى البابا غريغوري الثالث عشر في عام ١٥٨٢م إذ جرى حذف ١١ يوماً من التقويم لتعديله، وهو التقويم الذي يستعمل اليوم.

عائلة مديتشي

عائلة مديتشي عائلة تجار ومصرفيين معروفة من فلورنسا، ولربما كانت أغنى عائلة في أوربا آنئذ، سيطر أفرادها على إدارة المدينة طويلاً، منذ عام ١٤٣٤م حتى عام ١٧٣٧م تخللتها فترات انقطاع قصيرة. أُطلق على المنطقة اسم دوقية فلورنسا، ثم الدوقية الكبرى لفلورنسا منذ عام ١٥٣٢م، وعلاوة على غريغوري الثالث عشر، كان البابا ليو العاشر والبابا كليمنت السابع من هذه العائلة أيضاً. برز لورنتسو مديتشي الذي كُني بلورنتسو الرائع (١٤٤٩-١٤٩٢م) بين أفراد هذه العائلة في رعايته الفن، وكان يدعم عمل اثنين من أشهر فناني إيطاليا في عصر النهضة وهما مايكل انجلو، وبوتيتشَلّي. ودعم المديتشيون العلم والعلماء أيضاً، ومنهم غاليليو غاليلي، لكنهم لم يتمكنوا من حمايته أمام محاكم التفتيش بسبب ضعف سيطرتهم آنذاك في عام ١٦٣٣م. أسسوا أكاديميات للعلوم والفنون، ويصف المؤرخون الفترة التي حكموا خلالها (نحو قرنين ونصف القرن من الزمان) بأنها كانت فترة رخاء وتقدم، ويوازنونها بفترة ازدهار مدينة أثينا في العصر القديم. وتصاهرت هذه العائلة مع أهم ملوك أوربا، لذلك أصبحت لفرنسا وإنجلترا وإسبانيا ملكات من عائلة مديتشي. لكن أهمية فلورنسا بدأت تتضاءل منذ القرن السابع عشر. ومن المعروف أن لهجة فلورنسا (التوسكانية) هي التي أصبحت اللغة الايطالية الحديثة.

طباعة الكتب العلمية العربية

حصل مدير المطبعة رايموندي على الحروف العربية التي صنعها الطباع الفرنسي روبرت غرانجون في باريس لحساب دومينيكو باسا في روما، وذلك في العام الميلادي ١٥٨٥. طُبع في مطبعة مديتشي - إلى جانب الكتب الدينية المسيحية - عدد من الكتب العربية الأخرى، منها: نسخة مختصرة من عمل الشريف الإدريسي الشهير بـ «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» عام ١٥٩٢م، وكتاب ابن سينا «القانون في الطب» (في أواخر القرن السادس عشر)، وكتاب إقليدس «المجسطي» المنقح على يد نصير الدين الطوسي، عدا طبعات الكتب الدينية باللغات الفارسية والسريانية وغيرها. ويبدو أن المطبعة وجهت عنايتها الرئيسة الى طباعة الكتب العلمية بدلاً من هدفها المعلن في طباعة الكتب الدينية المسيحية، ولهذا علاقة بتوق الأوربيين للعلوم العربية - الإسلامية وقتها، فقد طبع من الأناجيل ١٥٠٠ نسخة، مقابل ٣٠٠٠ نسخة من كتاب إقليدس-الطوسي، وبيعت ٩٣٤ نسخة من الأول مقابل ١٠٣٣ نسخة من الثاني. وعملت المطبعة خلال ثلاثة عقود فقط. وهذه هي أول طبعة عربية للأناجيل الأربعة، وقد سبقتها طبعات عربية لأجزاء من الكتب الدينية المسيحية الأخرى مثل مزامير سليمان (مبكراً في ١٥٧٦ - ١٥٧٩م)، وهي طبعة متعددة اللغات بالعربية والعبرية واللاتينية (الأدبية والعامية المعروفة بترجمة الفلجاتا) واليونانية والآرامية الكلدانية. طبع الكتاب في جنوا بايطاليا. كما طبعت رسالة الى أهل غلاطيا (في عام ١٥٨٣م). وترافق هذا الاهتمام الأوربي بطبع الأناجيل وباقي الكتب المسيحية باللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية مع بداية السيطرة الأوربية الاستعمارية على آسيا وإفريقية، وجاء ليترافق مع تزايد الأطماع التوسعية والاستعمارية الأوربية.

يقع الكتاب في ٤٦٢ صفحة، ولم تُضَف المقدمة المكَوَّنة من ٩ صفحات الى الطبعة الثنائية اللغة، بل يبدأ مباشرة بإنجيل متّى «بشارة يسوع المسيح كما كتب مار متّى واحد من اثني عشر من تلاميذه» في الصفحة التاسعة، ويختم بصفحة الطبوغرافيا وهي مكتوبة باللغة اللاتينية (أي إن العدد الفعلي لصفحات الكتاب ٤٥٢ صفحة).

من مميزات الطبعة استمرارها على تقاليد

الاستنساخ اليدوي الذي ساد قروناً طويلة، من بين هذه التقاليد – عدا إدخال ترقيم الصفحات – كتابة الكلمة الاولى من الصفحة في أسفل الصفحة التي تسبقها، وهذا أسلوب سبق ترقيم الصفحات لضمان إعادة الترتيب الصحيح عند الحاجة الى إعادة تجليد الكتاب أو المخطوطة بفعل القدم وكثرة الاستعمال. كذلك ملء السطر وعدم ترك فراغ في حالة انتهاء الفقرة قبل انتهاء السطر، وذلك بمدّ الكلمة الأخيرة. وهذا أسلوب يكثر في المخطوطات القديمة عربية كانت أو سامية (الآرامية خاصة). وتتميز الطبعات الأولى للكتب بترك حواشٍ عريضة، كما في هذه الطبعة، وكانت الحواشي تستعمل لكتابة تعليقات

يرجح أن يكون مترجم الأناجيل الأربعة هو رايموندي. وترافق مع الاهتمام الأوروبي بطبع الأناجيل وباقي الكتب المسيحية باللغة العربية تزايد الأطماع الاستعمارية الأوربية

وملاحظات على النص، وليس من النادر أن تولد مؤلفات كاملة جديدة مستقلة عن الكتاب الأصلي من التعليقات والملاحظات المكتوبة على حواشيه. أما لغة الكتاب والترجمة فقد تميزتا بخلوهما من الهمزة إذ أُبدلت بها الياء، وقد يكون ذلك لأسباب طباعية. مثلاً نجد كلمة حينيذ بدلاً من حينئذ، أو حذايه بدلاً من حذائه، وقايلاً بدلاً من قائلاً. كذلك تنقيط الألف المقصورة لتصبح ياءً هي الأخرى، مثل موسي بدلاً من موسى وأعمي بدلاً من أعمى. وعلى العموم فالترجمة مقاربة للترجمة العربية الحديثة، عدا اختلافات بسيطة، وقد تكون لغتها أمتن من الترجمة العصرية في القليل من المواضع، لكنها مع ذلك تتضمن بعض الأخطاء اللغوية والطباعية القليلة ولا تخلو من العبارات الركيكة. يستعمل الكتاب تعبير مار للدلالة على تعبير قديس المستعمل حاليًا باللغة العربية، وأصل الكلمة آرامي، ومعناها الأصلي سيد، وقد دخلت النص اللاتيني أيضاً، فكتب مثلاً Mar Mattheus أي مار متى، القديس متى. ولا تزال الكلمة مستعملة بين مسيحيي المشرق العربي خاصة السريان، ومؤنث الكلمة مارثا أي سيدة، وقد أصبحت هذه اسماً شائعاً في اللغات الأوربية.

وفيما يتعلق بالطباعة العربية في المشرق، بالدرجة الأولى في أراضي الدولة العثمانية، يتعين القول بأن السلاطين العثمانيين عارضوا الطباعة بالحرف العربي في البداية، ويعود السبب في ذلك الى مقاومة طبقة الكتبة الذين هددت الطباعة مصالحهم وموقعهم الاجتماعي المرموق الذي نجحوا في الوصول إليه خلال قرون طويلة. ثم اقتصر المنع على طباعة القرآن الكريم، فقد أصدر السلطان بايزيد الثاني فرماناً حرم فيه طبع القرآن الكريم تحت طائلة التهديد بعقوبة الموت لمن يخالف ذلك. لكن تطور الطباعة في أوربا وحاجة العثمانيين الى طباعة الكتب ليّنا موقف سلاطينهم. فأنشئت أول مطبعة في إستانبول في عام ١٧٢٠م. وكان لإبراهيم أفندي المعروف باسم إبراهيم متفرقة الدور البارز في تنظيم الطباعة هناك. ويعرف عن إبراهيم متفرقة أنه قس بروتستانتي مجري، ولد في مدينة كولوجفار في مقاطعة ترانسلفانيا (وهي مدينة كلوج في رومانيا اليوم)، أُسر لدى العثمانيين واعتنق الإسلام، وأبدل اسمه إلى إبراهيم. ألف عدداً من الكتب حول الطباعة منها «وسيلت طباعت» الى جانب كتب شرعية منها «رسالة إسلامية».

ثائر صالح – بودابست ـ المجر.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٩٢)

شوال١٤٢١هـ - يناير٢٠٠١م

الفائز الأول: **عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر.**

الفائز الثاني: **عبدالرحمن يوسف جقلان - سورية.**

الفائز الثالث: **بشرى العربي بودنار - المغرب.**

الفائز الرابع: **محمد ياسين سعيد العريقي - اليمن.**

حل مسابقة العدد (٢٩٢)

١ - **وتجلدي للشامتين أريهمُ   أني لريب الدهر لا أتضعضع**
قائل البيت: **أبو ذؤيب الهذلي.**

٢ - **أم الربيع:** **اسم نهر في المملكة المغربية.**

٣ - **بيدرو الفاريس كابرال:** **ملاح برتغالي اكتشف البرازيل عام ١٥٠٠م.**

٤ - **ملحمة الأوديسا هي للشاعر:** **الإغريقي هوميروس.**

٥ - **الطقسوس:** **شجر دائم الخضرة من الفصيلة الصنوبرية.**

أسئلة مسابقة العدد ٢٩٥

ضع علامة ☐ أمام الإجابة الصحيحة

(١) من قائل هذا البيت: أنا مَيْتٌ تغافل القبر عني   وهو إن يدرِ شقوتي ما تمهل

☐ إيليا أبو ماضي ☐ محمود حسن إسماعيل.

(٢) البيكرون: ☐ جزء من بليون من المتر ☐ مقياس تحديد نسبة الدهن في اللبن ومشتقاته.

(٣) ثُـلاً: ☐ قلعة نوبية شهيرة في شمال السودان ☐ مدينة أثرية يمنية.

(٤) سمى العرب القدامى شهر المحرم: ☐ ناجر ☐ مؤتمر

(٥) مارون عبود: ☐ كاتب وناقد لبناني اتسم أدبه بالسخرية ☐ شاعر عربي يعدّ من أبرز شعراء المهجر.

الاسم: **ص.ب:**

العنوان: **الرمز البريدي:**

المدينة: **هاتف:**

الدولة: **ناسوخ:**

شروط المسابقة

- **الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.**
- **لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.**
- **إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.**
- **أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.**
- **أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).**

طريقة اختيار الفائزين

- **تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.**
- **يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.**
- **تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وقرعة أخيرة للفائز الأخير.**
- **ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.**

الجوائز

الجائزة الأولى:
١٥٠٠ (ألف وخمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الثانية:
٧٠٠ (سبعمئة ريال سعودي).

الجائزة الثالثة:
٥٠٠ (خمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الأخيرة:
(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

عنوان المجلة:

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

المنمنمات في إسبانيا - الإسلامية

مراجعة: **محمد خير البقاعي**
الرياض - السعودية

جاء في كتاب «تاريخ صقلية - الإسلامية» لمؤلفه الدكتور عزيز أحمد، والذي ترجمه إلى العربية الدكتور أمين الطيبي (ط. الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٨٧ - ٨٨): «وأشهر علماء الدين والأخلاق في العهد النورماني ابن ظَفَر (أبو عبدالله بن أبي محمد) المنعوت بحجة الدين وبرهان الإسلام (ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م)، وهو إما من أصل صقلي، وإما من مكة المكرمة، وفد زائراً على صقلية. ألف في النحو وفقه اللغة [وكان أعلم باللغة من النحو]. وأشهر مؤلفاته: «سلوان المطاع في عدوان الأتباع»(١)، صنفه لبعض القادة في صقلية، وقد ترجم الكتاب إلى اللغات الإنجليزية والإيطالية والتركية(٢). والكتاب من النوع المعروف بمرايا الأمراء Mirrors of Princes، ويقع في خمسة أجزاء، وأسلوبه شبيه بأسلوب كليلة ودمنة. وينسب إلى ابن ظَفَر ما مجموعه اثنان وثلاثون كتاباً، وصلنا عشرة منها بما في ذلك تفسيرٌ للقرآن الكريم.

وقد جال ابن ظَفَر في أقطار المغرب واستقر به المطاف في بلاد الشام، وتوفي فيها سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م»(٣). وتملك مكتبة دير الإسكوريال نسخة مخطوطة من كتاب سلوان المطاع رقمها ٥٢٨، زُيِّنَت بـ ٤٧ لوحة يطلق عليها اسم المنمنمات، وهي لوحات تعد نسيج وحدها في تاريخ الفن الإسلامي. وقد استرعت هذه المنمنمات اهتمام الباحثة الفرنسية رحيل أريي فدرستها في كتيب صغير. ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي عرضت لدراسة المنمنمات العربية الإسلامية التي زُيِّن بها كتاب سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي؛ وهي منمنمات تطرح إشكالية في تاريخ الفن العربي الإسلامي؛ لأنها فريدة لا نكاد نجد ما يشبهها في الشرق العربي.

RACHEL ARIÉ

MINIATURES HISPANO-MUSULMANES

E. J. BRILL

المنمنمات
في إسبانيا - الإسلامية
رحيل إريي
لايدن: ١٩٦٩م، ٨٣ص.

يتألف الكتاب من مقدمة وفصلين وملحق يحتوي على المنمنمات المدروسة.

تتحدث المؤلفة في المقدمة (ص٧) عن جلسات العمل الطويلة التي كانت تعقد في مكتبة دير الإسكوريال خلال شتاء عام ١٩٦٤م، وتقول: إن تلك الجلسات دفعتها إلى تفحص مخطوطة محفوظة في المكتبة المذكورة برقم ٥٢٨، وعنوانها: كتاب السلوانات في مسامرات الخلفاء والسادات، وتذكر أن ديرنبورغ(٤) J. Hartwig Derenbourg صنف هذا الكتاب ضمن كتب الحكايات والحكم في القرن الثاني عشر الميلادي، وتقول المؤلفة: إن الكتاب المذكور ينسب إلى ابن ظفر الصقلي، وإن عنوان الكتاب المشهور هو: سلوان المطاع في عدوان الأتباع.

يمكن لمكتبة الإسكوريال، حسب قول المؤلفة، أن تفخر بهذه المخطوطة العربية التي تعود إلى القرون الوسطى (الأوربية)، لأنها (المخطوطة) مزينة بسبع وأربعين منمنمة تعد نماذج نادرة للنصوص التي وصلتنا من الغرب الإسلامي.

حياة ابن ظفر ومؤلفاته

الفصل الأول (١-٧) تورد في هذا الفصل المعنون، مؤلف الكتاب: حياته ومؤلفاته. فالمعلومات القليلة المتوافرة لديها عن المؤلف(٥) تقول: إن اسمه الكامل هو: أبو عبدالله محمد بن محمد ظفر الملقب بحجة الدين، ولد في صقلية، ونشأ في مكة المكرمة مما يفسر النسبة التي تتردد في ترجمته «المكي». وتذكر أيضًا أن العماد الأصفهاني (١١٢٥ - ١٢٠١م) قابل ابن ظفر في الشام، وترجم له ابن خلكان (١٢١١ - ١٢٨٢م) في وفيات الأعيان، وترجم له أيضًا في القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين المقريزي والسيوطي المصريان(٦).

وتستنتج المؤلفة من ترجماته أنه كان من علماء الغرب الإسلامي المشهورين، وأنه قضى شطرًا من حياته في إفريقية الشمالية مع غيره من الصقليين المسلمين الذين فروا من نير المسيحية الذي كان يخيم حينئذ على جزيرتهم (صقلية)، ثم توجه بعد ذلك إلى مصر العبيدية (الفاطمية)، ثم إلى الشام، إلى بلاط أشهر أمراء الشرق في ذلك العصر محمود بن زنكي الملقب بنور الدين الذي كان له قصب السبق في القتال ضد الصليبيين. وتستخلص المؤلفة من إشارة لابن ظفر نفسه في مقدمة أحد كتبه «خير البِشر بخير البَشَر»: أن رحلته إلى الشرق تمت بعد عام ١١٤٦م، وأنه لقي تشجيع أحد كبار العلماء في الشام وهو صفي الدين أحد علماء بلاط نور الدين. وقد عاد ابن ظفر إلى صقلية بعد موت ملك النورمانديين روجيه عام ١١٥٤م. ثم تستعرض المؤلفة المعلومات التي ذكرها من ترجموا لابن ظفر حول خُلُقه وخَلْقه (ص٢). ولابن ظفر ما يقارب ثلاثين كتابًا كما ذكرنا أورد هو نفسه قائمة بها في عام ١١٥٩م، وعدّدها أصحاب الكتب التي ترجمت للصقليين مع تفاصيل قليلة، ووصلنا من كتبه سبعة فقط، منها عدد من النسخ في المكتبات الغربية والشرقية؛ ففي المتحف البريطاني، وفي مكتبة جوتة (ألمانيا) نجد مخطوطة كتاب «أنباء نجباء الأبناء» الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م. وتتحدث المؤلفة عن مضمون هذا الكتاب (ص٢). أما المكتبة الوطنية في باريس، ودار الكتب المصرية فتحتويان على مخطوطة كتاب «خير البِشر بخير البَشَر» وتتحدث المؤلفة عن مضمون هذا الكتاب (ص٣). وتذكر أن ابن ظفر كان يقرأ بالعبرية والسريانية العهد القديم من الكتاب المقدس.

وفي المكتبة الوطنية في باريس مخطوطة لكتابه «ينبوع الحياة في تفسير الذكر الحكيم». ولكن ابن ظفر اشتهر بكتابه «سلوان المطاع» الذي يتوافر له عدد من المخطوطات ذكرها ميشيل أماري في مقدمته لترجمة الكتاب إلى الإيطالية، وطبعت الترجمة أول مرة في فلورنسة ثم في لندن منذ قرن(٧). ثم ظهر كتاب ابن ظفر في طبعات مصرية وتونسية ولبنانية في نهاية القرن التاسع عشر(٨)، وطبعت منه طبعات فارسية وتركية(٩). واعتمد طبعات كتاب السلوان وترجماته على النسخة المعدلة من الكتاب التي كتبت في عام ١١٥٩م، وعليها اعتمد الناسخ العربي المجهول الذي نسخ مخطوطة السلوان رقم ٥٢٨ في الإسكوريال(١٠).

ظهور الصور الآدمية في لوحات إسلامية هو مما يسترعي الانتباه، وربما كان ذلك بتأثير التمازج الحضاري الذي شهدته الأندلس

ويتحدث ابن ظفر في هذا الكتاب عن قواعد السلوك التي ينبغي في رأيه أن يسير عليها الحكام أمام صروف الأقدار، ويصنفها في خمسة أقسام حللها أماري تحليلاً عميقًا. وتتحدث المؤلفة في (ص ٤ - ٨) عن هذه الأقسام وتحللها، وتذكر في (ص ٧) أن ابن ظفر، وهو يكتب كتابه المملوء بالحكايات الحقيقية، أو الخيالية، كان يستوحي كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع.

دراسة مقارنة

ويعدّ الفصل الثاني الذي تقوم فيه المؤلفة بدراسة هذه المنمنمات من أهم الدراسات التي تناولتها. إنها دراسة مقارنة، توثيقية، عرضت فيها المؤلفة للآراء المختلفة التي أبداها الباحثون حول هذا النوع من المنمنمات التي مثَّل فيها الفنان المجهول حكايات وردت في كتاب السلوان، وهي حكايات حقيقية أو وهمية، الغاية الأساسية منها هي الوعظ. وإن ظهور الصور الآدمية في لوحات إسلامية هو مما يسترعي الانتباه، خصوصًا أنه تم في حالة كتاب السلوان في وقت مبكر تاريخيًا، وربما كان ذلك بتأثير التمازج الحضاري الذي شهدته الأندلس. وخلصت المؤلفة

بعد موازنات، ومقاربات، جاءت فيها بأشباه تلك المنمنمات ونظائرها إلى أن تلك المنمنمات هي من صنع أحد الموريسكيين، ممن غادروا إسبانيا إلى المغرب العربي بعد سقوط غرناطة، وتتجلى فيها ثقافته العربية الإسلامية الممتزجة بالثقافة الإسبانية، فهو يستمد الحكايات من التراث العربي والفارسي والإسباني وغيرها. تقول المؤلفة: «إذاً، نميل إلى الاعتقاد أن هذا التأثير المزدوج المغربي والإسباني، الذي يبدو بوضوح في معرض الأزياء الرائع الذي تقدمه لنا مخطوطة دير الإسكوريال من كتاب السلوان، هو نتيجة ذلك التوليف الغريب الخاص بالموريسكيين في إسبانيا - والغرناطيين على وجه الخصوص - والذي سلطت عليه الأضواء بعض الدراسات الحديثة(١١). وإن كنا لا نستطيع كشف الغموض الذي يحيط بالفنان الذي نفذ منمنمات كتاب السلوان في ضوء معارفنا الحالية، فإننا نضع الفرضية الآتية: إن ذلك الفنان هو أحد الموريسكيين الذين تمردوا على محاولات التنصير التي فرضها العرش الإسباني، ويبدو أنه لجأ إلى المغرب الأقصى في النصف الأول من القرن السادس عشر، فهو إذاً من أولئك الرجال الذين عبروا المحيط، والذين يبرز لنا (أرشيف) الحمراء حياتهم الاجتماعية في أدق تفاصيلها. لقد احتفظ من مسقط رأسه، الذي كان مرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً في فن الرسم بالأسلوب الإسباني الذي نستشفه في إنجاز كل واحدة من منمنماته. لقد قرن بين الواقعية العملية والدقيقة في تمثيل البشر والحيوانات التي تدل على أن وراءها فناناً بارعاً، متمكناً في مهنته.

إن مخطوطة دير الإسكوريال من كتاب السلوان وثيقة ذات أهمية كبيرة لدراسة العادات والثياب لدى المسلمين في إسبانيا، ولدى المغاربة في القرن السادس عشر الميلادي، وينبغي أن يكون لها مكان مميز في الفن الإسباني - المسلم؛ إنها حلقة في سلسلة المخطوطات المزينة في الغرب الإسلامي، الذي لا نملك حوله حتى اليوم إلا إشارات بسيطة(١٢). إنها تستحق بعض الاهتمام بسبب الشهادة التي تؤديها في المجال الذي ذكرناه».

إن هذا الكتاب الذي ترجمناه إلى العربية، ونرجو أن نراه قريباً ينضم إلى مطبوعات دار الفيصل الثقافية، يقدم معلومات لا نجدها في مكان آخر عن تاريخ الفن العربي في الأندلس. ويتسم بطرح قضايا ذلك الفن ضمن الشروط الاجتماعية والتقاليد التي كانت سائدة في الغرب الإسلامي الذي مازال يتكشف عنه في كل يوم كلُّ ما يمتع ويفيد.

الهوامش والمراجع

١. في الترجمة التي اقتبسنا منها: سلوان المطاع في عدوان الطباع، وهو تصحيف صححناه كما ورد في المصادر التي ترجمت له.

٢. حاجي خليفة، كشف الظنون ٢/٦٦١. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي [بالألمانية] GAL 431/1. فكتور شوفان، ثبت بالمؤلفات العربية [بالفرنسية] لييج/ليبسك ٢/١٧٥.١٨٧. عن كتاب تاريخ صقلية الإسلامية، ص١٣٩ (الحاشية رقم٤).

٣. ريتسيانو، دائرة المعارف الإسلامية (بالإنجليزية) ٣/٩٧٠.

٤. فهرس المخطوطات العربية في الإسكوريال، مج١، باريس ١٨٨٤م، ص٣٥٥ - ٣٥٨.

٥. ترجمة ابن ظفر في: موسوعة الإسلام L'Encyclapedie de L'Islam (الطبعة الأولى)، مج٢، ص٤٥٥، وانظر بروكلمان (بالألمانية) ١/٣٥١ - ٣٥٢ والملحق ١/٥٩٥ - ٥٩٦.

٦. انظر وفيات الأعيان (ط. بولاق ١٢٩٩هـ/١٨٨١م)، مج١، ص٦٦٠، والسيوطي في بغية الوعاة، القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص ٥٥ - ٦٠.

٧. في عام ١٨٥١ بعنوان سلوان المطاع، ثم في عام ١٨٨٢م. وظهرت ترجمة إنجليزية في مجلدين عن الإيطالية في لندن عام ١٨٥٢م لها مقدمة تحتوي على دراسة أساسية حول ابن ظفر: حياته ومؤلفاته. وتقارب مخطوطات سلوان المطاع في أوربا العشرين ذكرها أماري في مقدمته لترجمته الإيطالية في عام ١٨٥١م، وهي مذكورة أيضاً في مقدمة الترجمة الإنجليزية (ص٩٢ - ١٠٥)، ويضاف إليها نسخة فاس (القرويين) التي أشار إليها بلاشير ورينو في كتابهما: إحصاء أولي للمخطوطات العربية الموجودة في المكتبة العامة للمحمية الفرنسية في المغرب (١٩٢٩ - ١٩٣٠م)، هسبريس، XII، ١٩٣١، الكراسة ١، ص١١٧.

٨. طبع سلوان المطاع في القاهرة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م، وفي تونس ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، وفي بيروت ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م.

٩. انظر: المجلة الآسيوية، ١٨٦٩، ١١، ص٨٦. وانظر أيضاً المراجع التي يذكر شوفان. V. Chauvin في كتابه: ببليوغرافية لكتب العرب التي تتحدث عن كتب العرب المطبوعة في أوربا المسيحية من ١٨١٠ - ١٨٥٥م، مج ٢، لييج ١٨٩٧م، ص ١٧٥ - ١٨٧.

١٠. في الإسكوريال نسختان أخريان من السلوان غير مزينتين برقم ٧١٣ غير مؤرخة، ورقم ٧٦١ منسوخة سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م. وقد حلل أماري في مقدمة ترجمة الكتاب إلى الإنجليزية (ص١٠٢) مقدمة ابن ظفر الأولى لكتابه، وحلل المقدمة الثانية في (ص١٠٣) والفروق التي أشار إليها المستشرق الإيطالي (أماري) الذي كان يستخدم النسخة المعدلة من كتاب السلوان.

١١. انظر أريي، الدراسات حول الموريسكيين في إسبانيا، في ضوء بعض الأعمال الحديثة في مجلة الدراسات الإسلامية، ١٩٦٧م، ص ٢٢٥ - ٢٢٩.

١٢. إن المخطوطات المزينة بالرسوم التي وصلتنا من الغرب الإسلامي نادرة. انظر: ل. توريس بالبيس ,L. Torres Balb?s، المنمنمات الإسبانية القروسطية de influjo الإسلامية في مجلة الأندلس، العدد (١٥) ١٩٥٠م، ص ١٩١ - ٢٠٢. لقد أثار اكتشاف لوفي ديلا فيدا Vida G. Levi della في مكتبة الفاتيكان عام ١٩١٤م المخطوطة المزينة لكتاب قصة بياض ورياض ضجة كبيرة. ونعتقد أننا قادرون على تأريخه من القرن الثالث عشر الميلادي؛ لأن الأشكال الخطية، وتفاصيل العمارة تسمح بنسبتها إلى فنان مسلم ولد في إفريقية الشمالية أو في إسبانيا. وإن المخطوطة الوحيدة المكتشفة حتى يوم الناس هذا من الغرب الإسلامي، والتي تفصح عن أصلها هي: مقالة عن النجوم الثابتة للصوفي، أنجزت في Ceuta عام ١٢٢٤م. انظر ايتينغوسين، م.س، ص١٢٥.

طب الفقراء والمساكين

مراجعة: صادق العبادي
طهران - إيران

ضمن سلسلة الفكر الإسلامي التي تصدرها مؤسسة الدراسات الإسلامية (جامعة طهران) بالتعاون مع المؤسسة الدولية للثقافة والحضارة الإسلامية (ماليزيا)(١)، صدر كتاب «طب الفقراء والمساكين» لأبي جعفر ابن الجزّار (٢٨٥هـ - ٣٦٩هـ) الطبيب التونسي، بطبعة محققة للدكتورة وجيهة كاظم آل طعمة في ٢٤٠ صفحة.

وللتوجه الإنساني والاجتماعي لهذا الكتاب - الذي استهدف في خطابه الطبقة العامة من المجتمع، بعكس كل الكتب الطبية في تلك المرحلة التي كانت تخاطب العلماء والحكماء والأطباء - نستعرض أهم ما جاء في هذا الكتاب العلمي من تراث المسلمين.

الطب مهنة إنسانية

منذ القديم عُدّت مهنة الطب مهنة إنسانية شريفة تستهدف تقديم خدمة لأبناء البشر قبل استهداف الأجر واكتساب المال؛ ذلك لأن عمل الطبابة يرتبط بحياة الإنسان وإنقاذه من الموت، أو من العذاب والألم الناتجين من المرض، ولأن الأديان السماوية والقيم الأخلاقية الفطرية دعت الإنسان منذ البداية إلى خدمة بني البشر، فإن المشتغلين في مختلف مجالات الطب عدوا عملهم خدمة إنسانية قبل أن يكون نشاطاً تجارياً.

ولكن، ولصعوبة هذه المهنة وتعقيداتها، فإن العلاج والتطبيب كان في كثير من الأحيان نادراً ويكلّف ثمناً باهظاً، وكان الملوك والحكام والأثرياء من الناس يحظون بالعناية الطبية الفائقة بسبب امتلاكهم الإمكانات المادية لاستقدام الأطباء المطلوبين من أي مكان من العالم ولتوفير ما يلزم من الأدوية النادرة. بينما كان الفقراء وخاصة في القرى والأرياف البعيدة عن المراكز العلمية، يعانون الحرمان في هذا المجال، إما لعدم وجود الطبيب، وإما لعدم القدرة المالية على توفير الأدوية التي تحتويها الوصفات الطبية.

ولحل هذه الإشكالية، ولكي لا يأخذ الطب صيغة الاحتكار على أصحاب النفوذ والمال، فقد اتجه الكثير من الأطباء قديماً إلى تأليف كتب طبية تهتم بالمعالجات البسيطة والأدوية والعقاقير المتوافرة، لاستفادة الفقراء والمساكين الذين قد لا تصل أيديهم إلى الأطباء، ولاسيما المشاهير والحاذقين منهم، أو لا يستطيعون شراء الأدوية المطلوبة.

ولذلك نجد طبيباً كبيراً كالرازي عندما يكتب كتابا باسم «الطب الملوكي» لوالي طبرستان، يكتب في الوقت نفسه كتاباً آخر باسم «من لا يحضره الطبيب»؛ وذلك لمن لا يقدرون على مراجعة الطبيب لأي سببٍ من الأسباب.

وفي هذا المجال، أيضاً كتب أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد الجزّار القيرواني كتاباً أسماه «طب الفقراء والمساكين» الذي نحن بصدد تقديمه للقارئ الكريم.

حياة ابن الجزّار الطبيب

وُلد ابن الجزّار في عائلة اهتمت بالطب، فقد كان أبوه كحّالاً (طبيب عيون) كما كان عمه أبو بكر طبيباً أيضاً، وذلك في مدينة القيروان(٢) شمال إفريقية.

وأصبح ابن الجزّار أحد مشاهير الأطباء المسلمين في عصره، فقد قام بالاستفادة من علوم القدماء بتطوير ثقافة علمية مدهشة اعتماداً على تجاربه الشخصية.

وكان لمدينة القيروان التي نشأ فيها ابن الجزّار، والتي تعدّ أحد أهم المراكز العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، الأثر الكبير في بروز هذه الشخصية العالمية، فقد تخرّج في مدرستها الطبية(٣).

«لقد كان ابن الجزّار في علمه ومؤلفاته كالمتنبي، إن صح التعبير، مالئ الدنيا وشاغل الناس، حتى أصبح الناس بين محب له يظهر ما في مؤلفاته وسيرته من محاسن ودقة، ومنهم من حجب عن علمه وتتبع سيرته، وربما ألصق به التهم، والتقط العيوب ليغض من شهرته، ويقلل من أهميته. [مقدمة المحقق] ويعتقد الدكتور قطاية أن ابن الجزّار كان إمامياً، ولهذا لم يكن يحبه المالكيون، وأهملوه(٤).

طب الفقراء، و المساكين

أبوجعفر أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد بن الجزار

طب الفقراء والمساكين
أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار
تحقيق: د. وجيهة كاظم آل طعمة
طهران: سلسلة الفكر الإسلامي، مؤسسة الدراسات الإسلامية، جامعة طهران، بالتعاون مع المؤسسة الدولية للثقافة والحضارة الإسلامية، ماليزيا، ١٩٩٦م.

يقول ابن جلجل (ت: بعد ٣٧٧هـ) في (طبقات الأطباء والحكماء): إن ابن الجزّار «كان من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم».

ولم يكن ابن الجزّار يتردد على بيت أحد من رجال الدولة ولا حتى الملك، ويلخص ياقوت الحموي هذا المسلك في عبارة واحدة: «كان صائناً لنفسه، منقبضاً عن الملوك»(٥).

كما لم يكن يتقاضى من الفقراء شيئاً، وكان يستقبلهم ويساعدهم دائماً، وهذه الميزة تكشف عن الوجه الاجتماعي والأخلاقي لهذا الطبيب، ويبدو أنه انطلاقاً من هذه المناقبية الإيجابية فيه ألّف كتابه «طب الفقراء والمساكين» مساعدة منه للطبقات الاجتماعية الضعيفة.

مؤلفات ابن الجزّار

تشير وجيهة كاظم آل طعمة - التي قامت بتحقيق «كتاب طب الفقراء والمساكين» - إلى أنها حصلت على عناوين أعمال ابن الجزّار وآثاره، وهي تبلغ ٤٧ كتاباً، ١٣ منها في التاريخ والأدب، و٣٤ منها في الطب(٦). أهمها كتاب «زاد المسافر وقوت الحاضر» الذي يُعد أكثر أعمال ابن الجزار شهرة، وهو قد حصل على شهرته في الآفاق بسبب هذا الكتاب. (مقدمة الكتاب) وإن كتبه رحلت إلى الأندلس وعرفت هناك، ومنها انتقلت إلى العالم الجديد. فمن كتبه: «كتاب إبدال العقاقير» (نسخة مخطوطة في الإسكوريال)، «كتاب اعتماد الأدوية المفردة» (ترجم إلى اللاتينية)، «كتاب الخواص» (ترجم إلى اللاتينية والعبرية). «كتاب طب المشايخ وحفظ صحتهم».

تحقيق كتاب طب الفقراء والمساكين

اختارت وجيهة كاظم آل طعمة كتاب «طب الفقراء والمساكين» لابن الجزّار القيرواني لتحقيقه وتقديمه للقارئ العربي كرسالة الدكتوراه لها في جامعة غرناطة في إسبانيا، وذلك بمساعدة مؤسسة التقدم العلمي في الكويت التي قدمت لها منحة مالية لإكمال المشروع.

تقول آل طعمة عن عملها في تمهيد الكتاب: «يتألف عملي أساساً من تقديم طبعة محققة لهذا الكتاب، اعتمدت فيه نسخة الإسكوريال الموريسكية أصلاً للعمل، واستعنت بنسخ أخرى؛ فواحدة مشرقية محفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد، وأخرى من المكتبة الوطنية بباريس وخطها مغربي، والأخيرة أيضاً مغربية الخط محفوظة في مكتبة جامعة كامبردج». (تمهيد ص٥).

وكتبت آل طعمة مقدمة موجزة عن ابن الجزّار: حياته وأعماله، قبل نص الكتاب، وحاولت عبرها إعطاء لمحة مكثفة عنه وعن كل أعماله التي ذكرها من ترجم له.

كما وضعت المحققة معجماً للمصطلحات الطبية والنباتية والدوائية الواردة في النص، مع ببليوغرافية للمصادر التي استفادت منها في هذا العمل التحقيقي، في آخر الكتاب.

وتعتقد المحققة أن كتاب «طب الفقراء والمساكين» ما هو إلا اختصار لكتابه الواسع الانتشار الذي مرّ ذكره «زاد المسافر وقوت الحاضر» الذي يدين ابن الجزار بشهرته لهذا الكتاب. (تمهيد ص٣).

أبواب الكتاب وخطة التأليف

يتألف الكتاب من ٧٠ باباً يذكر المؤلف عناوينها بعد البسملة في بداية الكتاب وقبل المقدمة.

ويبدو واضحاً بعد التأمل في عناوين الأبواب أن المؤلف وضع الكتاب وفق خطة مرتبة، وليست الأبواب السبعون عبثاً وفوضى.

فالأبواب الخمسة والعشرون الأولى، تعالج الأمراض والعلل التي تصيب الرأس وأعضاءه حسب الترتيب الآتي:

الأبواب ١، ٢، ٣: حول الصداع، و٤، ٥ حول الصلع والقمل.

والأبواب (٦ - ٩) حول أمراض الأذن. والأبواب (١٠ - ١٣) لمعالجة أمراض العين. والأبواب (١٤ - ١٨) عن أمراض الجهاز التنفسي العلوي (الأنف). الباب ١٩ عن معالجة الكلف والنمش في الوجه. أما الأبواب (٢٠ - ٢٥) فتعالج أمراض الفم. وتعالج الأبواب (٢٦ - ٥٣) الأمراض الداخلية بالترتيب الآتي:

الجهاز التنفسي: (٢٦ - ٢٩)، الجهاز الهضمي: (٣٠ - ٤١)، الجهاز البولي: (٤٢ - ٤٦)، الجهاز التناسلي: (٤٧ - ٥٣)، وتتعامل الأبواب (٥٤ - ٧٠) مع أمراض عامة مثل: النقرس (٥٤) والأورام المختلفة (٥٥ - ٥٨) والدمامل (٥٩) وآثار الحروق وضرب السياط (٦٠ - ٦١) والأمراض الجلدية (٦٢ - ٦٦)، والسرطان (٦٧) وعلاج عضة الكلب ولسعات العقارب والأفاعي (٦٧ - ٧٠).

مقدمة الكتاب

يقدم المصنِّف مقدمة قصيرة لكتابه يتناول فيها دافعه إلى تأليف الكتاب، والهدف منه، وأسلوبه، ومصادر الأدوية والعقاقير الواردة فيه.

جاء في المقدمة:

«قال أحمد بن إبراهيم: إني رأيت كثيراً من عظماء الأطباء وضعوا كتباً في علاج الأمراض التي تعرض في أعضاء الأبدان، وعنوا في ذلك بحسن العناية بأهل الأدواء...» ثم يشير المؤلف إلى تصنيفه لكتاب «زاد المسافر وقوت الحاضر»، ويضيف: «إلا أنّي لما رأيت كثيراً من أهل الفقر والمسكنة يعجزون عن إدراك منافع ذلك الكتاب (يقصد: زاد المسافر) وغيره من سائر الكتب التي ألّفها الحكماء الماضون في حفظ الصحة للأصحّاء، ورد المريض إلى الصحة، لفقرهم وقلة طاقتهم عن وجود الأشياء التي هي مواد العلاج(٧) فألفت عند ذلك ما قد علمته كتاباً بالأدوية التي يسهل وجودها بأخف مؤونة وأيسر كلفة، فيسهل عند ذلك على الأطباء علاج العلة من الناس، وأهل الفقر والمسكنة منهم»(٨).

نماذج من الكتاب

ولأن الكتاب يهدف بالدرجة الأولى إلى تسهيل العلاج والتطبيب وإحضار الأدوية للفقراء وأهل المسكنة، فإن أكثر المواد استخداماً في الوصفات الطبية هي المواد الخمس الآتية التي تتوافر في كل مكان وبسهولة وبأيسر الأثمان:

- الماء، ويستخدم كمذيب في أكثر الوصفات.
- زيت الزيتون الذي يدخل في أكثر التركيبات، ويستخدم أحياناً لخواصه العلاجية، وأحياناً أخرى لمضاعفة تأثير بعض الأدوية.
- الخل، الذي يؤدي دوراً فعّالاً في آلام الرأس والجروح والتحصين ضد العدوى.
- العسل، ويستخدم في معالجة الجروح المفتوحة، ولإبادة الطفيليات، ولآلام الحنجرة، وعاملاً مساعداً لمواد طبية أخرى.
- الخمر، ويستخدم دواء بعد خلطه بمواد أخرى.

أما غير هذه المواد الخمس، فإن الوصفات العلاجية تحتوي على عناصر، وأعشاب، ومواد كانت متوافرة في تلك الأزمنة، والكثير منها متوافر حتى الآن. ولتسهيل التطبيب والمعالجة يضع المؤلف عدة أبدال للمواد، فلا يقيد الطبيب أو المريض بمادة معينة وإلاّ فلا.

وكمثال يذكر في علاج الصداع من الحر واستعمال الشمس(٩).

«إذا حدث الصداع في الصيف من الحر والمشي في الشمس، فينبغي لذلك أن يؤخذ دهن اللوز فيضرب بخل ويدهن به مقدم الرأس وهي الجبهة» فالعلاج يتكون من مادتين بسيطتين متوافرتين هما: دهن اللوز والخل، ومع ذلك فيجعل لهما بديلين آخرين، يقول: «فإن عُدِم دهن اللوز فيجعل بدله دهن زيت أنفاق، فإن عُدِم الخل فيُجعل بدله ماء بارد».

لكي لا يأخذ الطب صيغة الاحتكار على أصحاب النفوذ والمال، اتجه الكثير من الأطباء قديمًا إلى تأليف كتب طبية يستفيد منها الفقراء والمساكين

وتتعدد الأبدال أحيانًا حتى تصل إلى سبع مواد، ففي علاج الصداع من البرد المفرط يقول:

«إذا حدث الصداع من البرد في الشتاء، فينبغي لذلك أن يسكب على الرأس دهن السذاب وهي الروطة، أو دهن الدهمسة وهي الرند، أو دهن أذن الفار وهو المردوش. أو دهن البابونج، أو دهن الشبث ويسمى أناثة، أو دهن النعمان وهو الحبنور، أو دهن السوسن، أو ما أشبه ذلك من الأدهان الحارة»(١٠).

ونلاحظ في هذه الوصفة أمرين آخرين: أولاً؛ يذكر المؤلف لأغلب المواد اسمين؛ وذلك لأن الأعشاب والأدوية قد تختلف أسماؤها بين منطقة وأخرى. وثانيًا؛ بعد أن يذكر المؤلف سبعة أبدال يفسح المجال في النهاية للمعالج بإعطائه قاعدة طبية يستفيد منها في حالة انعدام كل تلك المواد السبع وذلك حين يصف له: «أو ما أشبه ذلك من الأدهان الحارة». ونشير هنا إلى مجموعة من المواد المستخدمة في وصفاته الطبية لنعرف مدى سهولتها وتوافرها: دقيق الشعير، ماء ريحان، عدس، ورق التين، قشور الفجل، الخردل، الشمع، بعر الماعز، ماء البحر أو الماء المالح مع الخل (كبديل)، بياض البيض، عصارة الفجل، ماء البصل، أحشاء البقر.

وبالطبع هناك العشرات من المواد الأخرى التي قد لا يتعرفها عامة الناس اليوم؛ وذلك بسبب توافر الأدوية والعقاقير، إلا أنها كانت معروفة ومتداولة ومتوافرة في العصور القديمة.

ومما يسهل الأمر هو المعجم الذي وضعته المحققة آل طعمة في نهاية الكتاب عن المفردات الدوائية والغذائية، فقد ذكرت جميع المواد الواردة في الوصفات الطبية للكتاب مع الاسم اللاتيني، والاسم باللغة الإسبانية.

الهوامش والمراجع

١. صدرت من هذه السلسلة محققة الكتب الآتية:
- الشكوك على جالينوس، محمد بن زكريا الرازي، تحقيق د. مهدي محقق، طهران ١٤١٣هـ.
- بيان الحق بضمان الصدق (العلم الإلهي)، أبو العباس فضل بن محمد اللوكري، تحقيق د. إبراهيم ديباجي، طهران ١٤١٤هـ.
- الأسئلة والأجوبة، (أسئلة أبي ريحان البيروني وإجابات ابن سينا حول طبيعة العالم)، تحقيق د. مهدي محقق و د. سيد حسن نصر، ماليزيا - كوالالمبور ١٤١٦هـ.
- الترجمة الفارسية لكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، رسالة الجراحة ووسائلها، لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي. طهران ١٤١٦هـ.

٢. القيروان، مدينة بتونس، أنشأها عقبة بن نافع عام ٦٧٠م، كانت مقر الحكام العرب (المسلمين) في غرب إفريقية، قامت بها عاصمة الفاطميين الأولى عام ٩٠٩م.
٣. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، المجلد الأول، ص ٦١٥ - ٦٥٥.
٤. مقدمة كتاب العدة لابن الجزّار، تحقيق د. سلمان قطاية، بغداد ١٩٨٠م.
٥. ياقوت الحموي، المعجم ١: ٨١.
٦. للمزيد حول مؤلفات ابن الجزّار يراجع:
- كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، بغداد ١٩٨٤م، الفصل السابع، الطب والأطباء في الأراضي التونسية، ٣٠٤/٣ - ٣٠٧ Sezgin, Gas.
- محمد محفوظ، معجم المؤلفين التونسيين جـ ١ - ٢ بيروت ١٩٨٢م.

٧. مقدمة المؤلف ص ٣٨.
٨. مقدمة المؤلف ص ٣٩.
٩. الكتاب ص ٤١.
١٠. الكتاب ص٤٣.



توزيع جائزة الملك فيصل

تكريم الأمير عبدالله الفيصل

معرض فني مشترك بين الأميرين خالد الفيصل وتشارلز

طفل عمره أكثر من ثلاثة ملايين سنة

اختراق المخابرات البريطانية

نهب رمبرانت ورينوار

بين أشيبي ومانديلا



خاتمة المطاف

التربية الذاتية وصناعة القرار

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين ولي العهد يمنح جوائز الملك فيصل العالمية للفائزين بها هذا العام


الأمير عبدالله بن عبد العزيز

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني مساء الجمعة في ٢٢ من ذي القعدة ١٤٢١هـ (١٦ فبراير/شباط ٢٠٠١م) حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) على الفائزين بها من رواد الفكر والثقافة والأدب والعلوم والطب في العالم، وذلك في مقر مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض.

وألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية كلمة ترحيبية، أكدّ فيها أهمية جائزة الملك فيصل وعالميتها، واستشهد على ذلك بما «قدمه الفائز بجائزة العلوم في العام الماضي جون كريغ فنتر من اكتشاف علمي في موضوع الجنيوم البشري وصف بأنه من أعظم الاكتشافات في تاريخ البشرية»، وقال سموه: «إن للاحتفالات العلمية مزايا كثيرة، ولكن احتفالنا اليوم له ميزة متفردة حيث تحتضن السلطة سلطان العلم، ويحتضن العلم رشاد السلطة فهنيئاً لنا جميعاً بهذا التناغم بين الإرادة والإدارة»، ثم قدم سموه التهنئة للفائزين والشكر للحاضرين.

وقدم الأمين العام للجائزة الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. وذكر حيثيات حصولهم عليها، إذ كانت جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام هذا العام من نصيب الهيئة العليا لجمع التبرعات لسلمي البوسنة والهرسك في المملكة العربية السعودية؛ وذلك لقيامها بأعمال جليلة، منها:

- برامج إغاثة شملت دعم حكومة البوسنة والهرسك للصمود أمام أعدائها، وتأمين المواد الإغاثية لمواطنيها من طعام وكساء وأدوية وعلاج، وإقامة مخيمات للمهجّرين منهم.
- برامج مساعدات اجتماعية شملت إيجارات السكن وتكاليف الكهرباء ووسائل التدفئة، كما شملت إمداد الأسر المحتاجة بالنقود، وكفالة الأيتام الذين بلغ عددهم ثلاثين ألفاً.
- برامج إعمار وتنمية شملت بناء المساجد والمدارس والكليات والمساكن وترميمها، وإعادة تأهيل خط سكة الحديد وشبكات الكهرباء، وتوفير البذور الزراعية والآلات الزراعية.
- برامج دعوة وتعليم شملت - إضافة إلى بناء الوسائل المادية كالمدارس والكليات - وضع الخطط والمناهج التعليمية، وطباعة الكتب وتوزيع المصاحف، وتقديم المنح الدراسية، وإعطاء مرتبات للأئمة والدعاة ومعلمي القرآن الكريم.

وقد أعلن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس اللجنة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك، إثر تسلمه جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام التي منحت هذا العام للهيئة أن قيمة الجائزة كلها ستذهب لصالح مسلمي البوسنة والهرسك.

ومنحت جائزة الأدب العربي وموضوعها «الدراسات التي تناولت فنون النثر الأدبي الحديث» مناصفة لكل من: الأستاذ الدكتور إبراهيم عبدالرحيم السعافين الأردني الجنسية، والأستاذ الدكتور منصور إبراهيم الحازمي السعودي الجنسية. ومن حيثيات منح هذه الجائزة للسعافين جهوده العلمية المستمرة منذ أكثر من ربع قرن في موضوع الجائزة من رواية وقصة قصيرة ومسرحية وصلتها بالتراث السردي العربي القديم؛ إضافة إلى دراسة أعمال الروائيين الرواد، ومشاركاته الفكرية المتعددة من خلال البحوث والمقالات والمؤتمرات المتنوعة.

أما الحازمي فقد منح الجائزة «لأنه من أبرز النقاد المعاصرين في المملكة العربية السعودية. وقد عني بنقد الرواية التاريخية في العالم العربي عامة، وبنقد الرواية والقصة القصيرة في المملكة خاصة، كما أسهم في رصد الإنتاج النثري في المملكة، وكان له فضل الريادة في هذا المجال».

وتسلم جائزة الطب وموضوعها «زراعة الأعضاء» كل من الأستاذ الدكتور السير روي يورك كالن البريطاني الجنسية، والأستاذ الدكتور نورمان إدوارد شموي الأمريكي الجنسية، والأستاذ الدكتور توماس إيرل ستارزل الأمريكي الجنسية. ومن حيثيات حصول كالن على الجائزة بحوثه البالغة الأثر في تطوير عملية زراعة الأعضاء من المراحل التجريبية في الحيوانات المخبرية إلى العلاج السريري

الروتيني مدة تزيد على ثلاثين عامًا. وفي عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م استخدم عقار السايكلوسبورين في زراعة الأعضاء الذي نجم عنه تحسين واضح في نتائج تلك العمليات، وفتح آفاقًا جديدة في طب زراعة الأعضاء. وقام بدور رائد في استحداث طريقة جراحية مبتكرة لزراعة الكبد، كما قام بتدريب الكثيرين من جراحي زراعة الأعضاء والباحثين في هذا الحقل على مستوى العالم.

أما الدكتور شموي، فيعد الأب الفعلي لزراعة القلب؛ إذ بدأ تقنية زراعته قبل ٤٠ عامًا في الحيوانات المخبرية، ووضع تفاصيل هذه التقنية التي مهدت الطريق لزراعة القلب في الإنسان، بما في ذلك تشخيص رفض الجسم للقلب المزروع بواسطة عينات من عضلته، وللاستخدام المناسب للعقاقير التي تثبِّط المناعة، ووضع قواعد إجراء زراعة القلب ومتابعتها.



الأمير سلمان بن عبد العزيز

وقد صاحبت أعماله السريرية تجارب مخبرية لإيضاح الاعتلال الوظيفي للمضاعفات السريرية والتدخلات العلاجية. وأصبح مستشفاه - عدة سنوات - المكان الوحيد في العالم الذي يجرى فيه برنامج لزراعة القلب بنجاح مستمر، كما تلمذ له أجيال من جراحي القلب الذين برعوا في جراحة زرع القلب في أنحاء العالم.

توماس إيرل



السير روي كالن



نورمان شموي

والدكتور توماس يعد رائدًا في زراعة الكبد، وهذا ما جعل مستشفاه مصنع تدريب وتأهيل لعدد من مشاهير جراحة زراعة الكبد. وكان لإسهاماته في مجال وظائف الكبد، ونمو خلاياها، ومتطلبات زراعتها، وعلاج رفض الجسم لها، وإعادة زراعتها بعد رفضه لها، وملاءمتها للشخص المستقبل، دور أساسي في نجاح زراعة الكبد على مستوى العالم. وله إسهامات بارزة في مجال تثبيط مناعة الجسم المستقبل للعضو المزروع ومناعة العضو نفسه، واستحداث أمصال ضد الخلايا اللمفاوية واستخدام السايكلوسبورين وأبداله. وهو أول من استخدم زراعة الكبد من الحيوانات إلى الإنسان. وقد أنشأ، وأدار، معهدًا للبحوث، يعد من أبرز مراكز البحث في مجال زراعة الأعضاء في العالم.

تشنغ ننغ يانغ

وتناصف جائزة العلوم، وموضوعها «الفيزياء»، كل من الأستاذ الدكتور ساجيف جون الكندي الجنسية، والأستاذ الدكتور تشن ننغ يانغ الأمريكي الجنسية، ونال الدكتور ساجيف الجائزة لاقتراحه طريقة جديدة لمعالجة المعلومات ونقلها من مكان إلى آخر بوسائل ضوئية. وقد نجحت مجموعات عدة من الفيزيائيين، في مناطق مختلفة من العالم، في وضع آرائه موضع التنفيذ. وإذا بلغت هذه المحاولات غاياتها فسيصبح من الممكن الاستغناء عن استعمال الإلكترونات في نقل الإشارات داخل أجهزة الحواسيب والاتصالات ليحل محلها الضوء. وسوف يؤدي ذلك إلى صنع أجهزة أسرع وأرخص وأكثر قدرة، فتتغير بذلك صناعة الحواسيب والاتصالات تغيرًا جذريًا.

ومنح الدكتور تشن جائزة العلوم لأنه واحد من أعظم علماء الفيزياء المعاصرين. وقد حصل على جائزة نوبل لاكتشافه العظيم بأن الطبيعة تميِّز اليمين من الشمال في التفاعلات النووية الضعيفة، مما يخالف الرأي الذي كان سائدًا. وقد قام بإسهام أساسي آخر في الفيزياء عندما أبدع هيكلاً نظريًا جديدًا تطور، فيما بعد، حتى أصبح أساس النظرية الحالية لبنية المادة في أصغر الأبعاد وأعلى الطاقات.



ساجيف جون

وقد أثنى الفائزون في كلماتهم على الجائزة وأشادوا بها، وعبروا عن فخرهم وسعادتهم بالفوز بها.

وكانت جائزة الدراسات الإسلامية قد حجبت للمرة السادسة منذ تأسيسها، وكان موضوعها الدراسات التي عنيت بكتب الفتاوى «النوازل»؛ وذلك لعدم أهلية الترشيحات للحصول عليها، كما أعلنت موضوعات الجائزة للسنة القادمة (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، وكانت كالآتي: الدراسات الإسلامية: «الدراسات التي عنيت بمقاصد الشريعة»، والأدب العربي: «الدراسات التي تناولت الأدب العربي الفلسطيني الحديث في تاريخه أو كتبه أو رجاله أو قضاياه»، والطب: «الخلل الوظيفي لقصور القلب المزمن»، والعلوم: «الرياضيات».

جائزة برنامج الخليج العربي العالمية


الأمير طلال بن عبد العزيز

دعا برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية أجفند Agfund الجهات المعنية بالترشيح لجائزة برنامج الخليج العربي العالمية للمشروعات التنموية، إلى تقديم ترشيحاتها على فروع الجائزة الثلاثة التي جاءت موضوعاتها لعام ٢٠٠١م على النحو الآتي:

- موضوع جائزة الفرع الأول: «استخدام تقنية المعلومات في التعليم والصحة»، مخصص للمشروعات الرائدة المنفذة عن طريق المنظمات الأممية والدولية والإقليمية.

- موضوع جائزة الفرع الثاني: «تقديم القروض المتناهية الصغر من خلال الجمعيات الأهلية»، مخصص للمشروعات الرائدة المنفذة عن طريق الجمعيات الأهلية.

- موضوع جائزة الفرع الثالث: «تعزيز العمل التطوعي في المجتمع»، مخصص للمشروعات الرائدة المنفذة عن طريق الأفراد.

ونبه برنامج الخليج العربي الراغبين في الترشيح إلى أن يوم ٣٠ يونيو/حزيران ٢٠٠١م هو الموعد المحدد لانتهاء الترشيح.

ترسل الترشيحات على هذا العنوان:

الرياض ١١٤١٥ ص.ب ١٨٣٧١ أو على البريد الإلكتروني Prmedia@agfund.org أو عبر الاستمارة الإلكترونية المدرجة في موقع البرنامج على الإنترنت .www.agfund.org

وتبلغ قيمة جائزة برنامج الخليج العربي ٣٠٠ ألف دولار أمريكي موزعة على الفروع.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز رئيس برنامج الخليج العربي قد رعى في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي تسليم الجائزة للفائزين بها في عامها الثاني ٢٠٠٠م، وذلك في مقر الأمم المتحدة في جنيف.

تكريم الأمير عبدالله الفيصل


الأمير عبدالله الفيصل

بمناسبة تكريم صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل الذي تتبناه دار الشيخة سعاد الصباح تقديراً لعطاءات سموه وإبداعه خلال مسيرته الشعرية والثقافية والرياضية والإدارية، عقد صاحب السمو الملكي الأمير محمد العبدالله الفيصل مؤتمراً صحفياً في مساء يوم الثلاثاء ١٩من ذي القعدة سنة ١٤٢١هـ بقصر الأمير عبدالله الفيصل بحي الأندلس بمدينة جدة، أشار فيه إلى أن هذا التكريم هو اعتراف بإسهامات الأمير عبدالله الفيصل ومسيرته الثقافية الحافلة التي وجدت التقدير من الجميع.

وبين سموه أنه تم اعتماد برنامج للتكريم يتمثل في إصدار كتاب توثيق يتكون من جزءين، ، ويتناول الجانب الأدبي في حياة الأمير عبدالله الفيصل، إضافة إلى بعض الوثائق المهمة في حياته الخاصة والوظيفية ولقاءاته مع الملوك والرؤساء والقادة والفنانين، كما سيتضمن أبحاثاً عن أدبه، ويتضمن برنامج التكريم كذلك إقامة ندوة متخصصة عن أدب سموه ودوره الاجتماعي.

وقال الأمير محمد عبدالله الفيصل: إن هذا التكريم سيتم ضمن فعاليات دورة الصداقة التي ستعقد في شهر أغسطس / آب المقبل في مدينة أبها.

وشهد هذا المؤتمر الصحفي عدد كبير من المثقفين والمهتمين بشعر الأمير عبدالله الفيصل.

معرض مشترك بين الأميرين خالد الفيصل وتشارلز

زار صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني المعرض الفني المشترك «رسم ورعاية» لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ومدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وسمو الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا وأمير ويلز، والذي افتتح رسمياً مساء يوم الأحد ٢٤ ذي

القعدة الماضي في قاعة الفيصلية التابعة لمؤسسة الملك فيصل الخيرية.

وقد ألقى الأمير خالد الفيصل كلمة في الافتتاح رحب فيها بالأمير تشارلز قائلاً: «باسم جمال الصحراء، باسم شروق الشمس وغروبها على كثبان نجد، باسم حبات المطر على زهور الصحراء، باسم الخيول العربية الأصيلة، باسم غزلان نجد، وطير الحبارى، أرحب بسموكم ضيفًا كريمًا وفنانًا عظيمًا، لقد كان في حضوركم الأثر الكبير في نفسي، وهذا حضور له دلالة واضحة باهتمام سموكم بالروابط الثقافية بين بلدينا، وأحيي في سموكم اهتمامكم الدائم في تنمية الحضارة في هذا العالم»، وشكر سموه الحضور والهيئات الداعمة والمنظمة للمعرض.

بعد ذلك ألقى الأمير تشارلز كلمة عبر فيها عن سعادته بمبادرة الأمير خالد الفيصل في تأسيس هذا المشروع في لندن، ومواصلة جهوده هنا في السعودية،



من أعمال الأمير خالد الفيصل



من أعمال الأمير تشارلز



الأمير خالد الفيصل والأمير تشارلز

وقال: إن المعرض يعبر عن الشراكة الحقيقية بين السعودية وبريطانيا، وأشاد بمساعدة الأمير خالد الفيصل في تأسيس المدرسة الصيفية لطلبة الفن في لندن، وقال الأمير تشارلز: إن الحضارتين الإسلامية والغربية على«الرغم مما لهما خصوصيتهما، إلا أنهما تشتركان في أمور جميلة كالفن والثقافة».

وجاءت لوحات الأمير خالد الفيصل عن مشاهداته للنواحي الجمالية في الطبيعة الساحرة لمنطقة عسير، وتضمنت لوحات الأمير تشارلز تصوير جوانب من جمال الطبيعة في اليونان وفرنسا، واسكتلندا؛ إضافة إلى منطقة عسير، كما ضم المعرض لوحات لفنان الرحلة الملكية جيمس هارت داك الذي أبدع في تصوير الطبيعة في منطقة عسير.

يذكر أن هذا المعرض نفسه قد أقيم في يونيو/حزيران الماضي في القاعة الكبرى في قصر بانكويتنغ هاوس وسط لندن.

الحازمي والسعافين يحاضران عن الرواية

ضمن الاحتفال بتسلم جائزة الملك فيصل العالمية أقامت الأمانة العامة للجائزة، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية محاضرتين الأولى في يوم ٢٤ ذي القعدة الماضي، وكانت بعنوان: «من رواية الماضي إلى رواية الحاضر.. نظرة في بعض فنوننا النثرية المعاصرة» وقدمها الدكتور منصور الحازمي الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية مناصفة في الأدب العربي، وأدار الحوار الأستاذ يحيى الأمير الذي قدم المحاضرة بقصيدة شعرية أثنى فيها على المحاضر.

وسرد الحازمي بعض تجاربه وذكرياته التي بدأت مع تناوله النقدي لرواية «ثمن التضحية» للكاتب حامد الدمنهوري، وهو أول عمل نقدي جريء قام به عندما كان معيداً في الجامعة، واستعرض الحازمي بعض أحداث الرواية بغرض استحضارها نقدياً مشيراً إلى آراء عبدالله عبدالجبار والدكتور محمد الشنطي، وموازنتها بروايات نجيب محفوظ، كما وازن بين هذه الرواية ورواية «زينب» للدكتور محمد حسين هيكل، وعقد موازنة أخرى بين رواية «شقة الحرية» لغازي القصيبي، ورواية «ثمن التضحية» لحامد دمنهوري موضحاً الفوارق بينهما.



الحازمي

وذكر المحاضر أن الرواية التاريخية أكثر صعوبة من الرواية الواقعية، وتناول بعض النماذج للرواية التاريخية التي كتبها مؤلفون غربيون، وآراء بعض النقاد، مثل الناقد جورج لوكاش.

ثم تتبع مسيرة الرواية التاريخية معدداً المراحل التي مرت بها والتيارات الفكرية والسياسية التي تحكمت في مسيرتها.

وذكر أن أخصب فترة ازدهرت فيها الرواية التاريخية هي فترة الأربعينيات على يد محمد فريد أبو حديد ونجيب محفوظ، وأحمد باكثير الذين أعطوها مجالاً شكلياً وشمولياً في النظرة.

ونفى الدكتور سلطان القحطاني في مداخلته صفة الروائي عن غازي القصيبي وتركي الحمد، ووصف قراءات عبدالله عبدالجبار بالإنشائية، وذكر أن موازنة الشنطي بين رواية نجيب محفوظ وثمن التضحية غير منطقية.

وكانت المحاضرة الثانية بعنوان «الرواية العربية المعاصرة.. واقع وآفاق» ألقاها الدكتور إبراهيم عبدالرحيم السعافين الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي مناصفة هذا العام في يوم ٢٥ من ذي القعدة الماضي، وأدار الحوار الدكتور سلطان القحطاني.

تركز الحديث بداية في مرجعية الرواية العربية، وجاء ذلك في مثل سؤال: هل تلك المرجعية غربية أم عربية؟



السعافين

وفي إجابته عن هذا السؤال قال المحاضر. «إذا تأملنا نشوءها نجدها بدأت عام ١٨٧٠م، وكانت مشابهة للرومانس الغربي. ولو توقفنا عند العناصر التي تؤسس للرواية من حيث الزمان والمكان لوجدنا أن هذه العناصر تستدعي التراث العربي. فمن الصعب أن نجعل هذه العناصر للشكل الغربي، فالكاتب يلجأ لمثل هذا الشكل ليقدمه للقراء لينسجم مع ثقافتهم المعرفية واللغوية والحكائية، فمن الصعب القول: إن هذه الرواية ذات مرجعية غربية، لأنها تنسجم مع ثقافة الشارع العربي ومع وجدانه».

وعن ارتباط الرواية العربية قال: الرواية العربية بدأت تتحرر في نهاية الستينيات من الواقعية باتجاه التجريب، ولكن هذا التجريب سار في مسارين: أولهما: استخدام التقنيات الغربية في التحليلات النفسية، أما المسار الآخر فاتجه نحو التراث، مثل نجيب محفوظ، وجمال الغيطاني، والطاهر وطار، فالتراث بالنسبة إليهم أداة من أدوات التجريب.

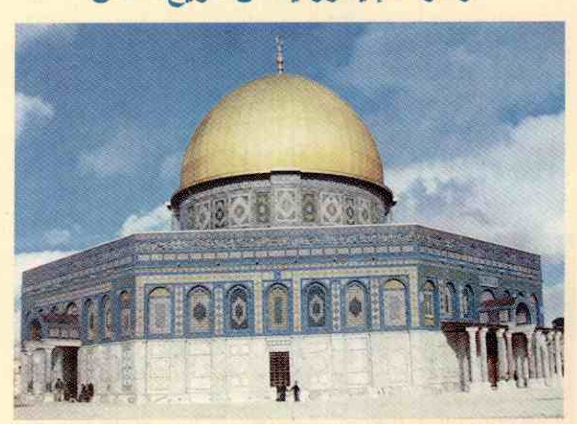
فكانت الرواية في هذه الفترة تحاول أن تتخلى عن الواقعية، فكان الروائي يظن أنه يعرف العالم بصورة واضحة ومكتملة، فالمبدعون بدؤوا يحسون أنهم لابد أن يكتبوا رواياتهم ويحملوها محمولات ثقافية من جميع الاتجاهات المعرفية.

ثم تناول المحاضر مسار العملية النقدية قائلاً: قد جاءت حركة النقد الجديد فكان هناك النقد السياقي، ثم جاءت البنوية لتحاور الظاهراتية، ثم التفكيكية لتحاور البنوية، ثم جاء النقد الثقافي ليحاور النص، وأراد توسيع السياق وتوظيف المعطيات الثقافية مرة أخرى، وما حدث مع الإبداع أن القضية من خلال رؤية واقعية جديدة تحاول أن تفهم العالم لا أن تحدد له مساراً واحداً. ومن هنا نجد أن الأعمال الروائية تعيد طرح المشكلات من خلال الحياة والواقع والمجتمع، وسأل المحاضر: إلى أي حد يمكن للكاتب أن يستثمر العناصر لكي يبقى عمله حاضراً في أذهان الناس وعقولهم؟

وأضاف السعافين أنه اطلع على عدد من الروايات

التي تتجه لإبراز الجنس عنصراً للتشويق، لكن يعتقد أن هذه الأعمال لن تعمر طويلاً، لأن أي معيار للعمل الفني لابد أن يهتم بالجوهر الإنساني. وأما هذا الكلام فهو تلذذ، ولذلك فإن الروائيين الكبار لا يهتمون بهذه الفقاعات من الروايات.

موسوعة إليكترونية عن تاريخ القدس



القدس

صدر في القاهرة مؤخراً موسوعة إلكترونية جديدة تحكي تاريخ القدس خلال خمسة آلاف عام باستخدام أسلوب الوسائط المتعددة.

تحتوي الموسوعة التي أصدرتها دار سفير للنشر في أسطوانتين مدمجتين على خمس ساعات فيديو موزعة على عشر حلقات تحكي تاريخ المدينة بدءاً بالكنعانيين «ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد» حتى الانتفاضة التي اندلعت عقب زيارة أرييل شارون زعيم حزب الليكود اليميني المتشدد في إسرائيل للحرم القدسي الشريف يوم ٢٨ سبتمبر/أيلول الماضي.

تحتوي الموسوعة على أكثر من ٥٠٠ صورة للقدس، والمسجد الأقصى، وقبة الصخرة وكنيسة القيامة، وترجمة لنحو ٥٠٠ شخصية عربية وصهيونية، كما أنها تتضمن التعريف بأكثر من ١٠٠ منظمة، وجمعية غربية، وصهيونية، وعربية ذات صلة.

وتقدم أيضاً ١٠٠ مقالة وتحليل تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، و١٠٠ تصريح مهم لشخصيات يهودية وعربية، ونحو ٥٠ وثيقة دولية حول الصراع من وثائق مجلس الأمن والأمم المتحدة.

رحيل محمود عارف



محمود عارف

توفي في مدينة جدة يوم الخميس ٢٨ ذي القعدة الماضي ٢٢ فبراير/شباط الشاعر والأديب السعودي محمود عارف عن عمر يناهز ٩٤ عاماً.

ولد محمود عبد الخير أحمد عارف في مدينة جدة سنة ١٣٢٧هـ في حارة المظلوم إحدى أكثر حارات جدة القديمة عراقة. حيث تلقى تعليمه الابتدائي في مدارس الفلاح بجدة، ثم عمل فيها مدرساً فيما بعد.

تنقل في عدد من الوظائف الحكومية فعمل موظفاً في وزارة المعارف، وفي إدارة الجوازات، وتحول إلى العمل الصحفي، فعمل محرراً في جريدة عكاظ، ثم رئيساً لتحريرها سنة ١٣٨٤هـ، ثم أختير عضواً في مجلس الشورى حتى تقاعده في سنة ١٤٠١هـ.

أصدر الشاعر الراحل عدداً من الدواوين الشعرية منها: هي والمزامير، والشاطئ، والسراة، وفي عيون الليل، وعلى مشارف الزمن، والروافد، وأرج ووهج، وأيام من العمر، ومدينتي جدة، ومشاعر على الضفاف، والفردوس الحالم، والعبور، وليل ونهار، وألحان السمر، وترانيم الليل، ونغمات عميقة، والزحف بعد العبور، وقافلة الصحراء.

كما أن له عدداً من الكتب النثرية المنشورة، منها: أصداء قلم، وليل نهار، وأوراق منسية، وحصاد الأيام، ومن أعماق الحياة.

حصل محمود عارف على جائزة الإبداع الأدبي من رابطة الأدب الحديث في القاهرة سنة ١٤٠٣هـ في الاحتفال الذي أقيم لإحياء ذكرى الشاعرين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي، كما كرمه نادي جدة الأدبي سنة ١٤٠٧هـ، ثم قام بجمع أعماله وإصدارها في مجلدين من ألف صفحة. كما كرمته جمعية الثقافة والفنون بجدة سنة ١٤٢٠هـ.

عاصمتا الثقافة الأوربية

أعلن رسمياً اختيار مدينة بورتو بشمال البرتغال واحدة من عاصمتين ثقافيتين لأوربا لهذا العام، إلى جانب مدينة روتردام الهولندية.

وبهذه المناسبة قامت مدينة بورتو البرتغالية التي يقطنها ٣١٠ آلاف نسمة بترميم جسر «بونتي دي لويس ١» المطل على نهر دورو، وأجزاء من وسط البلدة القديمة، وبنت قاعات للموسيقى ومتاحف لتضم لوحات للفنانين العالميين رامبرانت، وسلفادور دالي، ورينيه ماجريت. وما يزال العمل مستمراً في عدد من المشروعات التي لم تكتمل حتى الآن.

وأما في هولندا فقد افتتحت الملكة بياتريكس معرضاً بمتحف سيرالفيز للفن الحديث، كباكورة لسلسلة من الفعاليات التي ستقام بهذه المناسبة على مدى العام.

رحيل إيستبان

توفي في يناير/ كانون الثاني الماضي عن عمر يناهز التسعين عاماً الرسام الأمريكي من أصل إسباني، إيستبان فياسنت وهو أحد الممثلين الرئيسين للنزعة التأثيرية التجريدية.

ولد إيستبان بالقرب من سيجوفا بإسبانيا في ٢٠ يناير/ كانون الثاني ١٩٠٣م، وبدأ في دراسة فن النحت عام ١٩٥٢م في أكاديمية الفنون الجميلة في سان فرناندو بمدريد، ثم انتقل بعد دراسته إلى باريس، ثم إلى أمريكا، وانتمى إلى مدرسة نيويورك، وأصبح أحد رواد التأثيرية التجريدية إلى جانب الفنانين بولوك، ودي كوننج، وكلين ورنكو.

يذكر أن مدينة سيجوفا الإسبانية - مسقط رأسه - قد افتتحت عام ١٩٩٨م متحفاً يحمل اسمه، ويضم ١٥٠ عملاً من أعماله.

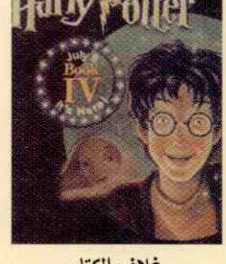
طفل عمره ٤ر٣ ملايين سنة

اكتشف العالم الأثيوبي الدكتور زيريسيناي إليمسيجيد جزءاً من هيكل عظمي لطفل عمره ٤ر٣ ملايين سنة، يقول الخبراء: إنه سيقدم معلومات قيمة تفيد في دراسة تطور الإنسان.

وصرح إليمسيجيد المتخصص في دراسة إنسان ما قبل التاريخ للصحفيين في أديس أبابا في ١٤ يناير/ كانون الثاني الماضي، أنهم عثروا على بقايا الفك السفلي وجزء من هيكل عظمي بما في ذلك الجمجمة لطفل من شبيه الإنسان، وكانت تلك الأجزاء محفوظة في حالة جيدة، وعثر عليها في بوسيدينا ديكيكا في منطقة عفار في مكان يقع على الحدود مع جيبوتي، كما عثر على عدد كبير من الحفريات للإنسان القديم بما في ذلك ما يطلق عليه اسم «لوسي».

وقال: «من المحتمل أن يكون ذلك أقدم شبيه للإنسان في حالة جيدة معروف إلى الآن». وأضاف أن الاكتشاف سيساعد على سد فجوة بين شبيه الإنسان القديم، وشبيه الإنسان الذي عثر عليه في فترات لاحقة.

لا للكتاب الإلكتروني



غلاف الكتاب

صرح الكاتب البرازيلي باولو كويلهو أنه لا يؤمن بمستقبل الأدب الذي ينشر ويبث عن طريق شبكة الإنترنت، على الرغم من أن ستاً من رواياته التسع المنشورة في ١٢٠ بلداً متاحة للقراء عبر الشبكة العالمية، إلا أنه يعتقد أن الإنترنت والأدب هما حقيقتان لا تتوافق إحداهما مع الأخرى.

وقال كويلهو الذي بيع من كتبه أكثر من ٢٩ مليون نسخة بـ ٤٥ لغة على امتداد العالم: «إن الكتاب من دون صفحات لا وجود له، والكتاب الإلكتروني ما هو إلا تجربة مصيرها الإخفاق، إذ إننا - نحن القراء - لم نبد أي موقف يعبر عن تنازلنا عن اللذة والرضا اللذين نحسهما في غمار لمس الصفحات».

وتأكيداً لما ذهب إليه كويلهو فإن هناك رغبة محمومة اجتاحت عدداً من المدن الأوربية والأمريكية لاقتناء نسخة من كتاب البريطانية جوان كاثلين رولينج «هاري بوتر وكأس النار» الذي سجلت مبيعاته أرقاماً قياسية، مما حيّر أهل الأطفال لقدرة هذا الكتاب على إبعاد أولادهم عن ألعابهم الإلكترونية وإعادة جذبهم إلى أحد أقدم وسائل التسلية وأكثرها تقليدية وهي: المطالعة.

وقد صدر مؤخراً الجزء الرابع من هذا الكتاب؛ إذ اهتمت به دار نشر «غاليمار» الفرنسية، وأعدت له

وسيلة تسويقية هي الأولى من نوعها، وطلبت من عدد من المكتبات أن تفتح أبوابها عند منتصف الليل من أحد الأيام التي حددتها حتى يفوز أكثر المتحمسين من المراهقين بنسخة من هذا الكتاب.

فاحتشد المراهقون بأعداد كبيرة أمام هذه المكتبات، ومع ذلك لم يتمكن من الفوز بنسخة من هذا الكتاب إلا الذين حجزوا نسخهم مسبقاً، ودفعوا مقدماً للمكتبة.

مؤلفة الكتاب مطلقة بريطانية تبلغ من العمر ٣٣ عاماً وأم لطفلة عمرها ٧سنوات، فقدت وظيفتها، وصارت تقضي زمناً طويلاً وهي جالسة في أحد المقاهي مما أوحى إليها فكرة تأليف هذا الكتاب.

وأكد ناشرو روايات هاري بوتر أنها الآن تقترب بسرعة كبيرة من اجتياز حاجز مئة مليون نسخة، إذ وصل آخر رقم سجل للمبيعات ٧٦ مليون نسخة، وقد ترجم الكتاب إلى ٤٢ لغة على امتداد العالم، وأصبحت مفرداته لغة شائعة يستخدمها المراهقون تلقائياً. وقد شرعت المؤلفة في كتابة الجزء الخامس من هذا الكتاب الذي تحولت بفضله من عاطلة عن العمل إلى صاحبة ثالث أكبر ثروة في بريطانيا.

مسلة بابلية

اكتشف الأثريون الأردنيون أضخم مسلة ملكية بابلية بعد مسلة حمورابي في العراق في محافظة الطفيلة الجنوبية التي تبعد نحو ١٧٥ كم عن عمان. وقال رئيس قسم الآثار بجامعة مؤتة الأردنية حمد القطامين: «إن اكتشاف المسلة سيساهم في تغيير الكثير من المفاهيم التاريخية والأثرية الخاصة بالمنطقة». ويبلغ طول هذه المسلة ثلاثة أمتار بعرض مترين، وتوجد بأعلاها نجمة سباعية بابلية، إضافة إلى رسومات لأحد الملوك البابليين، وكتابات بالخط المسماري.

جان بوي والأعمال الوحشية

أقيم مؤخراً في متحف الفنون الجميلة بمدينة روان الفرنسية معرض بعنوان «جان بوي والأعمال الوحشية» للرسام الفرنسي الراحل جان بوي، ويضم المعرض عدداً من الأعمال الفنية لهذا الفنان الذي تلقى تعليمه في مدرسة الفنون الجميلة في مدينة ليون الفرنسية، وكان أول أعماله الفنية قد عرض على الجمهور عام ١٩٠٥م.

ولد جان بوي في عام ١٨٧٦م وتوفي في عام ١٩٦٠م، وكان صديقاً حميماً لكل من الفنانين ماتيس ودوران.

عميدة الاستشراق



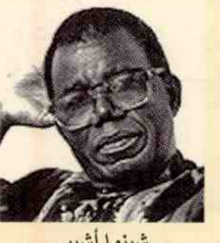
آن ماري شيمل

بدعوة من مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ألقت المستشرقة آن ماري شيمل محاضرة في إيغل هاوس مقر المؤسسة في لندن في ٢٨ فبراير/شباط الماضي.

وتعد البروفيسورة آن ماري، التي تبلغ من العمر ٧٦ عاماً، عميدة للاستشراق الألماني، وقد بدأت الكتابة وعمرها ١٨عاماً، فأصدرت أكثر من مئة كتاب في مختلف الدراسات الإسلامية شملت مبادئ الإسلام وأسسه، ومختارات من القرآن الكريم والحديث، وطرق التصوف واتجاهاتها، والزهد، ومكارم الأخلاق الإسلامية، كما ترجمت عدداً من روائع الأدب والشعر، وتجيد اثنتي عشرة لغة، وهي مازالت تدرس وتحاضر في جامعات بون وبرلين وماربورج وهارفارد وإسلام آباد وغيرها.

وقد شهدت لها الأوساط العلمية بالفضل في التقريب بين الشعوب والحضارات والتعريف بالقيم الإنسانية والحضارية في الإسلام، فكرَّمَتْها مؤسسات كثيرة ومنحت عدداً من الأوسمة والجوائز والشهادات والعضويات الفخرية، منها جائزة رابطة الكتاب الألماني للسلام عام ١٩٩٥م، ووسام الاستحقاق المصري في العلوم والفنون، من المرتبة الأولى، وأطلق اسمها على شارع في مدينة لاهور الباكستانية ليصبح اسمه (شارع آن ماري شيمل)، وهي الآن عضو في مجلس المؤسسة التي يرأسها الشيخ أحمد زكي يماني، وتضم عدداً من أقطاب التراث العربي، أمثال الراحل الشيخ حمد الجاسر، والدكتور صلاح الدين المنجد، والدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور عبدالهادي التازي وآخرين.

بين أشيبي ومانديلا



شينوا أشيبي

بمناسبة بلوغ الروائي النيجيري شينوا أشيبي السبعين من العمر أقيم حفل خاطبه الزعيم الإفريقي نيلسون مانديلا بقوله: «إن عظمة الروائي شينوا أشيبي، الأب المؤسس للرواية الإفريقية الحديثة باللغة الإنجليزية، تكمن في أنه قدم إفريقية للعالم بينما ظلت جذوره متأصلة في التربة الإفريقية»، وأضاف: «لقد وظف النيجيري أشيبي قلمه لتحرير القارة من ماضيها.. كل منا، في ظروفنا المختلفة. وفي سياق سيادة العنصر الأبيض على قارتنا السمراء، أصبحنا مقاتلين من أجل الحرية».

وقد صوّرت كلمة مانديلا، وأرسلت إلى أشيبي في أمريكا حيث يعمل أستاذًا للغات والأدب في كلية بارد في نيويورك، كما تلقى أيضًا تحيات وأمنيات الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان، والزعيم النيجيري أوباسانغو، وثلاثة من أصدقائه الذين فازوا بجائزة نوبل للآداب وهم: توني موريسون، وول سوينكا، ونادين جورديمر.

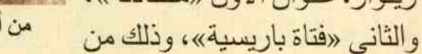
وينحدر أشيبي من قبيلة الإيجبو التي تقطن شرق نيجيريا، وقد تعرض أشيبي لكثير من الضغوط في وطنه قبل أن يهاجر إلى الولايات المتحدة التي وصل إليها بالمصادفة، حيث وصل بريطانيا أولاً مستشفيًا من حادث سير أصابه بالشلل واستدعى علاجه في بريطانيا التي غادرها بعد ذلك إلى أمريكا.

وتعد روايته «الأشياء تتداعى» التي كتبها عام ١٩٥٨م، وكان حينها في الثامن والعشرين من عمره، من أبرز أعماله الأدبية التي قدمته للأوساط الأدبية داخل القارة وخارجها، وقد تناول فيها الآثار المدمرة التي خلفتها الثقافة المسيحية الأوربية في ثقافة الإيجبو قبل الفترة الاستعمارية، وحققت الرواية انتشاراً واسعاً، وبيع منها ١٠ ملايين نسخة على مستوى العالم، وترجمت إلى ٤٥ لغة، وعدت كواحدة من الروايات الأكثر تداولاً خلال القرن العشرين.

وقد جنح أشيبي في روايته «بين الوطن والمنفى» إلى أسلوب السيرة الذاتية، وصوغ ذلك بقوله: «الأفكار التي أردت اصطيادها اتخذت منعطفًا ذاتيًا لأن السلطة الأخيرة التي يمكنني إيجادها هي من خبرتي الخاصة».

وانتدبته نيجيريا بحسبه كاتبًا، في أثناء حرب بيافرا (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠م)، لمقابلة الرئيس السنغالي الشاعر ليوبولد سينغور ـ مؤسس حركة الفرانكفونية الزنجية ـ لوقف الحرب، وهي المقابلة التي تغلب فيها الأدب على السياسة، فقد قال شيبي: «أرسلت من حكومة بيافرا لمقابلة سينغور بوصفي كاتباً أيضاً؛ وذلك على أمل إيقاف الحرب. تحدثنا عن بيافرا لمدة عشر دقائق وعن الأدب لمدة ساعتين»! ولم تغب المرأة عن روايات أشيبي كافة، وتزداد أهميتها عند الأزمات التي تهدد حياة الأمة.

رمبرانت ورينوار يتعرضان للنهب



من أعمال رينوار

ألقت شرطة ستوكهولم القبض مؤخراً على خمسة أشخاص سويسريين بتهمة المشاركة في سرقة ثلاثة أعمال فنية: لوحة لرمبرانت وعملين آخرين للرسام الانطباعي الفرنسي بيير أوجست رينوار، عنوان الأول «محادثة»، والثاني «فتاة باريسية»، وذلك من المتحف الوطني السويسري في نهاية ديسمبر/كانون الأول الماضي، وقد قدرت قيمة كل لوحة من هذه اللوحات المسروقة بما يراوح بين ٧٥ و١٠٠ مليون كورونا سويسرية.

وكان ثلاثة رجال، من أصحاب السوابق الإجرامية في مثل هذا النوع من الجرائم، مسلحين بمسدسات وبنادق هجومية اقتحموا المتحف عند ساعة إغلاقه، ونهبوا هذه اللوحات. ويضم المتحف الوطني السويسري مجموعات فنية مهمة ونادرة تشمل رسومات ومنحوتات وتصميمات سويسرية أخرى، إلى جانب عدد كبير من أعمال الفنانين: روبنز وجويا، وديجا وجوجان.

والمعروف أن السلطات السويسرية لا تلجأ إلى المراقبة عن طريق التصوير في معظم متاحفها، احتراماً للحرية الفردية!!.

الأخطاء اللغوية ممنوعة!!

ذكرت صحيفة «غالف نيوز» الإماراتية أن إمارة رأس الخيمة، إحدى الإمارات السبع في الاتحاد، قررت فرض غرامة على الإعلانات التي تنشر باللغة العربية، وتتضمن أخطاء في القواعد النحوية والإملاء، وقالت الصحيفة: إن غرامة تبلغ ١٣٥ دولاراً ستفرض على الشركات التي ترتكب مثل هذه الأخطاء، وقد تتعرض للإغلاق في حالة تكرار الخطأ. وقد جاء هذا الإجراء بعد عدة شكاوى تلقاها المسؤولون حول استخدام اللغة العربية في الإعلانات بشكل سيّئ، وخاصة أن معظم الذين يعدون اللوحات الإعلانية آسيويون لا يتقنون اللغة العربية.

قاصة يمنية تفوز بجائزة الشارقة

فازت القاصة اليمنية أروى عبده عثمان بجائزة الشارقة للإبداع العربي، وأحرزت المركز الأول في مجال القصة القصيرة عن مجموعتها القصصية الأولى «يحدث في تنكا بلاد النامس»، وهي من نوع القصص الذي تبرز فيه الخصوصيات المحلية والبيئة الشعبية.

وقالت أروى: «أنا سعيدة بهذا الفوز، وسعيدة لأن حمادي الأفلخ، وتنكا بلاد النامس وبقية شخوص قصصي قد لقيت هذا الاهتمام والتكريم».

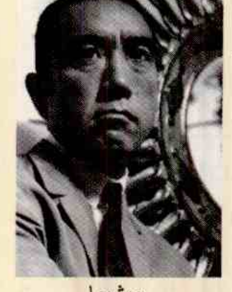
فوز سكوت بجائزة بارنز

حصل الكاتب البريطاني سكوت ثورو - الذي يعد من أبرز رواد روايات المغامرات والإثارة - على جائزة بارنز البريطانية، إحدى أرفع الجوائز الأدبية، كذلك فازت بالجائزة الكاتبتان ماريتا جولدن عن سلسلة رواياتها الأخيرة، والكاتبة إيدي كورنيلي.

وكانت هذه الجائزة قد منحت من قبل للروائي الشهير آرثر ميللر، وسوزان سونتاج.

ذكرى وفاة الكاتب الياباني ميشيما

وافق يوم الثالث عشر من فبراير/شباط الماضي مرور ٣٠ عاماً على وفاة الكاتب الياباني ميشيما، وقد نظم بيت الثقافة اليابانية في باريس احتفالية بهذه المناسبة بعنوان «ميشيما: مواهب وملكات الاكتشاف» شهدها جمع غفير من المثقفين العالميين.


ميشيما

ولد ميشيما في طوكيو عام ١٩٢٥م، وتوفي عام ١٩٧٠م، وهو روائي برع في تناول الخيال، وتعد رواياته «البحار الذي ألقى به البحر» و«الخمس لاءات العصرية» و«اعترافات قناع» من أهم أعماله، وعدّ عدد من النقاد أعماله النقدية أفضل من أعماله الروائية. وكان ميشيما قد قضى نحبه منتحراً بعد محاولة قلب نظام الحكم في اليابان. وكان له جيش خاص به يسمى «مجتمع الدرع» Shield Society.

الملتقى الدولي للأدب الإسلامي

نُظم بمدينة أغادير المغربية مؤخراً الملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي بمشاركة عدد من العلماء والكتاب من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والجزائر ومصر وسورية والهند.


علال الفاسي

وطالب المشاركون في الملتقى «بوجوب تنشيط نشر الأدب الإسلامي ودراساته، والبحث عن سبل تجاوز الصعوبات والعقبات القائمة»، ودعوا إلى البحث عن أساليب ناجعة لتواصل أفضل بين أقطار العالم الإسلامي فيما يخص الإبداع الأدبي الإسلامي.

كما نادى المؤتمرون بضرورة تخصيص ندوات ومؤتمرات لبحث القضايا التي تهم المجتمعات الإسلامية مثل: صورة المرأة في الأدب، وأدب الطفل، والمسرح بين النص والعرض، والنقد الإسلامي، والمناهج المعاصرة، والأدب الإسلامي وعلاقته بالعولمة، وتقنيات الإعلام الحديث، وإبداع الشباب في إطار الأدب الإسلامي والمناهج الدراسية.

واتفق المشاركون في المؤتمر على عقد الملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي في مدينة فاس، وتسمية

الدورة باسم «علال الفاسي»، على أن يكون موضوعها «الرواية المعاصرة بين الواقع والتطلع».

وأعلن المؤتمر في الحفل الختامي نتيجة المسابقة الأدبية التي نظمتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية (مكتب المغرب الإقليمي)، حيث حجبت جائزتا الشعر والنقد، ونال الحسين زروق الجائزة الأولى في السرد عن روايته «مريم»، بينما نالت الأديبة مليكة الحوطي الجائزة الثانية عن مجموعتها القصصية «الظلال الشاردة».

آلان فاينشتاين في بيت الشعر

نظم «بيت الشعر في المغرب» في العاشر من فبراير/شباط الماضي، ضمن نشاطاته الخاصة بـ «السبت الشعري» لقاءً مع الشاعر الفرنسي آلان فاينشتاين بمقر مندوبية وزارة الشؤون الثقافية بالدار البيضاء.

تضمنت الأمسية حديثًا للشاعر حول «الشعر هنا والآن»، وحوارًا بين الشاعر والحضور، وقراءات شعرية لقصائد مختارة من شعره باللغتين العربية والفرنسية.

والمعروف أن للشاعر فاينشتاين مجموعة من الأعمال الشعرية منها: «تدريب على الركام» ١٩٧٤م، و«البحث عن المواقع القديمة» ١٩٧٧م، و«في اتجاه غياب الطرقيين» ١٩٧٨م، و«تخطيطات الأنثوي» ١٩٨١م، و«بحفاوة» ١٩٨٨م، و«عن حب يتشظى» ١٩٩٢م، و«عنيفة» ١٩٩٩م، و«كل شيء يمر كما لو أن»، و«أمسيات سعيدة» ٢٠٠١م.

اكتشافات أثرية في مصر

اكتشفت البعثة المصرية الهولندية في العاشر من فبراير/شباط الماضي مقبرة كبير كهنة إلهة الشمس في عهد أخناتون (١٤٥٠ ـ ١٤٢٥ قبل الميلاد) في موقع سقارة، قرب القاهرة. وتكمن أهمية هذا الاكتشاف في أنها المرة الأولى التي يتم فيها العثور على مقبرة لكبير كهنة إلهة الشمس (رع أو أتون) من عهد أخناتون خارج حدود عاصمته التي كان مقرها في منطقة تل العمارنة بالقرب من المنيا (٢٢٠ كم جنوب القاهرة).

وتتكون المقبرة المكتشفة من حجرتين ومخازن جنائزية مبنية من قوالب الطين المغطى بالحجر الجيري مع طبقة من الالبستر نقشت عليها مناظر تقديم القرابين للإله آتون وطقوس أخرى وتصوير لجنازة المتوفى، كما وجدت ثلاثة أعمدة حملت كتابات هيروغليفية باسم المتوفى والوظائف التي تولاها في حياته، ويتوقع أن يتم العثور قريبًا على التابوت الذي يحتوي على مومياء كبير الكهنة في قاع بئر الدفن.

الكاتبات العربيات والرجل


ميرال الطحاوي

«صورة الرجل في إبداعات المرأة العربية» هو موضوع الدورة السادسة لمهرجان سوسة الإبداعي الذي يقام في العاصمة التونسية في الفترة من ٢٦ إلى ٢٨ أبريل/نيسان القادم. وتشارك فيه كاتبات من مختلف أقطار العالم العربي تشمل السعودية والكويت والعراق والمغرب، إضافة إلى كاتبات من البلد المضيف.

وتدور مداولات المهرجان حول كيفية اختيار الكاتبة شخصياتها من الرجال، وكيف تدير العلاقة بين الرجل والمرأة.

يرأس المهرجان الكاتب التونسي عبدالعزيز بالعيط، وتمثل مصر في هذا المهرجان د. نوال السعداوي، وسلوى بكر، وميرال الطحاوي، وستعلن أسماء بقية المشاركات من الدول العربية الأخرى فيما بعد.

العولمة واللغات

جاء في دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة نشرت في الثامن من فبراير/شباط الماضي أن نصف اللغات المحلية في العالم على طريق الزوال نتيجة للتوجهات العالمية الرامية إلى تحقيق التجانس والتفاعل بين الثقافات الدولية، وهذا يهدد ليس فقط

حماية الثقافات بل حماية البيئة أيضاً.

وعدّ فريق من الخبراء مكلف من برنامج الأمم المتحدة للبيئة، أن «أسرار الطبيعة التي تتضمنها الأغاني والقصص والفن والصناعات الحرفية لدى الشعوب الأصلية قد تختفي إلى الأبد بسبب ظاهرة العولمة المتصاعدة في جميع المجالات».

ونوه برنامج الأمم المتحدة للبيئة، خلال تقريره الذي قدمه للوفود المشاركة في الدورة ٢١ للبرنامج التي عقدت في نيروبي في الخامس من فبراير/شباط بحضور سبعين وزير بيئة من القارات الخمس، أن «بعض الدراسات تقدر عدد اللهجات المحكية في العالم بما بين خمسة آلاف وسبعة آلاف بينها أربعة آلاف إلى خمسة آلاف لشعوب أصلية، ولكن هناك أكثر من ٢٥٠٠ لغة مهددة بالاختفاء فوراً، وكثير منها يفقد رويداً رويداً صلاته مع الطبيعة».

تغريم ناشر ومصادرة كتاب


هتلر

قضت إحدى المحاكم التشيكية في العاصمة براغ على ميكال زيتكو (٣٠ عاماً) صاحب دار نشر أوتكار٢ بالغرامة بتهمة «التحريض على معاداة السامية» لنشره كتاب أدولف هتلر «كفاحي». وكان زيتكو قد واجه تهمة نشر دعاية لتشجيع حركة تهاجم حقوق الإنسان، وهي تهمة تصل عقوبتها القصوى إلى ثماني سنوات سجناً، ولم تحكم المحكمة بالسجن على زيتكو - كما قالت وكالة أنباء سي. تي. كي التشيكية، لأنها رأت أنه لم ينتهك عن علم أي قانون تشيكي ولم يتم الكشف عن قيمة الغرامة.

وقد دافع زيتكو عن نفسه ضد هذه التهمة قائلاً: إنه ضحية ثأر سياسي، كذلك دافع المؤيدون عن حرية التعبير وناشرون آخرون عن زيتكو، بينما دانت عملية إعادة نشر هذا الكتاب عدة جهات منها وزير الشؤون الثقافية التشيكي، والرئيس التشيكي فاتسلاف هافيل، والحكومة الإسرائيلية.

وكانت هذه الطبعة من كتاب «كفاحي» قد نشرت - كما يقول النقاد - دون أن يذكر فيها الناشر أي إدانة للنازية أو إنكار لها، كما يفعل الناشرون الآخرون.

وكانت دار أوتكار٢ قد قامت بطبع عشرة آلاف نسخة من هذا الكتاب، وقامت الشرطة بحملة كبيرة في يونيو /حزيران من العام الماضي لمصادرة الكتاب من محلات بيع الكتب في جميع أنحاء البلاد، وتمكنت من مصادرة ٣٠٠ نسخة، ولا يعرف بالضبط العدد الحقيقي الذي تم بيعه قبل هذه الحملة.

اختراق المخابرات البريطانية



إنطونيا كريفورد والنسخة الأولى من الكتاب

استطاعت شركة ١٩٢. كوم للنشر الإلكتروني والمعلومات البريطانية اختراق الحظر الأمني والمخابراتي، وقامت بتوزيع ١٥٠٠ نسخة من كتاب الجاسوس البريطاني السابق ريتشارد توملنسون «الاختراق الكبير» عبر موقعها على شبكة الإنترنت، وفتحت الباب أمام تداول المذكرات الممنوعة في لندن، فهي تخطط لبيع بقيّة النسخ الخمسة الآلاف التي تعاقدت لشرائها مع الناشر الروسي للكتاب، بمعدل نصف الكتب المطبوعة في الطبعة الأولى المثيرة للجدل.

ووقفت انطونيا كراوفورد إحدى مسؤولات الشركة أمام مبنى الاستخبارات البريطانية إم إي ٦ في وسط لندن وهي تحمل النسخة الأولى من مذكرات الجاسوس السابق، والتي تتضمن معلومات مثيرة تفضح مؤامرات جهاز المخابرات البريطاني، ومن أكثر تلك المعلومات إثارة تورط عناصره في مؤامرة غامضة أودت بحياة الأميرة ديانا وصديقها عماد الفايد في حادث سيارة عام ١٩٩٧م.

وتقول ناولا ويهلان مديرة التسويق في شركة ١٩٢. كوم البريطانية: إن الهدف من توزيع الكتاب في بريطانيا هو ضمان حرية تداول المعلومات،

والدفاع عن حق المواطن في الحصول على المعلومات، وكسر حظر المخابرات الذي لا مسوغ له.

ومن المعروف أن الجاسوس السابق توملنسون حوكم بالسجن عام ١٩٩٧م لكشفه أسرار المخابرات، وهو يعيش في المنفى الاختياري في إيطاليا، حيث تلاحقه عناصر إم إي ٦.

وكانت المخابرات البريطانية قد أخفقت في محاولة منع صحيفة الصنداي تايمز من نشر عروض للكتاب، وقضت محكمة بحق الصحيفة في نشره على حلقات حتى يتاح الكتاب في بريطانيا.

قراءة السواح في ملحمة جلجامش



فراس السواح

فراس السواح باحث سوري في التاريخ القديم، تفرغ للكتابة منذ عدة سنين وانشغل بالبحث في الأساطير القديمة موغلاً في ملاحم حضارة وادي الرافدين باحثًا في الميثولوجيا وتاريخ الأفكار، وقد أغنى المكتبة العربية بعدد من المؤلفات: «مغامرة العقل الأولى» (١٠ طبعات)، و«جلجامش» (٣ كتب)، و«الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم»، و«لغز عشتار»، و«آرام، دمشق وإسرائيل»، و«الأسطورة والمعنى»، وكتاب «التاو».

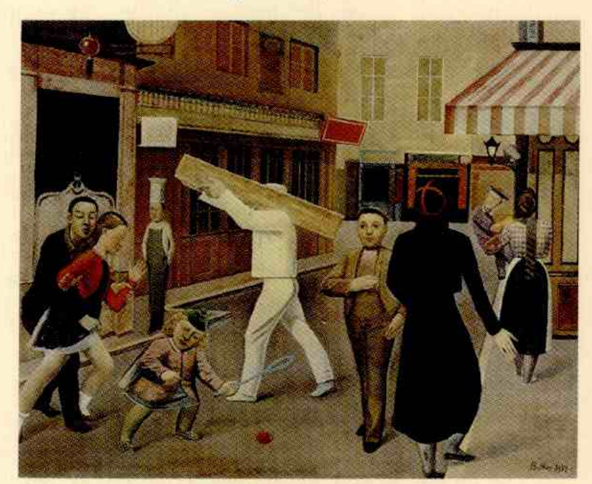
أمضى السواح عشرين عاماً مع جلجامش كان من نتاجها كتاب «قراءة في ملحمة جلجامش» الذي يقول في مقدمته: «الملحمة مثال على خلود العمل الفني الذي يتجاوز الزمان والمكان. بعد أربعة آلاف سنة من تدوينها في بلاد الرافدين يقرؤها البشر من شتى الثقافات اليوم»، وجلجامش بطل عاش في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد، ومدينة أوروك التي حكمها وانطلق منها في رحلة بحثه عن سر الحياة ولغز الموت «لم تكن على وجه التحديد مكانه لأنه لم يكن إنساناً عاش دورة حياة خاصة به، بل هو الإنسان الشامل الذي نجد في مسألته مسألتنا، وفي بحثه بحثنا».

وشغلت هذه الملحمة منذ اكتشاف ألواحها علماء اللغات القديمة والإنسانيات ودارسي الميثولوجيا والآداب القديمة، ومازال المسرح العالمي - بعد أربعة آلاف عام - يقدم تلك الملحمة، وكان آخر عروضها في الصيف الماضي بالعربية والفرنسية والإنجليزية في مهرجان أفنيون الفرنسي العريق انطلاقاً من كتاب السواح.

وقد أجرت مجلة الوسط في عددها رقم (٤٧٢) مقابلة مع فراس السواح أجاب فيها عن عدد من الأسئلة، منها سؤال حول نظرته لهذا النوع من الكتب؛ وما الدور الذي تؤديه هذه الدراسات حول الحضارات القديمة؟ فأجاب السواح: «في الخمسينيات والستينيات، كان لدى الإنسان العربي ثقة بالمشروع القومي وبمستقبله، لكن إحباط هذا المشروع أدى إلى حالة خلل في الهوية - وأساس الفرد في هويته - جعل هذا الإنسان يبحث عن وسائل أخرى لتأكيد هويته، وللبحث عن جذوره. هذا النوع من الدراسات يساعده على تأكيد انتمائه، وطمأنته لوجود جذور قديمة له في هذه الأرض ومنذ أقدم العصور. الهوس بالأسطورة حاليًا لا يعود إلى الهوس بها (كأسطورة)، وإنما كدلالة. هذا النوع من الأدب القديم، ومن النتاج الثقافي، يضع الإنسان المشرقي في موقع قوة ويعطيه حس الانتماء.

وفي سؤال عن دلالات الاكتشافات الأثرية الحديثة في تل صموقار في منطقة الجزيرة السورية، قال: «إن الاكتشاف الأخير في شمال شرقي سورية في تل صموقار، قلب مفاهيمنا رأساً على عقب. فإلى الآن كان معروفًا لدينا أن المدن الأولى في المنطقة، قامت في سومر في منطقة وادي الرافدين الجنوبي مع مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، والآن وصلتنا التقارير عن وجود مدينة كاملة في هذا التل، تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد. وهنا نستطيع القول إن شعب هذه المنطقة قديم في أرضه، ولم يفد إليها من منطقة أخرى، وثقافات هذه المنطقة أصيلة في موطنها، وشعوبها أصيلة في هويتها، ومنطقة الهلال الخصيب لم تكن فارغة من السكان في يوم من الأيام».

رحيل الرسام الفرنسي بالتوس



من أشهر لوحات بالتوس

توفي مؤخراً في منزله بمقاطعة روسينيار بسويسرا الرسام التشكيلي الفرنسي بالتوس Balthus عن عمر تجاوز التسعين عاماً، إذ ولد في ٢٩ فبراير/شباط عام ١٩٠٨م.

وينحدر بالتوس من أسرة عريقة، وبدأ الرسم وهو في السادسة عشرة من عمره، والتقى ريلكه Rilke الذي كتب مقدمة مجموعة من رسوماته، وبونارد Bonnard الذي ترك أثره الكبير في بالتوس إلى عام ١٩٣٠م، ولم تترسخ سمات أسلوبه إلا في ذلك الوقت حين أصبح فناناً رمزياً، وعارض جميع أشكال الفن التجريدي.

وكانت رسوماته قبل الحرب العالمية الثانية أقرب إلى المدرسة الواقعية، ولكن أصبحت رسوماته بعد عام ١٩٤٥م، أكثر كثافة، بينما تغير موضوع تلك الرسومات، وكان يمكن أن يقضي سنوات في رسم صورة زيتية واحدة على قطعة قماش.

وكتب ألبير كامو عام ١٩٤٩م مقدمة لأحد معارض بالتوس النادرة بقوله: «إننا لا نعرف كيف نرى الحقيقة، وإن جميع الأشياء المشوشة هي مسكننا، كما أن أحبابنا وشوارعنا تحتجب وتختفي».

وقد أعرب الرئيس الفرنسي جاك شيراك، ورئيس الوزراء ليونيل جوسبان عن بالغ تأثرهما بخبر وفاة بالتوس، وقال جوسبان في بيان: «فقدت فرنسا فناناً ترك بصمة واضحة على الفن المعاصر»، ونعاه شيراك قائلاً: «كان فناناً ذا موهبة نادرة في الرسم والتصوير الفني.. ووهب بالتوس نفسه تماماً لفنه وسعى أن يكون هذا الفن خالداً».

جدل في فرنسا بسبب كتاب

أثار كتاب «صناعة الهولوكوست» جدلاً واسعاً فور طرحه في الأسواق في فرنسا مؤخراً، وركزت وسائل الإعلام الاتهامات الموجهة للمنظمات الأمريكية اليهودية بأنها تستغل محرقة اليهود في الحرب العالمية الثانية، والكتاب لليهودي الأمريكي نورمان فينكلشتاين مما جعله يبدو مهماً لدى وسائل الإعلام، خاصة أن الكاتب من أعضاء تلك المنظمات التي استغلت القضية.

وكان هذا الكتاب قد نشر في يوليو/ تموز الماضي في الولايات المتحدة وبريطانيا ومع ذلك حاولت وسائل الإعلام الأمريكية تجاوزه لأنه لا يخدم قضيتها، ثم صدر في ألمانيا مؤخراً فاندلع جدل مع الطائفة اليهودية.

وركز الكتاب الذي يقع في ١٦٠ صفحة في أن المنظمات اليهودية الأمريكية بدءاً من المؤتمر اليهودي العالمي، تستغل معاناة اليهود من ضحايا المحرقة النازية خلال الحرب. ويرى الكاتب أن صناعة حقيقية لهذه الذكرى قد نشأت منذ عام ١٩٦٧م وأهدافها الرئيسة هي ابتزاز المال من أوربا، وتسويغ سياسة إسرائيل الإجرامية تجاه الفلسطينيين، مع أن ما يحدث للفلسطينيين في أحيان كثيرة أبشع بكثير مما يحدث لليهود، ومع ذلك لا أحد يتناول هذه التجاوزات غير الإنسانية.

ويتهم فينكلشتاين هذه المنظمات بالابتزاز، وأشار المؤلف إلى الجامعي الأمريكي إيلي فيزل الحائز على جائزة نوبل للسلام كأحد المتربحين بهذه العملية حيث يشترط الحصول على ٢٥ ألف دولار مقابل كل محاضرة يقدمها عن المذبحة.

وأفردت صحيفتا (ليبراسيون) و (لوموند) الفرنسيتان صفحتين كاملتين لهذا الكتاب، وطالبتا المؤرخين بالتعليق على ماورد من آراء.

الطائر الذي يوسّخ عشّه!!

صدر في مدريد مؤخراً كتاب جديد للكاتب الإسباني خوان غويتيسولو بعنوان «الطير الذي يوسخ عشه». يضم الكتاب مجموعة مقالات كان المؤلف قد نشرها بين عامي ١٩٧٥م و ٢٠٠٠م، قدم فيها تحليلاً شاملاً للوضع في بلاده منذ بداية الفترة الانتقالية عام ١٩٧٥م، متناولاً تطور العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي، والحرب في يوغسلافيا السابقة، ووضع حقوق الإنسان العالمية، والمضاعفات الوخيمة للعولمة الاقتصادية، والرأسمالية الجديدة على السكان في جميع أرجاء المعمورة، وقد وصف الكاتب نفسه وهو يقدم لكتابه الجديد بأنه «كاتب يتبنى قضايا اجتماعية وأخلاقية وسياسية لا تهم أحداً تقريباً بسبب ضآلة ربحيتها».

وتأتي تسمية الكتاب من كون مؤلفه عرف بالمشاغبة مما جعله - كما يقول - «طائر يوسّخ عشّه، طائراً مشاكساً بعيداً عن الجماعات المتنفذة، طائراً غير منشغل سوى بإتقان الغناء».

ويعد غويتيسولو أحد كبار المدافعين، عن جاليات المهاجرين في سبيل نيل الاعتراف بحقوقها.

البازعي في الأدب العالمي



سعد البازعي

تستعد مجلة «الأدب العالمي المعاصر»، التي تصدر عن جامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية، لإصدار عددها القادم الذي سيصدر في ربيع ٢٠٠١م، عن الأدب العربي بعد أن خصصت أعدادها في العام الماضي لآداب عالمية مختلفة. ولتحقيق هذا الغرض - كما جاء في مجلة اليمامة في عددها رقم ١٦٤٦ - قامت المجلة باستكتاب عدد من الكتّاب والباحثين العرب، منهم الناقد د. سعد البازعي الذي ساهم بمقالة عن الشعر المعاصر في الجزيرة العربية، عنوانها: «توتر في البيت - الشعر المعاصر في الجزيرة العربية»، ركّز فيها الكاتب على التوتر أو القلق لدى الشاعر بين البيت الشعري في النص؛ والبيت الذي تعيش أو تحيا داخله الذات الشاعرة.

وشملت القائمة المستكتبة كذلك كوكبة أخرى من الشعراء منهم: محمد الثبيتي، وعلي الدميني من السعودية، وعبد الودود سيف، وعبدالعزيز المقالح من اليمن، وسيف الرحبي من عمان، وميسون صقر من الإمارات، وسعدية مفرح من الكويت، وعلي الشرقاوي من البحرين.

ترميم ٣٠٠ قطعة أثرية في صنعاء

انتهت إدارة المتحف الوطني بصنعاء من ترميم ٣٠٠ قطعة أثرية صنعت من مواد النخيل، وكتبت بخط الزبور اليماني، ويعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، في اليمن.

وقال المدير العام للمتحف عبدالعزيز الجنداري: إن قطعاً أثرية أخرى مصنوعة من البرونز أرسلت إلى معهد مايتر بألمانيا، منها: تماثيل لعدد من الشخصيات التاريخية اليمنية لاستكمال عمليات ترميمها، مشيراً إلى أن إدارة المتحف أعدت خطة جديدية لترميم عدد من القطع البرونزية محلياً بعد أن أنجزت بالتعاون مع قسم الآثار بجامعة صنعاء ترميم مجموعة من اللوحات البرونزية المكتوبة بخط المسند، كما يجري العمل لإعداد قاعدة للبيانات لتوثيق المقتنيات الأثرية وتسجيلها وتصويرها بالحاسب الآلي.

معرض الإسلام في صقلية

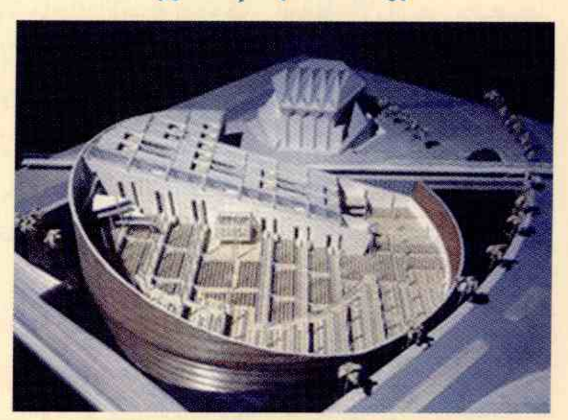
اختتم في العشرين من شهر فبراير/شباط الماضي المعرض الفني الذي أقيم بدار باش حامبة بمدينة تونس تحت عنوان «الإسلام في صقلية من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر».

ودلل المعرض على ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في تلك الفترة خاصة في إفريقية التي كان لها دور بارز في إدخال تقنيات جديدة في الزراعة والري إلى جزيرة صقلية، بالإضافة إلى معالجة

الفسيفساء وغيرها من التعابير الفنية الراقية.

وشملت معروضات المعرض السيراميك، والنقود، والأقمشة، والمخطوطات، والمنحوتات على الخشب والمعادن، ونماذج مصغرة عن بعض حطام السفن الحربية. وتعد قطعة «البساط الطائر» - التي يبلغ طولها ١٠ أمتار وعرضها ٥ أمتار، وتحتوي على صورة عصرية لسقف مصلى كنيسة بلادين بصقلية التي يرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١١٤٣م - أهم القطع المحورية في المجموعة المستجلبة من إيطاليا.

تبرعات لمكتبة الإسكندرية



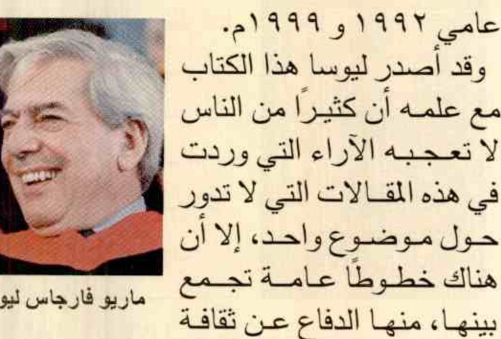
مجسّم لمكتبة الإسكندرية

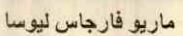
بلغت قيمة التبرعات النقدية والعينية التي قدمت لمكتبة الإسكندرية ٩٥٫٥ مليون دولار، منها ٦٥ مليون دولار من الإمارات والسعودية والعراق وسلطنة عمان والأمير تركي بن عبدالعزيز.

وأشار الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي إلى أن تبرع ٤٦ دولة ومؤسسة للمكتبة يعطيها حتماً دفعة قوية كي تستمر مركز إشعاع حضاري مصري.

لغة الهوى

«لغة الهوى» هو عنوان الكتاب الجديد الذي جمع فيه الكاتب البيروفي ماريو فارجاس ليوسا مقالات ضمها عموده «حجر الاختبار» في صحيفة «البايس» التي كانت تصدر في مدريد بين عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٩م.





ماريو فارجاس ليوسا

وقد أصدر ليوسا هذا الكتاب مع علمه أن كثيراً من الناس لا تعجبه الآراء التي وردت في هذه المقالات التي لا تدور حول موضوع واحد، إلا أن هناك خطوطاً عامة تجمع بينها، منها الدفاع عن ثقافة الديمقراطية والحرية ضد جميع أشكال الاستبداد، والتعايش والسلام ضد جميع أصناف الإرهاب أو عنف الدولة، والدفاع عن التعددية الثقافية، والأدب كما يرى أن الكاتب: «يجب أن يساهم في ألاّ ينسى التاريخ، فإحدى وظائف المثقف هي الإبقاء على الذاكرة حية، وهي الطريقة الوحيد لتصحيح أخطاء الماضي».

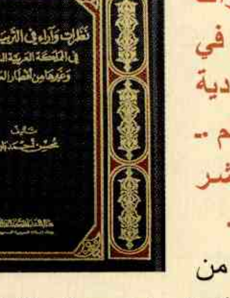
قوانين جديدة لحماية النشر في أوربا

رحبت جماعات حماية المستهلك بالقانون الجديد الذي أقرّه البرلمان الأوربي مؤخراً لحماية حقوق النشر وحقوق المؤلفين، ومنع نسخ أعمالهم بشكل غير مشروع باستخدام أساليب التقنية المتقدمة مثل التشفير.

وقد جاء تصديق البرلمان الأوربي على هذا القانون بعد قرار محكمة استئناف أمريكية منع شركة نابستر للتبادل الموسيقي من تداول مواد تحميها حقوق نشر.

ويمثل هذا القانون، الذي يؤثر في صناعة السينما والموسيقى، دفعة للقوانين الأوربية العتيقة لكي تتواءم مع تطورات العصر، وتسد ثغرة تشريعية في قوانينها.

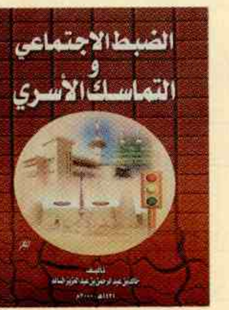
وقد تباينت وجهات النظر تجاه هذا القانون، فبينما رحبت به جماعات حماية المستهلك، ووصفته بأنه يحمي حقوق الفنانين دون أن يضر بالحريات الفردية، قال عدد من الفنانين إن القوانين الأوربية الجديدة مخففة جداً وغير كافية لحماية أعمالهم من القرصنة.



باروم، محسن أحمد/ نظرات وآراء في التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية وغيرها من أقطار العالم ـ جدة: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٧٢ص.

شغل المؤلف عدداً من الوظائف التعليمية والإدارية عقب تخرجه في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٣٦٨هـ، وقد تمكن من خلال شغله تلك الوظائف أن يحاضر، ويكتب ويحاور في مختلف شؤون التربية والتعليم فكانت حصيلة ذلك ـ كما يقول المؤلف ـ «هو ما جمعته في كتابي هذا الذي نشرت فصوله في مختلف صحفنا المحلية خلال أزيد من ثلاثين عاماً ليكون مرآة صادقة تعكس مسيرة التربية والتعليم خلال تلك الفترة من الزمان في بلادي».

يقع الكتاب في مقدمة وأربعة أبواب، جاء بابه الأول بعنوان «محاضرات»، والثاني بعنوان «في آفاق التربية والتعليم»، وتناول في الثالث «حوارات حول قضايا التربية والتعليم»، واقتصر الرابع على عدد من «الفهارس».



السالم، خالد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز/ الضبط الاجتماعي والتماسك الأسري ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٢٦ص.

شابَ مصطلح الضبط الاجتماعي كثير من الخلط والغموض بسبب تعدد الباحثين واختلاف مداخلهم لدراسته وعدم اتفاقهم على تعريف واضح ومحدد له، ولكن على الرغم من تعدد التعريفات إلا أنها تشير بوضوح إلى أن الضبط الاجتماعي يعني السلوك الذي يقود الأفراد إلى الامتثال للمعايير والقيم المرغوبة، وعليه يمكن تعريفه بأنه «مجموعة القواعد والمعايير الرسمية وغير الرسمية التي تنشأ في البيئة الاجتماعية نتيجة لمجموعة من العوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تنظم التعامل بين الأفراد، وتحدد نوع السلوك المرغوب لتحقيق تماسك البناء الاجتماعي».

وقد كان للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدها المجتمع السعودي في العقود الثلاثة الأخيرة تأثير واضح في البناء الاجتماعي للأسرة ووظائفها، وقد انعكس ذلك على أساليب الضبط الاجتماعي التي تستخدمها الأسرة لضبط سلوك أبنائها. وقد أفرد المؤلف الفصل السادس والأخير من الكتاب لدراسة «اتجاهات طلاب المرحلة الثانوية العامة بمدينة الرياض نحو أساليب الضبط الاجتماعي السائدة في أسرهم وعلاقتها بالتماسك الأسري»، وكان الفصل الأول عن «الضبط الاجتماعي»، وتناول في الثاني «نظريات الضبط الاجتماعي»، وجاء الثالث عن «أساليب الضبط الاجتماعي»، وناقش في الرابع «التماسك الأسري»، وخصص الخامس لـ «دور البيئة الاجتماعية في اتجاهات الفرد».

كورماك، ديفيد هـ/ مقدمة في علم الأنسجة، ترجمة: التهامي محمد عبدالمجيد ـ الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٨٠٩ص.

يعد علم الأنسجة، كما يقول مؤلفه: «مادة أخاذة لأنه يربط مواد العلوم الأساسية الأخرى، مثل بيولوجيا الخلية، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم التشريع العياني، والكيمياء الحيوية، بمواد تطبيقية، مثل علم الدم، وعلم الأمراض، وعلم المناعة. وهكذا، يمثل علم الأنسجة أرضية مشتركة مفيدة ينبثق عنه فهم متكامل لبنية النسيج ووظيفته».

سعى المؤلف في هذا الكتاب إلى تقديم أساس متين يمكن أن يبنى عليه فهم عميق لعلم الأنسجة المعاصر، وقد صيغ بإيجاز ليوفر على الطلاب كثيراً من وقت الدراسة، وقد درج المؤلف على استهلال كل فصل في

هذا الكتاب بأهداف مختصرة انتقيت بواقعية لإرشاد الطالب إلى ما يجب تعلمه. كما اعتاد أن ينهي كل فصل من فصول الكتاب بخلاصة شاملة لمواضيعه الرئيسة، واستعان بعدد كبير من الرسوم والصور التوضيحية التي تكون في معظم الأحوال أبلغ من الكلمات في شرح التراكيب النسيجية.

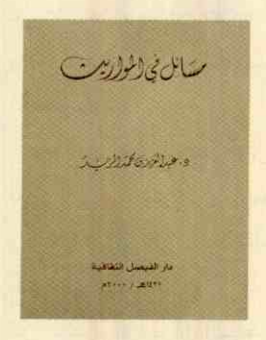
اعتمد المترجم في ترجمته لهذا الكتاب على المصطلحات الواردة في المعجم الطبي الموحد، وهو ثمرة جهد مشترك لاتحاد الأطباء العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ويعد هذا المعجم خطوة مهمة في سبيل توحيد المصطلحات الطبية العربية حتى لا يربك الطالب بمصطلحات مختلفة تشير إلى الشيء نفسه.

ابن جريس، غيثان بن علي/ دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية.- الرياض: المؤلف، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٣٢٦ص.

يحوي الكتاب عدة موضوعات تاريخية وحضارية متنوعة عن مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (عسير، وجازان، ونجران) التي تقع ضمن بلاد تهامة والسراة الممتدة من بلاد الحجاز شمالاً إلى بلاد اليمن جنوباً، وهي مناطق، مع أهميتها، لم تحظ باهتمام كبير في مصادر التراث الإسلامي.

روعي في ترتيب هذه الدراسات الفترة الزمنية التي غطتها، وهي فترة تمتد من بداية القرن الرابع عشر إلى أوائل القرن الخامس عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين)، فجاءت الدراسة الأولى عن «أوراق من تاريخ منطقة عسير في فترة حكم الملك عبدالعزيز كما أملاها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن (ابن إلياس)»، والثانية عن «أطوار إمارة عسير خلال الحكم السعودي المعاصر»، بينما جاءت الثالث عن «التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)»، والرابعة عن «محافظة النماص في ضوء بعض المذكرات والوثائق المحلية»، والخامسة عن «قراءة في مخصصات مقاطعة جيزان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة سنة (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبدالعزيز»، وجاءت السادسة عن «وجهات نظر حول كتاب [بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين]»، وخصصت السابعة لـ «دراسة تحليلية نقدية في بعض مؤلفات ابن جريس عن تاريخ وحضارة منطقة عسير: إعداد أ.د. سر الختم سيد أحمد العراقي».

وختمت الدراسات بـ «ببليوجرافيا: لأبحاث طلاب قسم التاريخ بجامعة الملك سعود - كلية التربية فرع أبها [القسم الأول].



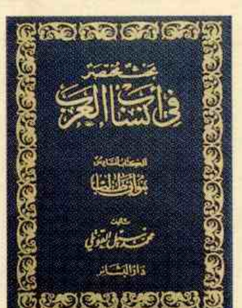
الزيد، عبدالعزيز بن محمد/ مسائل في المواريث.- الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٧٠ص.

يحتوي الكتاب على عدد من المسائل التي تختص بالإرث منذ بداية تشريعه والإشارات إليه في القرآن الكريم، ثم يوضح الكيفية التي عالج بها الفقهاء قضايا الإرث المختلفة اعتماداً على الكتاب والسنة.

تناول الكاتب مراحل تدرج تشريع الميراث في القرآن الكريم، وبيّن الحكمة من هذا التدرج، وناقش بيان قاعدة «للذكر مثل حظ الأنثيين» التي وردت في آيات المواريث التي يبدو من ظاهرها أنها تقر ظلم المرأة، وأوضح أن تكريم الإسلام للمرأة لم تحظ به مثيلاتها عدة قرون في ظل أي ديانة أو تحت أي تشريع، ثم تطرق لموضوع «الكلالة»، وبين المقصود منها وعلى من تطلق عند الصحابة رضوان الله عليهم، وتناول إرث الجدات والحجب وغير ذلك من المسائل التي تتعلق بفقه الميراث.



بذل الكاتب جهداً كبيراً من أجل تبسيط مسائل هذا الموضوع المهم - دون الإخلال بالأسس التي جرى استيفاؤها، وهو يهدف من ذلك إلى جعل مسائل الإرث في متناول كل من يرغب في ذلك دون مشقة.



القوتلي، محمد نبيل/ بحث مختصر في أنساب العرب - الكتاب السادس: بنو أبي طالب.- دمشق: دار البشائر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٠٢٥ص.

هذا هو الكتاب السادس في سلسلة كتب أنساب العرب، وقد اعتمد المصنف في تصنيف هذا الكتاب، إضافة إلى عدد من المراجع، على مخطوطة «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب»، تأليف جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عتبة الأصغر (ت ٨٢٨هـ/١٤٢٤م)، وقد أجمع أغلب النسابين على صحة ما ورد في المخطوطة.

اختلف أسلوب هذا الجزء عن سابقه «بنو هاشم» حيث لم ترد فيه التراجم المختصرة «النبذات» لبعض الأعلام، والسبب - كما يقول المصنف -: «إما لأن بعض هذه التراجم تَقَدَّمَ في ذلك الجزء، وإما - وهذا هو الأهم - ضنّاً بمساحة من الكتاب رأينا أن استغراقها في إيراد مزيد من دقائق الأنساب وخفيها أعْوَدُ بالفائدة على الباحث المتخصص في النسب المتطلع إلى مزيد من التفاصيل فيه».

أورد المصنف دليلاً مختصراً يبين كيفية المراجعة لمختلف أقسام الكتاب.

الشمَّري، هزَّاع بن عيد/ الأطراب من شعر الحضر والأعراب.- الرياض: دار أجا للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٤٠٣ص.

الكتاب مجموعة من الأبيات الشعرية المختارة وصفها المؤلف بأنها «بالغة الجودة، عجيبة المعنى، فائقة الحبك والسبك، بديعة الإيقاع، قوية اللغة، سلسة الجرس، مطربة للسمع، تهز الوجدان، مطبوعة لا متكلفة، سما بها فحول الشعراء العرب وظرفاؤهم، ولا مزيد عليها من أشعار الناس، ولا أظنه يلحق بها من أشعار الأقدمين إلا القليل، أما اللاحقون فلا؛ قطعاً، لفساد اللغة والمعاني، والذوق ونقص في التجربة، وتغير في أساليب الحياة».

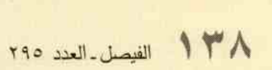
وقد اختارها المؤلف، بعين الناقد لا المتذوق فحسب، من بين عشرات الآلاف من الأبيات الشعرية بعد جهد وبحث دام ثماني سنوات.

جاء الكتاب في اثنين وعشرين غرضاً من أغراض الشعر (المدح، والفخر، والهجاء، والوصف، والذم... إلخ)، حوت ألفاً وثلاثمئة وخمساً وثمانين قطعة؛ وسِعَتْ ثلاثة آلاف ومئتين وسبعة عشر بيتاً من المتشابه والمتناظر، ثم إن المؤلف لم يلجأ إلى ترتيب الأبيات في كل غرض حسب القوافي الهجائية أو الأبجدية، وقام بتخريج الأبيات وذكر نسبتها إلى أكثر من شاعر إذا وقع ذلك، واهتم بضبط الكلمات، وأغفل تراجم الشعراء، مع وضع إشارات لهم في آخر الكتاب.

علي، نبيل/ الثقافة العربية وعصر المعلومات.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠١م، ٥٨٢ص (سلسلة عالم المعرفة؛٢٦٥).

هذا الكتاب ليس كتاباً في (الثقافة العلمية) بل في (علمية الثقافة) بعد أن أصبحت الثقافة علماً والعلم ثقافة، وبعد أن أصبح تناول ثقافة عصر المعلومات يحتاج إلى خلفية معرفية وتكنولوجية مغايرة تماماً لما كانت الحال عليه في الماضي، ويجيء هذا الكتاب اختصاراً للجهد والوقت اللازمين لاكتساب هذه الخلفية.

التزمت الدراسة في منهجها توجهين رئيسين هما:



التوجه المنظومي System approach وتوجه التناول المزدوج، والتوجه المنظومي ينظر إلى الثقافة بوصفها منظومة مكونة من منظومات فرعية عدة، يتكون كل منها - بدوره - من مجموعة من العناصر الداخلية، وشبكة من العلاقات التي تربط المنظومة الفرعية بخارجها، وتوجه التناول المزدوج يبدأ تناول كل مسألة بـ (طرح عام) كخلفية ضرورية لطرح المسألة ذاتها من (منظور عربي).

يمتاز هذا الكتاب بأنه يزيح النقاب - للمرة الأولى - عن ملامح المشهد الثقافي المعلوماتي من منظور عربي، يتوخى الدراسة الجادة للفكرة والمحتوى، بعيداً عن هيمنة الأيديولوجيا، ونزعات الانكفاء على الذات.

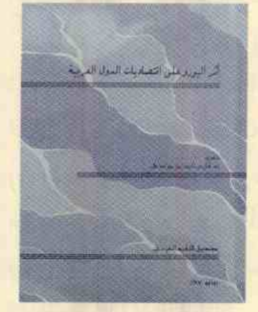
عثمان، نجوى/ مساجد القيروان.. دمشق: دار عكرمة، ٢٠٠٠م، ٦١٤ص.

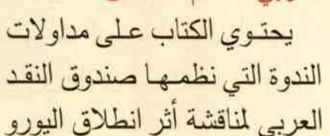
الكتاب دراسة ميدانية شملت كل مساجد مدينة القيروان قديمها وحديثها، وقد بلغ عددها ١٢٣ مسجداً. وكان اختيار المؤلفة لمدينة القيروان لأنها أول مدينة أنشأها المسلمون في إفريقية، وأصبحت عاصمة للغرب الإسلامي الذي كان يمتد من طرابلس الغرب شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ووصل إلى حدود فرنسا شمالاً وهي مركز التقاء المشرق بالمغرب.

جاء الكتاب في ثلاثة أقسام، اختص القسم الأول بالتاريخ العمراني لمدينة القيروان والمحن والمآسي التي مرت بها منذ أن أنشأها عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ/٦٧٠م إلى نهاية العصر العثماني سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، وأثر ذلك في الطابع العمراني للمدينة بصفة عامة وعمارة المساجد بصورة خاصة. وتناولت في القسم الثاني دراسة تاريخية وهندسية لجوامع القيروان، وهي حسب ترتيبها التاريخي:

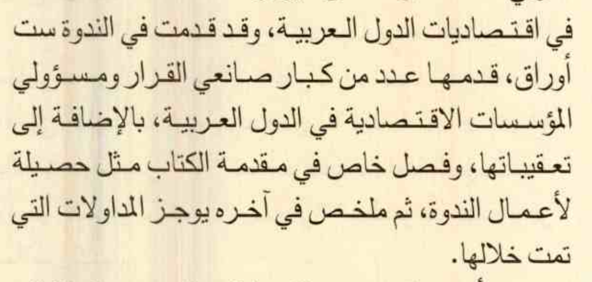
جامع عقبة بن نافع (الجامع الأعظم)، وجامع الزيتونة، وجامع الباي (جامع الحنفي)، ثم الجوامع التي بنيت في العصر الحديث (الفترة الزمنية التي تمتد من العام ١٨٨١م الذي انتهت فيه تبعية إيالة تونس للدولة العثمانية إلى أواخر عام ١٩٩٣م)، وختم هذا القسم بدراسة تاريخية وهندسية للمساجد القديمة والحديثة التي تقام فيها الصلوات الخمس، ولا يوجد فيها منبر، أي لا تقام فيها صلاة الجمعة أو العيدين.

وخصص القسم الثالث من الكتاب لوثائق جمعية الأوقاف المتعلقة بالمساجد الجامعة والمساجد، وموضوعات أخرى متنوعة، كما ألحقت الكتاب بجدول فسرت فيه المصطلحات الفنية والمعمارية، وبنماذج مصورة من هذه الوثائق.





ابن جرادي، فارس ثابت/ أثر اليورو على اقتصاديات الدول العربية.. أبو ظبي: صندوق النقد العربي، ٢٠٠٠م، ٣٣٤ص.



يحتوي الكتاب على مداولات الندوة التي نظمها صندوق النقد العربي لمناقشة أثر انطلاق اليورو في اقتصاديات الدول العربية، وقد قدمت في الندوة ست أوراق، قدمها عدد من كبار صانعي القرار ومسؤولي المؤسسات الاقتصادية في الدول العربية، بالإضافة إلى تعقيباتها، وفصل خاص في مقدمة الكتاب مثل حصيلة لأعمال الندوة، ثم ملخص في آخره يوجز المداولات التي تمت خلالها.

وتنبع أهمية الندوة من الارتباطات الكبيرة والعلاقات المتعددة الجوانب بين دول الاتحاد الاقتصادي والنقدي الأوربي والدول العربية، وسعي الدول العربية للاستفادة من التجربة الأوربية لبلورة العمل الاقتصادي العربي المشترك خاصة في مجال التعاون النقدي الإقليمي.

كذلك وفرت الندوة فرصة طيبة لتبادل الآراء حول طبيعة الآثار المتوقعة في الاقتصادات العربية من جراء انطلاق اليورو والسياسيات والإجراءات المطلوب وضعها واتخاذها من الدول العربية للتكيف مع هذا الحدث وتعظيم الاستفادة من آثاره الإيجابية والتقليل، قدر الإمكان، من آثاره السلبية.

ووُثِّقت البحوث التي قدمت بعدد من الجداول والأشكال البيانية المأخوذة من مصادر اقتصادية معروفة.





دليل الدوريات السعودية/ مكتبة الملك فهد الوطنية. ط٢.- الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٥٢ ص (مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة؛ ٢٦).

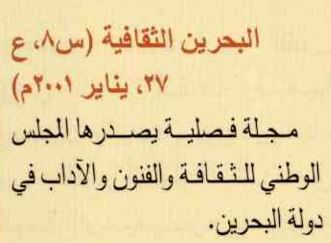
هذه طبعة ثانية مزيدة ومنقحة من «دليل الدوريات السعودية» جاء إصدارها بعد نفاد الطبعة الأولى وقد تزامن مع احتفالات المملكة باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م.

استقت إدارة التسجيل والترقيمات الدولية في مكتبة الملك فهد الوطنية جميع بيانات المنشورات الدورية المسجلة في هذا الدليل من خلال سجلات الرقم الدولي المعياري للدوريات (ردمد)، التي تعدها الإدارة ضمن مسؤوليات المكتبة، وجاء هذا الدليل مقتصراً على المنشورات الدورية المسجلة بالمكتبة والمخصص لها رقم دولي معياري للدوريات ردمد ISSN ورقم إيداع من قبل المكتبة.

بلغ عدد المنشورات الدورية المسجلة في هذا الدليل ٩٣٦ مطبوعاً بزيادة قدرها ٣٥٢ عنواناً عما صدر في الطبعة الأولى، منها ٧٧٣ مطبوعة دورية باللغة العربية، و٨٨ باللغة الإنجليزية، و ٧ مطبوعات باللغة الفرنسية، ومطبوعتان باللغة الأوردية، و٦٦ مطبوعاً عبارة عن سلاسل كتب.

وتجدر الإشارة إلى أن المكتبة تقوم بتزويد المركز الدولي للرقم الدولي المعياري للدوريات (ردمد)، ومقره مدينة باريس بفرنسا، بمعلومات كاملة عن كل دورية سعودية لنشرها في دليل الدوريات الدولي ISSN REGISTER مما يعني التعريف بالدوريات السعودية عالمياً، كما أن هذا الدليل يضم أيضاً جميع المنشورات التي تصدر بصفة دورية سواء أكانت يومية أم أسبوعية أم شهرية أم فصلية أم سنوية.

يضم هذا الدليل أربعة أقسام، ضم القسم الأول الدوريات التي تصدر باللغة العربية، وضم الثاني الدوريات التي تصدر بلغات أجنبية، بينما ضم الثالث سلاسل الكتب، وجاء في الرابع كشاف الناشرين، ورتبت أسماء الدوريات ألفبائياً حسب اللغة، ثم وضع أمام كل دورية رقم متسلسل ليسهل استرجاعها بواسطة كشاف الناشرين الملحق بالدليل.



البحرين الثقافية (س٨، ع ٢٧، يناير ٢٠٠١م)

مجلة فصلية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة البحرين.

صدر هذا العدد من الدورية وبين دفتيه كثير من الموضوعات الثقافية، شملت دراسات وبحوثاً في الأدب والنقد والمسرح . ففي باب دراسات نقدية، كتب سعيد بوعيطة عن «النص الأدبي والمصطلح الدلالي»، وتناول عبدالباقي يوسف «فكرة الموت في كتابات كافكا»، وناقش حسب الله يحيى موضوع «امبرتو إيكو ـ من الدرس السيميولوجي إلى اسم الوردة»، وغير ذلك من الدراسات النقدية.

وجاء ـ تحت باب نصوص ـ عدد من القصائد الشعرية والنصوص الأدبية، فكتبت آمال الزهاوي قصيدة «في حضرة أبي الطيب»، وللطيفة الدليمي نص بعنوان «إخوات القمر»، ولإبراهيم عمر صعابي قصيدة «الحصار»، وغيرها من القصائد والنصوص الأدبية.

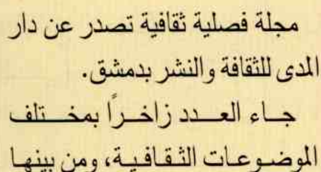
وجاء ملف الدورية في هذا العدد عن (فن الصوت)، تناول فيه مبارك العماري «إشكالية تدوين تاريخ فن الصوت في الخليج والجزيرة العربية»، وناقش إبراهيم الصولة «البيئة وأثرها على تكوين فن الصوت»، وكتب محمد جمال عن «الصوت وإشكالية الأصل»، وغير ذلك من الموضوعات، إضافة إلى عدد من الأبواب الأخرى.

العنوان:

البحرين الثقافية ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

دولة البحرين ـ ص.ب: ٢٦٦١٣ ـ المنامة

هاتف: ٢٩٠٢١٠ ـ ناسوخ: ٢٩٢٦٧٨ (٩٧٣).





المدى (س٩، ع ٣١، يناير ٢٠٠١م)

مجلة فصلية ثقافية تصدر عن دار المدى للثقافة والنشر بدمشق.

جاء العدد زاخراً بمختلف الموضوعات الثقافية، ومن بينها موضوع عن مجلة «اللحظة الشعرية» التي حالت الحالة

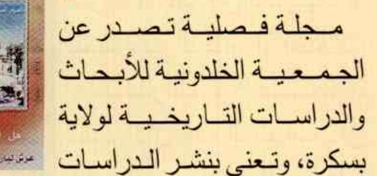
الصحية والمالية لمديرها فوزي كريم دون صدورها، وتلقت دعوة من صاحب «المدى» فخري كريم لتحل بحجمها الصغير المتسائل المشاكس ضيفة على مجلة «المدى»، وستواصل «اللحظة الشعرية» من عدد «المدى» القادم، حياتها بعددها السابع، بعد العدد السادس الذي توقفت عنده عام ١٩٩٤م.

وجاءت موضوعات الدورية تحت عدة أبواب، ففي باب دراسات كتب حافيظ ع إسماعيلي عن «الإبستمولوجية التشييدية»، ونبال زيتونة عن «الخطابة وإشكالية الحوار»، وتناول محمد حسين الأعرجي «أهداف الاستشراق ما لها وما عليها».

وفي باب «رأي» كتب شاكر لعيبي عن «الشاعر الغريب في المكان الغريب»، وجاء في باب الشعر عدد من القصائد للشعراء: صباح رنجدر، وجولا إبيش، وعبدالحميد ناصر العرفج وغيرهم، كذلك تضمن باب القصة مجموعة من القصص القصيرة للأدباء: طلال كمال الدين، وسعد سرحان، وغسان حمدان، وغيرهم. وفي العدد مجموعة أخرى من الأبواب والمقالات.

العنوان:

سورية ـ دمشق / ص.ب ٨٢٧٢، ناسوخ: ٢٣٢٢٢٨٩



المجلة الخلدونية (ع١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)

مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، وتعنى بنشر الدراسات والأبحاث الثقافية والتاريخية والأدبية والفكرية والتراثية.

هذا هو العدد التجريبي الأول منها، وقد جاء مشتملاً على عدد من الدراسات التاريخية والأدبية والفكرية والإبداعات الشعرية والقصصية، التي تتصدرها افتتاحية رئيس التحرير فوزي مصمودي، وهناك حوار مع الدكتور أبي القاسم سعد الله، وكتب صالح يعقوب عن «البوازيد عبر التاريخ»، ولعبدالكريم العامري قصيدة شعرية بعنوان «زائر»، وهناك قصة قصيرة بعنوان «بقايا جزائري» لسعد السعود شخاب، وموضوع عن «إشكالية التراث والرافضون» للدكتور عبدالمالك مرتاض، وغير ذلك من البحوث والدرسات الثقافية والأدبية والتاريخية.

زُين الغلاف الأخير بصورة قديمة لمسجد الصحابي عقبة بن نافع (بسيدي عقبة ـ بسكرة).

العنوان:

المجلة الخلدونية ـ الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية

ص.ب ١٦٨٤ ق ر بسكرة (٠٧٠٠٠) الجزائر

الناسوخ: ٥٢ ـ ١٥ـ ٧٤ ـ ٤ (٢١٧)

مجلة المجمع الفقهي الإسلامي (س١١، ع١٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)

مجلة دورية محكّمة يصدرها المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي.

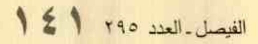
صدر هذا العدد في ثوب جديد، وحمل بين دفتيه أبحاثًا علمية تعالج موضوعات متنوعة، وكان أولها بحث بعنوان «بيع الدين» أعده الدكتور الصديق محمد الأمين الضرير، وكتب الدكتور أحمد فهمي أبو سنة عن «علم الاقتصاد الإسلامي: ضرورة قائمة وحقيقة واقعة»، وتناول الدكتور ياسين بن ناصر الخطيب «حكم اشتراط الصوم لصحة الاعتكاف والآثار المترتبة على الاختلاف فيه»، وناقش الدكتور عبدالله بن حمد الغطيمل «تكرار العمرة والإكثار منها»، وبحث الدكتور محمد علي البار موضوع «الكحول والمخدرات والمنبهات في الغذاء والدواء».

وفي باب من سير العلماء، تناول الدكتور محمد بن سعد الشويعر سيرة الشيخ عبدالعزيز بن باز، كما كتب الدكتور عبدالله بن علي البار عن «القضاء بالقرائن»، إلى جانب ذلك ضم العدد قرارات المجمع الفقهي الإسلامي، والفتاوى، وملخصات وتقارير علمية، وختمت المجلة بترجمة ملخصات البحوث والقرارات باللغة الإنجليزية.

العنوان:

ص.ب ٧٣٥ مكة المكرمة

هاتف: ٥٤٣١١٧٦ ـ ناسوخ: ٥٤٢٨٢٣٢



التربية الذاتية وصناعة القرار

زكريا يحيى لال
مكة المكرمة - السعودية

نعرف تماماً أن للتربية مجالات وأسساً وأخلاقيات تقوم عليها بعض الضوابط والاتجاهات من أجل توسيع قاعدة الحرية الشخصية، ولعل هذا يقودنا إلى كون التربية لا حدود لها ولا زمان أو مكان، فالأطفال ينشؤون في بيئات مختلفة، منها الأمية، والمتعلمة، ومنها الجبلية والبحرية، والمدنية والقروية.

والواقع أنه بين هذه المجتمعات ينشأ الفرد «الطفل» ويعزز وجود الأسرة، ويصقل وينمي مداركه الأبوان، ثم المدرسة، وهكذا يصير للتعليم مجال آخر نحو الذات، وتأصيل المجتمع في ذهنه.

ومن خلال هذه الفرصة يدور في الذهن سؤالٌ أساسه «التربية والذات» فكيف يمكن أن تنمي الحركة التربوية الذاتية؟ إن التربية تعني الرعاية لأبناء المجتمع وفق مواصفات شخصية سلوكية، أخلاقية ووجدانية، وهي في حد ذاتها من المتطلبات الأساسية للحياة. والتربية هي تعبير عن واقع المجتمع تعكس ضعفه وقواه وما يدور فيه من تفوق وعدل وتقدير لأفراده، فإذا كان المجتمع متفوقاً في أهدافه التربوية فإنه يتبنى بهذا نظاماً تربوياً قوياً ونافعاً في نتائجه وفعالياته.



قيادة بالجملة

ومن خلال نتائج بعض الدراسات عن النقص في التربية أو سوء التربية - كما يقال - ظهرت صيغ سلوكية سلبية، وصعوبات متعددة، مثل التسرب وتدني التحصيل، والبيروقراطية الإدارية، وضعف مظاهر التعلم وحوافزه، بالإضافة إلى عدم متابعة ما يمكن بالنسبة إلى التجديد في المناهج في شكلها العلمي والفني، كالمحتوى والأهداف والأسلوب التي تحتاج إلى التغيير المستمر وفقاً للتقدم المعلوماتي والتقني.

وقد رأت بعض الدراسات أننا نتعامل مع الجماعة، ولكن لم نتكيف معها، بل نقود التلاميذ بالجملة دون مراعاة للفروق الفردية، أو مستويات الذكاء، أو اختلاف «القدرات، ولا عجب - نتيجة لكل هذه السلبيات - أن تبدو التربية غير قادرة على جذب انتباه التلاميذ، وإشغال وقتهم المدرسي بما يغذي حاجاتهم، ويفيد طموحاتهم للمستقبل متحولين بذلك إلى قوة مدمرة عدوانية، بالتطاول على حدود المجتمع وطاقاته وأسره وممتلكاته وأخلاقياته ومقومات تقدمه واستقراره، أو منحرفين هرباً من الواقع إلى تناول المخدرات وسموم العقل

وأنواع من السلوك الآخر». والتربية المدرسية بمثل هذا الواقع والنتائج تفقد تلقائياً كما نرى مسوغاتها للعمل والبقاء، وهذا يشير إلى خطورة الاستمرار بها على الفرد والأسرة والمجتمع.

يقول محمد زياد حمدان «إن مؤشرات التربية في المجالات الإدارية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والخارجية والحضارية تعاني بدورها من صعوبات كثيرة تكاد تثقل كاهلها، وتمنعها من صناعة القرارات المجدية لحياة الفرد والمجتمع» ذلك أن نتائج بعض هذه السلبيات تتضح في تعاملنا اليومي مع الأسرة والأفراد والجماعات، والحل هنا يكمن في إجراء التغييرات القادرة على التصحيح، وإبراز سبل العطاء والتقدير بصورة تؤدي إلى الوصول إلى الهدف.

ففي التربية الأمريكية: «دعا بعض التربويين إلى حل النظام المدرسي بالكامل، وذلك لعدم فائدته - حسب رأيهم - في تحقيق الأهداف الإنسانية والحضارية المطلوبة، أما في التربية الإنجليزية فقد بدأت تبرز عدة إصلاحات متتابعة بعد فترات من الجمود والتراخي أدّى إلى تحول هذه التربية من المركزية إلى اللامركزية، وذلك بحدوث تشريعات للمناهج قياساً لما تراه مجدياً من واقع الحياة الخاصة».

الأطفال وصناعة القرار

إن الدراسات التربوية، واللقاءات والمؤتمرات التي بدأت تسيطر على نهاية هذا القرن في العالم العربي بالذات بدأت تركز في مطالب حقيقية واضحة من أجل إجراء حاسم لجعل التلاميذ يديرون أنفسهم. لكن السؤال الذي يلي هذه الخطوات هو كيف يدير التلاميذ أنفسهم؟ أو هل تكون البداية عن طريق توجيهات الأسرة أم نجعل الطريق ممهداً لهم بالحرية الكاملة لمعرفة دورهم الحقيقي في المجتمع في سلبياته وإيجابياته؟.

إن تعويد الأطفال أو التلاميذ صناعة القرار منذ نشأتهم يؤدي إلى معرفة هؤلاء الناشئة لمعنى



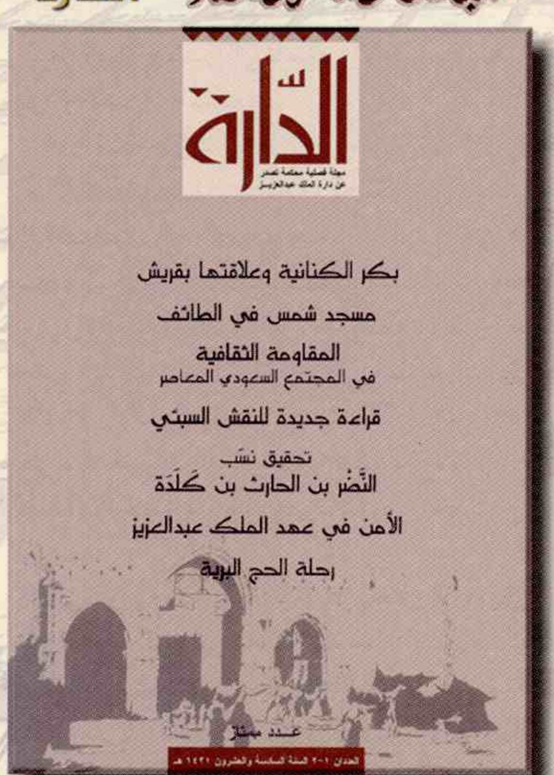
المسؤولية. «وكيف يتحملون واجباتهم بأنفسهم»، ومواجهة المواقف الفردية كمتطلب يجعل منهم أفقاً واضحاً لإعطاء القرار، ولكن دعونا نشير إلى ما جاء في دراسة Janet Bosnick & Tuiren Bratine عن توظيف الناشئة لمثل هذه المواقف وذلك في مجلة Tech Trends For Leaders In Education And Training في عدد أبريل/نيسان ١٩٩٧م «أن إتاحة الفرصة للناشئة للتعبير عن الذات هي في حد ذاتها شيء من أساسيات التعليم المتفوقة، ولكن عندما نترك لهم القرار يجب أن يكون تحت رعاية الوالدين أو أحدهما».

ومع هذا التقدير لما جاء في هذه الدراسة نؤكد أن التربية الإسلامية لها دور ضليع في إتاحة الفرصة للناشئة للوصول إلى إرادتهم، إلا أن التطبيق المتعثر يأتي من الأفكار العتيقة والعادات غير الناضجة؛ لأن ابتكار الأبدال يعني حسن التصرف، والتربية الواضحة تعلم الأطفال الصحيح من الخطأ، وأن هناك حدوداً يجب ألاّ يتجاوزوها دينياً وخلقياً وسلوكياً في كل تصرفاتهم، وأن بعض الدراسات العربية أكدت الاعتماد على الذات، وكيفية صناعة القرار، والانضباط، والتعاون مع الآخرين، كل هذه تؤدي إلى الحرص على التفاعل مع عوامل التغير، وإحداث ما ينبغي من سلوكيات إيجابية تساعد على التربية الذاتية.





بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على صدورها، تدخل مجلة الدارة عامها السادس والعشرين بشكل جديد وتطوير متميز لمحتواها ومجالاتها المتمثلة في:
البحوث العلمية، والبحوث المترجمة، والدراسات الوثائقية، ومراجعة الكتب، وملخصاتها، والرصد الوراقي.
وبهذا التطور بعد مرور ربع قرن تواصل مجلة الدارة مسيرتها لخدمة تاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة.



تدعو مجلة الدارة الباحثين والباحثات إلى الإسهام ببحوثهم في مجالات المجلة العلمية:
البحوث، والترجمة، والوثائق، ومراجعة الكتب ونقدها، والدراسات العلمية الأخرى

الجميع مدعوون للمبادرة بالاشتراك في مجلة الدارة:

- عشرون ريالاً لأربعة أعداد للسنة الواحدة.
- مائة ريال لعشرين عدداً لمدة خمس سنوات.

ص.ب: ٢٩٤٥ - الرياض: ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية - هاتف: ٤٠٨١٨٧٦ - فاكس: ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa موقع الانترنت www.darah.org.sa